

الحرب العالمية الثانية

المجلد الاول







١

الحرب العالمية الثانية



إعداد وتنفيذ
قسم البحوث والدراسات التاريخية
دار الآفاق الجديدة

المجلد الأول

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
1400 A.H 1980 A.D

لماذا هذه الموسوعة ؟

هل يسير العالم اليوم نحو حرب عالمية ثالثة ؟

هذا السؤال لم يعد نوعاً من الفرغرة الصحفية ، بل بات مطروحاً على كل شفة ولسان ، وفي كل منتدى ومحفل ، حتى القواد العسكريون لم يستبعدوا نشوب الحرب الثالثة اذا ما تجاوز أحد المعسكرين الجبارين الخطوط الحمراء ، وهي خطوط المصالح والنفوذ والهيمنة .

ولئن كان من المستبعد نشوب حرب نووية ، لأنها لا تترك ، بالنتيجة، منتصراً ومنهزماً ، فان من غير المستبعد نشوب الحرب بالواسطة، وهناك الآن أكثر من « بروفه » لمثل هذه الحرب .

ومع تزايد الكلام عن نشوب الحرب مجدداً ، يتذكر الجيل الحالي مآسي الحرب العالمية الثانية ، يتذكر تلك السنوات المشحونة بالموت والدمار .

فأسطورة هتلر المرعب لا تزال محفورة في المخيلات . صرخة النازيين التقليدية : « هايل هتلر » لا تزال ترن في المسامع . صورة أوروبا المشتعلة، المسحوقة تحت جنازير الدبابات ، المجزأة ، والمرسومة حدودها بألف لون ولون . ولئن كان الحسم النووي الأميركي ، قد وضع حداً للحرب الثانية ، فانه فتح السبيل أمام سباق نووي خطير بات يهدد اليوم بكارثة أدهى من كل الكوارث السابقة .

وفي هذه الفترة من مرحلة ما بعد الحرب الثانية ، ومرحلة ما قبل الحرب الثالثة ربما ، يسر « دار الآفاق الجديدة » أن تقدم الى قرائها العرب أينما وجدوا تاريخ الحرب العالمية الثانية، بالوقائع ، والأرقام والتفاصيل والصور وذلك على شكل مجلدات شهرية ، عسى أن يجدوا فيها المتعة والفائدة والعبرة .





”وفي اليوم التاسع عشر سقطت بولونيا

المكان : جبال « الكربات » حتى البلطيق . الزمان : آخر يوم من آب عام ١٩٣٩ . الضباب يتكدس في قاع الأودية كأنه البحيرات ، وهو بانتظار الشمس كي يتبدد وينهزم ، ويجعل الجو صافياً وعلى أنسب ما يكون لتحليق الطائرات . ولا تقل الأرض التي أتى الصيف على كل اخضرار فيها ، تناسباً مع هذا الجو لزحف الدبابات . الكثير من الأنهار والجداول قد جف ماؤها ، وغدت كأنها طرق الاكارين يسهل التنقل عليها سيراً على الأقدام .

في مثل هـــذا الجو عقد الجيش الألماني العزم على تجربة أساليبه الجديدة في القتال ، وكان قد أطلق على العمليات اسم « المشروع الأبيض » .

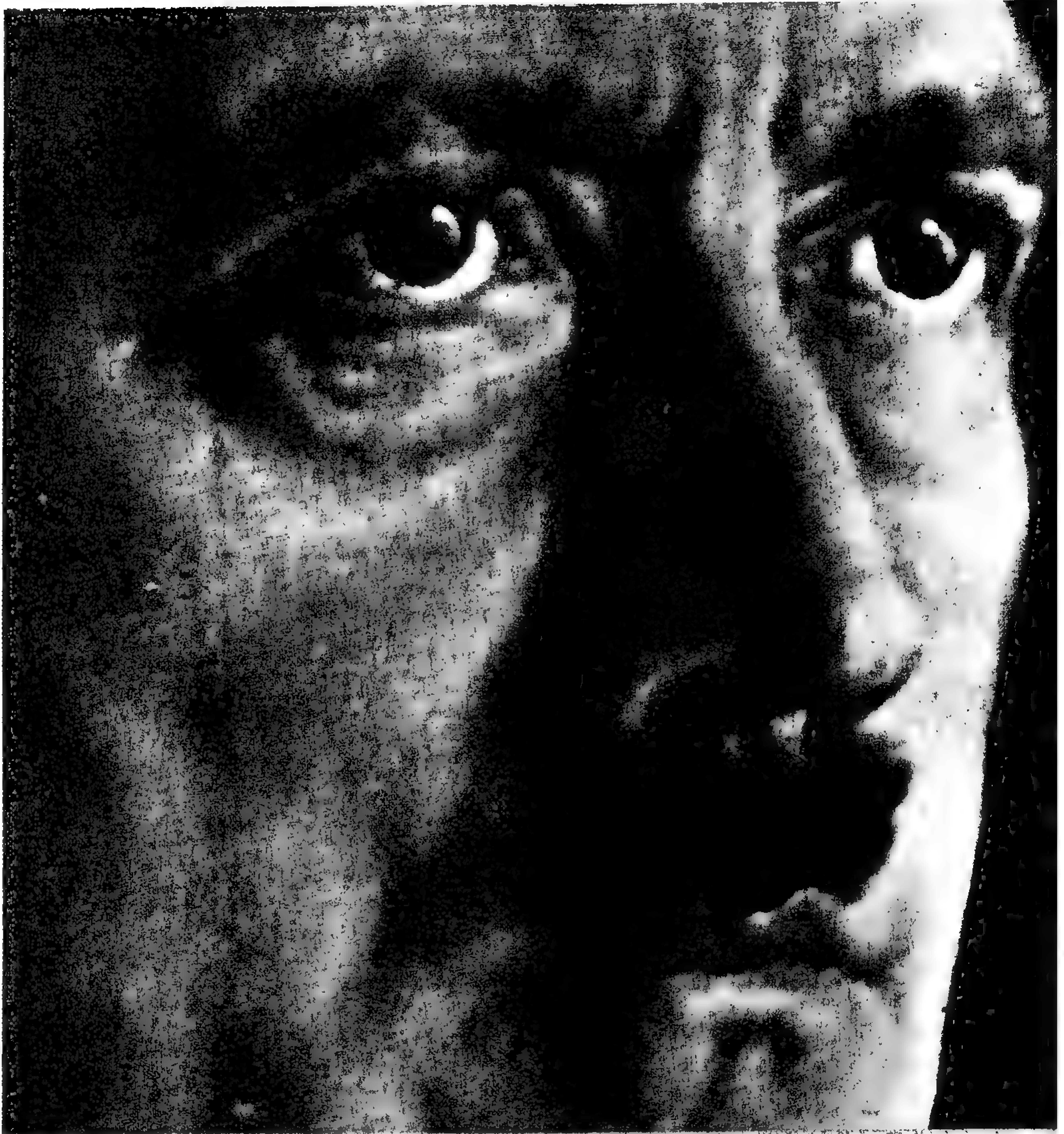
تمّ استدعاء الجنود بشكل فردي حتى لا يثير الشبهات . ولم تصل الأوامر الى أركان حرب وحدات الجيش إلا في الساعة السابعة عشرة من آخر آب . كان الاستدعاء يتم على الشكل التالي : ي = ٤٥ ٠٤٠ ١٠٩٠، وهذا يعني أن ساعة الزحف التي يتوقف عليها مصير المانيا والعالم هي الساعة الرابعة و٤٥ دقيقة من أول شهر أيلول .

لقد كان الوقت الفاصل بين قرار الحرب وقرار الزحف قصيراً جداً بحيث لم تتمكن أجهزة الاتصال من إبلاغ قرار « أدولف هتلر » في الوقت المناسب لجميع وحدات المشاة المتمركزة على طول الحدود البولونية، الأمر الذي أدى الى عدم اشتراك هذه الوحدات في المعارك إلا بعد نشوبها .

وعلى الرغم من هذه السرعة في التقرير فقد كان هناك بعض القواد يتأهبون للتصدي لهذا القرار ، وحجتهم في ذلك عدم تكرار سابقة ٢٥ آب ، وأكثر الذين عبروا عن هذا الموقف هو الكولونيل جنرال « عرت فون روندشتاد » ، قائد وحدات الجنوب، ورئيس أركانه الجنرال ليوتنان « اريك فون مانشتاين » . أما السابقة فتتلخص بأنه في الساعة الخامسة عشرة وخمس وعشرين دقيقة من ٢٥ آب تلقى المقر العام بقيادة الجنوب – ولم تمض بعد ثلاث ساعات على تسلم روندشتاد مهام منصبه – أمراً بمباشرة الأعمال الحربية في الساعة الرابعة والنصف من اليوم التالي . وبينما كان القائد ورئيس أركانه يلتهمان طعامهما في الثامنة والنصف في مركز القيادة الكائن في احدى القرى القائمة على ضفاف « النيس » بلغهما أمر آخر، يطلب اليهما الفوهرر فيه وقف الهجوم وتجميد العمليات الحربية ، لكن أربعة فيالق كانت قد تحركت ، وقد تم تجميد تحركات ثلاثة منها في جبال « التاترا » ، أما الفيلق الرابع ، وهو آلي ، فكان على وشك اجتياز الحدود لولا أحد ضباط الاتصال الذي قام بمغامرة الهبوط بطائرته على قارعة الطريق وأمام طلائع الفيلق الزاحف بالذات .

لقد ظل القائدان ينتظران تلك الليلة ، وفي اعتقادهما أن المسألة لا تتعدى الخدعة . وطال الانتظار حوالى أسبوع حاول هتلر خلاله القيام بمحاولة أخيرة لحصر النزاع ، فسارع الى الاتصال بـ « غورنغ » في ٢٥ آب، وأبلغه القرار القاضي بتجميد العمليات فدهش غورنغ وأجاب : « هل يعني هذا أنه لا حرب أبداً » فرد هتلر بالنفي، وبرر له هذه الخطة بأنها محاولة لمنع الانكليز من التدخل، خاصة وان النزاع حول « دانتزغ » ومرها كان يثير تخاوف الفوهرر ويسبب له ما لا يبتغيه ، وهو الحرب العالمية .

لقد كان الفوهرر مصمماً على الحرب تصميماً أكيداً ، وكان كل همه حصر الحرب بينه وبين بولونيا . وقد عبر عن ذلك في ٢٣ أيار أمام قواده إذ قال : « لا تتوقعوا أن



يحدث هنا ما حدث في تشيكوسلوفاكيا .. فهذه المرة، أيها السادة، لا مفر من الحرب..» ومضى يقول : « لو كان الجنرال براوشيتش يتوقع حرباً طويلة لما أقدمت عليها، ولكنه وعدني باحتلال بولونيا في بضعة أسابيع » . وكان من المفترض أن تبدأ هذه الحرب قبل نهاية آب لتنتهي قبل أمطار الخريف ووحول الشتاء . أما التدخل الفرنسي والانكليزي فكان احتمالاً وارداً جداً في ذهن الفوهرر ، وقد قال بهذا الصدد : « لقد خبرت قادتها في ميونيخ ، فـ « دالاديه وتشامبرلين ليسا سوى دودتين !» . وكان في اعتقاد الفوهرر

ان الاتحـــاد السوفياتي ، الذي كان التطهير قد أضعف جيشه ، قد يقف من تدمـــير بولونيا موقفاً لا مبالياً، وهذه العبارة مدونة في محضر الليوتنان كولونيل « شموندت » مرافق هتلر ، وهي تعبير عن نواة التحالف الألماني ـ السوفياتي .

وفي الوقت الذي كان وفـدان فرنسي وانكليزي يتباحثان في موسكو بغية إقامة تعاون عسكري لمواجهة المانيـا كانت بعثة المانيـــة تجري مفاوضات مع المسؤولين السوفيات من أجل عقد اتفاق تجاري كمرحلة أولى . وقد تميزت المفاوضات الأولى بالتأزم والصعوبـة ، واتصفت الثـــانية بالسرية والسلاسة. ولم ينفع الاتفاق المبدئي السياسي الذي تم في ٢٥ تموز بين الفرنسيين والانكليز والروس ، كما لم تنفع وصول بعثة عسكرية الى موسكو برئاسة الجـــنرال دومينيك والأميرال بلانكت في تذليل الصعوبات أمام التحالف الفرنسي الانكليزي مع الاتحاد السوفياتي ، خاصة بعد أن رفضت بولونيــا تحويل أراضيها الى ساحـــة قتال للجيش الأحمر .

وفي هـــذا الجو الملبد تلقى ستالين برقية من الفوهرر ـ الذي كان يجد فيه صنواً له ـ يطلب اليه أن يستقبل وزير خارجيته يواكيم فون ريبنتروب على جناح السرعـة ، وكان ذلك ليل ٢٢ ـ ٢٣ آب . نزل هـــذا الخبر على العواصم الغربية نزول الصاعقة. لم تصدق في بدء الأمر . أممقول أن يتم تحـــالف بين النـــازية والشيوعية ؟. وما وصفه دالاديه رئيس الوزراء الفرنسي في صباح اليوم التالي بأنه مجرد إشاعة صحفية، كان ، في الحقيقة ، اتفاقية عدم اعتداء بين الاتحـــاد السوفياتي والرايخ الألماني . وفي هذا الخضم من أهازيج اذاعتي موسكو وبرلين لم تعد البعثة العسكرية الفرنسية ـ الانكليزية ترى بـــداً من العودة الى بلادها .. بخفي حنين .

وفي الوقت الذي كان الارتياح يسود الأوساط الألمانية كافـــة ، حتى الذين كانوا يشككون بعبقرية هتلر ، كان الانكليز يتغرغرون بالخيبـة ، والفرنسيون ينوخون تحت جبـــال من القلق والاضطراب . وفي هذه الأثناء اعتقد بعض الألمان أن الحرب لن تقع ، لأن المساعدة السوفياتية لن تصل الى الدول الغربيـــة ، فيما اعتقد آخرون أن الحرب لا بد واقعة بعد أن زال كابوس فتح الجبهتين معـــاً ، إذ ما أن تتمكن المانيا من إخضاع بولونيـــا حتى تستدير نحو الغرب بكامل قواها .

وما من شك أنه لم يكن خافيـــاً على المراقبين ان اتفاق عدم الاعتداء العلني الذي عقد في موسكو بين هتلر وستالين لم يكن سوى ستار للاتفـــاق الحقيقي ، ألا وهو التقسيم الرابع لبولونيا، ولم يكن من الصعب

على الرجلين أن يتفقا على الحدود المشتركة التي كانت كناية عن الأنهر الثلاثة : الناريف، والفيستول والسان . وسرعان ما انتقلت عدوى التقسيم الى بلاد البلطيق فاقتطعت المانيا « ليتوانيا » واقتطعت روسيا « ليتونيا» و « استونيا » و « فنلندا » فضلاً عن « بيصارابيا » التي كان على رومانيا أن تتخلى عنها . ولكن ليس هذا ما كان يطمح اليه كل من هتلر وستالين ، فالأول لم يكن همه استعادة « دانتزغ » وازالة ممرهـا ، ولا تدمير الدولة البولونية بقدر ما كان احتلال السهول الروسية لتأمين مستقبل الشعب الألماني ، أما الثاني فقد وقع الاتفاق مع الفوهرر طمعاً بالفائدة المباشرة وكسب الوقت ، ومن هنا يتضح أن الاتفاق كان مبنياً على سوء النية لدى الطرفين .

ولكن سوء النية هذا ليس هو ما أخر الزحف الذي كان مقرراً في ٢٥ آب ، بل هناك أمور عديدة ساهمت في هذا التأخير ، لا سيا إقدام ايطاليا التي كانت قد وقعت مع الفوهرر في شهر أيار تحالفاً عسكرياً أطلق عليه يومها « الحلف الفولاذي » ، على التوسل الى هتلر كي يؤخر الزحف بحجة عدم استعدادها ، وبحجة المعرض الدولي الذي كان مقرراً أن يقام في روما سنة ١٩٤٠ ، والذي انفق عليه « تشيانو » وموسوليني المال الكثير . وقد نقل هذا الموقف الى الفوهرر سفير ايطاليا في المانيا





جاء « دالاديه » (إلى اليسار) و « تشامبرلين » (إلى اليمين) يطلبان إلى « الفوهرر » أن يرفع يده عن بلاد « السوديت » ، أو ، على الأقلّ ، أن يحترم المظاهر القانونيّة . ولقد قال « هتلر » عنهما فيما بعد : « يا لهما من دودتين ! » (ويبدو في الوسط ، في الصورتين ، الترجمان «شميدت») .



« اتوليكو » ، وقد طالب بأكثر من التأخير، طالب بتبني موقف عدم الاعتداء، وما كادت قدما السفير الايطالي تجتازان الرايخ الثالث حتى انفجر الفوهرر قائلاً : « الايطاليون جبناء ، ضعفاء ، خونة ، وغير جديرين بالثقة ». لكن البلاغ الرسمي حافظ على « فولاذية » التحالف ، وأكد تعاطف المانيا مع ايطاليا ، إلا أنه أشار الى أن عدم الاعتداء لا يعني الحياد .

وما صدر عن لندن لم يقل أهمية عما صدر عن روما بشأن الدوافع التي حدت بهتلر الى تأجيل الزحف . لقد كان الاتفاق الألماني – الروسي مثبطاً لعزائم الفرنسيين والانكليز الذين باتوا على قناعة من أن انقاذ

بولونيا أصبح أمراً عسيراً ، وان الحرب من أجلها تضحية بدون مقابل . ولذلك جاءت ردة فعل الانكليز على الاتفاق جافة تؤكد ان ما جرى في موسكو لن يؤثر على التزامات بريطانيا العظمى ، فهي ما تزال مصممة على الوفاء بها ، وهكذا أضحى الضمان الذي أعطي لبولونيا في أيار اتفاقاً للمساعدة المتبادلة ، ولعل هذا ما أدهش هتلر وأثار خيبته باعتبار أن الانكليز يلتزمون مثل هذا الالتزام الحاسم للمرة الأولى في تاريخهم . وقد حار المراقبون في تفسير هذا الالتزام، فمنهم من وصفه بالخدعة ـ والانكليز أسيادها ـ ومنهم من وصفه بالقرار اليائس ، ومنهم من وصفه بعدم التفهم والبطء في تقدير شؤون القارة ؟ ولكن ما لا خلاف عليه هو أن هذا الموقف ، مع سواه، أدى الى تأجيل الزحف قبل ساعات قليلة من ساعة الصفر، ولم تحفل فترة التأجيل هذه إلا بمفاوضات مبهمة ، وكان آخر هذه المفاوضات استقبال هتلر للمفوض المطلق البولوني مع غياب شمس ٣١ آب ، ودعوة موسوليني الى مؤتمر دولي لتسوية مشاكل القارة الأوروبية المتنازع عليها . وقد نامت أوروبا تلك الليلة نوماً هادئاً بعيداً عن كوابيس الحرب . لكن التجارب مع هتلر لا تطمئن قط ، كما حصل بالنسبة لاتفاق ميونيخ المعقود في السنة الفائتة ، وقد آمن الانكليز بهذا الاتفاق ، لكن الفوهرر عاد ومزقه بعد ستة أشهر وضم تشيكوسلوفاكيا بعدما تعهد باحترام حطامها ، ولكن هذا النكث بالاتفاق جعل الانكليز لا يصدقون تعهدات الفوهرر بأن دانتزغ وممرها هما مطلباه الأخيران .

وبالفعل ما أن لاح صباح الأول من أيلول حتى كانت المصفحات الألمانية تعبر الحدود وتمطر المدن البولونية بالقنابل مؤكدة بأن استعدادات هتلر السلمية الأخيرة لم تكن سوى خدعة تعود عليها . ولكي يكون ثمة ما يبرر الزحف ابتدع « هيملر » خدعة تتمثل في أن يهاجم مساجين مجرمون متنكرون ببزات بولونية جهاز الإرسال في « جلايفتز » ، ولما حاول القائد العسكري المحلي « شتانيمتز » التصدي لهذا الهجوم قيل له : « انه أمر الفوهرر » . ومنذ تلك اللحظة انبرت الاذاعة الألمانية الى الاعلان عن انتهاك حرمة أراضيها من قبل البولونيين، وان الأقلية الألمانية في بولونيا ذهبت ضحية مجزرة رهيبة ، وان تدخل الجيش الألماني بات أمراً ضرورياً على أساس حملة تأديبية ، لا على أساس اعلان الحرب .

لم تكن الحرب التي اندلعت في أول أيلول لتفاجىء بولونيا . لقد كانت تنتظرها بين الفترة والأخرى . ولذلك لم ترتعد فرائصها حيال القنابل التي كانت تنهمر عليها، وثمة من كان يعتقد أنها كانت تتمنى وقوع الحرب من أجل تلقين الألمان درساً لا ينسوه، خاصة وأن موجة من الشعور الوطني كانت





تجتاح البولونيين الذين كانوا يتساءلون : لماذا لا نزيل نحن « هتلر » طالما أنه يريد هو إزالة ممر « دانتزغ » . لماذا لا نسترد بروسيا الشرقية التي اغتصبها الألمان اغتصاباً ؟ ولماذا لا نحسم النزاع ونوقع معاهدة السلام في برلين التي لم تكن تبعد سوى مائة كيلومتر من الحدود .

كثيرون وصفوا هذا الجموح الوطني لدى قسم من البولونيين بأنه كان قصر نظر ، كما وصفوا تصرفات المسؤولين البولونيين بأنها منافسة في قلة الادراك ، وهذا ما جصل مع السفير البولوني في باريس « لوكاسيفيتش » الذي زار وزير الخارجية الفرنسي في ١٥ آب ، فنقل اليه هذا قول هتلر لكارل بوكهارت المفوض السامي في دانتزغ بأنه سيحتل بولونيا في ثلاثة أسابيع بقواته الآلية ، فما كان من لوكاسيفيتش إلا أن أجاب : « يا للحماقة ؟ نحن من سيحتل المانيا عندما يبدأ العدوان » . أما السفير البولوني « لبسكي » المقيم في برلين فكان يردد دوماً ، خاصة عندما يشاهد عرض القوى الالمانية ، بأن الحرب ستحدث ثورة في المانيا ، وأن القوات البولونية ستدخل برلين منتصرة .

لم يكن الانتصار سوى مجرد حلم . ولولا هذا الحلم الذي غذته بريطانيا العظمى ، والحمية الفرنسية للقضية البولونية لكانت بولونيا استطاعت الحفاظ على نفسها ، والاكتفاء بحدودها الجغرافية بعد انقضاء ٢٠ سنة على انبعاثها من الرماد . وبدلاً من فتح ذلك المنفذ المصطنع الذي أطلق عليه ممر « دانتزغ » كان بامكانها أن تحصل على حقوق بحرية عادية في ذلك الممر . لكن حماسة أصدقاء بولونيا لم تكن في خدمة بولونيا بقدر ما كانت تهدف الى خدمة هؤلاء الأصدقاء بالذات الذين كانوا يعتبرون أنهم يقيمون على ظهر المانيا دولة سلافية كبيرة تحل في حلف مع فرنسا بدلاً من روسيا البلشفة .

بيد أن الدلال الذي كانت تتلقاه بولونيا من حليفتها فرنسا سرعان ما قابلته بالجحود ، لا سيا بعد أن أصبح الانحطاط الفرنسي حقيقة واقعة تلهج به فرصوفيا كما روما وبرلين . وراحت بولونيا ، التي تعاني من عقدة القوميات ، تتصور أنها الخليفة الأكيدة لفرنسا ، ولذلك رفضت الانضمام الى نظام التحالف الذي أقامته الديبلوماسية في أوروبا الوسطى تحت اسم « الاتفاق الصغير » وراحت تطالب بجزيرة « مدغشقر » وغيرها من المستعمرات الفرنسية معتبرة أن من حقها ، كدولة كثيرة السكان (٣٣ مليوناً) المطالبة باقتسام العالم على أسس جديدة . ولعل أكثر ما كان ينكي بولونيا هو وصفها بالتبعية لفرنسا وصفة المنقذ لبولونيا من الاحتلال الروسي التي كانت تلازم الجنرال الفرنسي . وفي الوقت الذي كان التحالف الفرنسي — البولوني قائماً ، كانت التظاهرات المعادية لفرنسا قد بدأت على نطاق واسع في فرصوفيا ،

الأمر الذي أدى الى وسم العلاقات بطابع الجفاء حتى عهد اتفاقية ميونيخ وما بعده .

وفيما كانت بولونيا تعيش حالة غير طبيعية كانت المانيا تعتمد سياسة الملاطفة مع بولونيا موحية لها أنها تخشى قوتها ، ولكنها كانت من جهة أخرى تغذي نزاعاً مستمراً في « دانتزغ » الأمر الذي عرض الأقليات الألمانية لضغط شديد . وتدليلاً على سياسة الملاطفة تلك ، الظاهرية طبعاً ، كان المارشال « غورنغ » يواظب على صيد الوعول في احدى غابات بولونيا معلناً في كل رحلة أن الرايخ بحاجة الى بولونيا قوية ، ونافياً وجود أي خلاف بين البلدين. ومقابل هذه الملاطفة الظاهرة كان « جوزف بك » صنيعة البطل القومي « بيلسودسكي » يرحب بهذه السياسة ويدفع بها الى المزيد الى حد أن حالف المانيا في أزمة ميونيخ وانتزع اقليم « تيشن » من تشيكوسلوفاكيا . وحينما كان يقال لأي بولوني أن بلادكم ستلحق بتشيكوسلوفاكيا ، كان يقول باعتداد وكبرياء : « نحن لا نخشى أحداً .. انهم يخافوننا .. »

وشاءت المانيا أن تسير في سياسة الملاطفة الى نهايتها . ففي ٢٦ كانون الثاني اندفع « ريبنتروب » لزيارة فرصوفيا رداً على زيارة قام بها « بك » لهتلر، وقد أجري له استقبال حاشد وحافل .. ولكن هذه الزيارة كانت آخر خطوة في سياسة الملاطفة،



« فون ريبنتروب ». يوقّع باسم « ألمانيا » المعاهدة الألمانيّة — السوفياتيّة ، ووقف « ستالين » وراءه وقد افترّت شفتاه عن ابتسامة . في تلك اللحظة أدرك العالم أنّ ما من قوّة تستطيع تدارك الكارثة .

إذ ما ان انقضى شهران حتى أبلغت المانيا السفير البولوني لديها بأن بلاده تطالب باسترجاع « دانتزغ » واقامة منفذ خارجي ضمن الممر ، ولكن جواب بولونيا كان سريعاً ومتسرعاً وتضمن رفضاً قاطعاً للمطالب الأمر الذي أدى الى احتدام النزاع .

ان الحماسة الوطنية والقومية التي كانت تستولي على البولونيين جعلتهم يبادرون الى مهاجمة السفارة الألمانية وتحطيم زجاجها ، والدعوة الى احتلال برلين ، وقد بلغ الأمر بـ « كاسبريزيكي » وزير الحربية ان قال : « لقد أشبعونا نصائح وارشادات فاسدة ، ولذلك لن نعمل بها ، يشيرون علينا بالتحصن ، والمقاومة ، والتراجع ، والصمود على خطوط الماء . لن نفعل شيئاً من ذلك . خطتنا هي الهجوم ، وبالهجوم نحقق النصر » .

وفي أول أيلول بدأ توزيع الجيش على سبع مجموعات ووضعت قوات ضخمة في ممر « دانتزغ » ، وأوعز اليها القائد العام « ريدزميجلي » باحتلال بروسيا الشرقية ، بينما حشد قوات أكثر ضخامة على قرنة « بوزن » التي تعتبر منطلق الهجوم على برلين ، وكانت هذه القوات بقيادة « كوثرزيبا » و« بورتنوفسكي » . والحقيقة أن مجموع القوات البولونية كانت أقل بكثير



مما يتوقع الغرب ، ففي حين يتصور الغرب ان عدد القوات البولونية قد يبلغ ثمانين الفاً نسبة الى عدد السكان البالغ يومها ٣٣ مليوناً، لم يكن عدد القوات الفعلية يتجاوز ٣٠ الفاً تمت تعبئة ٢٣ الفاً منها في بدء العدوان . ولكن المراقبين العسكريين كانوا مقتنعين بأنه حتى لو كان عدد القوات أكبر من ذلك لما غير في الوضع شيئاً ، بل لكان زاد الطين بلة ، لأن هزيمة الجيش البولوني لم يكن مردها الى قلة العدد ، وإنما الى واقع هذا الجيش الذي يعود عهده الى الحرب العالمية الأولى ، والذي يمتلك ٤٢٠ طائرة بينها بضع مقاتلات من طراز ب ــ ٢٤ الحديثة نسبياً . ويتألف من ٣٧ فيلقاً من الخيالة القديمة وسلاح للمصفحات يقتصر على بضع مئات من الدبابات القديمة ومدفعية تجرها الخيل بكاملها ، ومعدات بدائية للإرسال ، وسلاح للمضاد يكاد لا يذكر . ولم يكن الجيش يعتمد على المحركات ، بل على عربات الفلاحين الصغيرة عوضاً عن قطارات الميدان والنقل . وهذا ما أفقد عمليات التموين والتحرك والاصلاح ما لها من أهمية في تطور المعارك وكسب الحروب .

ومقابل هذا الجيش البولوني التقليدي ، البدائي ، المتهوس، كان هتلر يعيد الخدمة الاجبارية ويأمر بانشاء جيش وطني مؤلف من ٣٦ فرقة. الأمر الذي دعا القائد الأعلى « فون فريتش » الى اعتبار ان هذا العدد كبير واستفزازي ويكفي ٢٤ فرقة فقط للدفاع عن المانيا ، لكن هتلر أصر على موقفه . وكانت المانيا حتى عام ١٩٣٩ ما تزال خاضعة لاتفاقية « فرساي » التي تحدد قوات الجيش الألماني بمائة الف جندي محترف موزعين على عشر فرق صغيرة للمشاة والخيالة ، ومحرومين من المعدات المصفحة والمدفعية الثقيلة والطائرات ، وهيئة أركان عامة .

وفي تلك الفترة بالذات كان الجيش الألماني يسعى الى الاعتماد على الدبابات التي كان يجسدها في مناوراته بشاحنات مصفحة بالقماش ، أو بشكل نماذج يحملها جنديان على طريقة المهرجين داخل خيول من الورق المقوى . ولم يعتم الأمر أن تفتقت العقول المبدعة عن تطبيق عملي ثوري لهذه النظرية التي وفقت بين عاملي القوة والسرعة ، وأغنت عن استعمال المعدات ، وخفضت من المجازر القائمة التي ميزت الفن العسكري بين عام ١٩١٤ و١٩١٨ ، وأعادت للحرب العسكرية النشاط والارتجال والذكاء الذي كانت افتقدتها حرب المواقع .

ولم يشأ هتلر أن يظل التفكير العسكري الألماني متأثراً بمذهب الجنرال الايطالي « دوهيه » الذي يعتمد على تفوق الطيران الستراتيجي القائم على القصف المروع ، بل راح يخطط لبناء طيران تعاوني يكمل ثورة المصفحات . ولم يشأ كذلك الاعتماد على النظرية الفرنسية السائدة آنذاك ، بأن



رائحة البطولة تفوح من جلد وروث ...
لم تكشف الحرب بعد عن وجهها الجديد .
فرق بولونيّة تقلّها عربات صغيرة من
طراز ١٨١٥ في طريقها لمجابهة موجة
عارمة من نار وفولاذ .

الدبابات لا تستطيع خوض الحرب إلا بحماية المدفعية، بل عمد الى استبدال المدفع بطائرة « شتوكا » التي تفوق دقة قصفها دقة قصف المدفع ، والتي وصفها أحد العسكريين بأنها المدفعية السابحة في الفضاء التي تساند وحدات الدبابات الكبيرة التي تشكل كتائب الخيالة المصفحة . واذا كان هذا هو رأي هتلر فإنه لم يكن، بالتأكيد ، رأي الجنرالات المتأثرين بتجاربهم السابقة ، الذين يعتبرون ان سلاح المشاة هو السلاح الأساسي الذي تسخر له كل الأسلحة، بمعنى أن تكون الدبابة والطائرة خادمتين للجندي الراجل ، ترافقانه، تمهدان له السبيل ، وتدفعانه الى التقدم . اما أن يكون المشاة مجرد تابعين للدبابة مثلاً ، ويقتصر دورهم على التقاط الأسرى، فهذا ما أثار الذعر في صفوف الجنرالات الألمان ، وكان أكثر المعارضين لهذه النظريات الثورية القائدان « بك » و« هالدر » .

وفي خضم هذا التطاحن النظري داخل الجيش الألماني وقف هتلر موقف من له الكلمة الأخيرة . ولطالما جرت المناقشات بعد الحرب حول كفاءاته العسكرية ، فمنهم من نصبه عبقرياً عسكرياً، ومنهم من وصفه بالهاوي الذي لا تخلو تصرفاته من الارتجال

والتفكك والتشوه . وهـــذا التناقض في الوصف كان مستمـداً من الواقع الذي كان يشهد أحيانـــاً انتصارات عسكرية رائعة لهتلر ، وأحياناً أخرى هزائم منكرة . ولكن ، ممـــا لا شك فيه أن هتلر درس النظريات الاستراتيجية الكلاسيكية بكاملها وتعرف الى قواد الماضي الكبار ، كما تعرف الى ما كانت تستعمله الجيوش من معدات ، ولم يغب قط عن تطور المذاهب العسكرية ، وعن الخوض في الصراع الدائر حولها ، وان كان يميل في الغـالب الى نصرة الجديد منها على القديم ، وهـذا ما تمثل بتأييده الكامل لـ « غوديريان » وأتباعه الذين عقدوا العزم على بناء جيش سريع .

وحتى عام ١٩٣٨ كان الجيش الألمـاني ثلاثي الرأس : وزير الحربيـة « فرنر فون بلومبرغ » من جهة ، والقائد الأعلى للجيش « فرنر فون فريتش » من جهة ثانية ، ورئيس الأركان العامة « لودفيغ بك » من جهـة ثالثة . وكان هؤلاء الثلاثة من أنصار توازن الأسلحة ، والستراتيجية الدفاعية ـ الهجومية ، والسياسة الخارجيـة الحذرة . وأول عمل حاسم قام به هتلر هو تحطيم الاثنين الأولين في فضائح أخلاقية مثيرة ، لكن الثالث حاول التصدي للتيار الهتلري بكل شجاعة ، إلا أنه سرعان ما انهارت شجاعته أمـام السطوة الهتلرية ، ولحق برفيقيه ، عندهـا أصبح هتلر رجل الساحة الوحيد وبعد أن تمكن من انتزاع قسم الولاء له من جنوده ، انصرف ، بكل جهده ، وبتصميم لا يلين ، الى بناء « القيادة الحربية الالمانية العليـا » التي تجمع تحت سلطـة الفوهرر المستشارية المباشرة ، الجيش البري ، البحرية ، الطيران ، صناعات الأسلحة ، الاعلام ، وما الى ذلك من طاقات عسكرية في الأمة ، وقد جاءت نتائج حصر القيادة بليغة ومتعددة ، فيها الحسنات الكثيرة ، كما فيها السيئات الكثيرة .

في بدء الحمـلة البولونية كانت الفرق المصفحة ستاً رقمت من ١ الى ٥ ، واحدتها أعطيت الرقم ١٠ . وكانت هــذه الفرق تتألف من لواء دبابات ، ولواء قناصـة منقولين ، وكتيبة هندسة ، وكتيبة اتصال ، وكتيبة استطلاع ، وفوج للمدفعية عيار ١٠٥ بعضه مجرور والبعض الآخر متحرك ذاتياً ، وكان نصف الدبابات الـ ٢٨٨ من طراز « ب ز ك ف ١ » التي عرفت بعلب السردين والتي تزن الواحدة منها ٦ أطنان ومزودة بمدفعين رشاشين ، ورقيقة التصفيح . وأما دبابات « ب ز . ك ف ٢ » المزودة بمدفع من عيار ٢٠ ، والتي تزن ٩ أطنان ، لم تكن تفوقها كثيراً ، بعكس دبابات « ب ز . ك ف ٣ » التي تزن ١٥ طناً ، والـ « ب ز . ك ف ٤ » التي تزن ٢٠ طناً ومزودة بمدافع عيار ٣٧ و٧٥ ، هذه الدبابات التي كانت تتميز بقوة حقيقية ، وقد استطاع هتلر أن يفرض هذا الطراز الأخير فرضاً على الأركان نظراً لثقلها .



تدريبات عسكرية في ساحة نورنبرغ
عام ١٩٣٨ . وقد بدا المشاة بحماية دبابات « بانزر ٢ » .

وفي الحقيقة أن فرق الدبابات الألمانية هذه هي التي أحدثت ثورة في الفن العسكري، وفي الحرب ، ومكنت هتلر ، بالنتيجة من السيطرة على أوروبا . ولعل هذا النجاح الذي أحرزته دفع الناس الى المغالاة في تقديرها ، لكنه تبين بعد ربع قرن أن ثورة المصفحات لم تكن في وزن الآليات وعددها ، بل كانت في طريقة استعمالها ، والجرأة في هذا الاستعمال ، علماً بأن الحرب العالمية الثانية لعب الذكاء دوراً كبيراً في إحراز الانتصارات فيها .

والثابت أن الطيران الألماني كان أقوى من سلاح المصفحات على رغم فعالية هذا السلاح ، وقد قفز انتاج هذا الطيران عام ١٩٣٤ من ٩٠٠ طائرة الى ٦ آلاف طائرة، فضلاً عن إنجاز نماذج من الطائرات ستفرض سيطرتها على الجو الى أن تتمكن الولايات المتحدة من إثبات قوتها في هذا المضمار . ومن تلك النماذج المطاردات « مو – ١٠٩ » والمدمرات « مو – ١١٠ » والقاصفات الانقضاضية « يو – ٨٧ » والقاصفات الأفقية « يو – ٨٨ » و« هو – ١١١ » و« دو–١٧ ».

وعنـد بدء الحرب كان سلاح الطيران يضم ٧٧١ مطاردة ، و ٤٠٨ مدمرات ، و ٣٣٦ شتوكا ، و ١١٨٠ قاذفة ، أي ما مجموعـه ٢٦٩٥ طـائرة ، وتلك كانت أكبر قوة جوية في العالم في تلك الفترة .

وعلى صعيد إعداد الجيش الألماني فقد تم هذا الاعداد حسب الأنظمـــة التقليدية . الآليات فيه كانت ضعيفة ، ولم يكن هناك سوى ٤ فرق من المشاة المجهزة بالآليـــات تعمل مع ســـلاح الدبابات . أما ما تبقى فيشكل ٣٦ فرقـة مقاتـــلة ، و ٣ فرق للعمليات الجبليـة ، و٣٧ فرقـة احتياط ، و ١٤ فرقة مساندة ، علماً بأن الفئتين الأخيرتين بعثتا من لا شيء خـــلال الأسابيع القليلة الأخيرة .

والملفت أن المعـدات كانت متباينة الى حد بعيد ، فالمدافع عيار ١٠٥ و١٥٠ كانت تفوق المدافع الفرنسية عيـــار ٧٥ و١٠٥ و١٥٥ ، غير أن بطـاريات كثيرة كانت لا تزال مجهزة بمدافع ٧٧ القديمة التي تعود الى عهد غليوم الثاني . أما سلاح الطيران فكان يفتقر الى مواد مجموعات ، وباشر أعمـــاله القتالية معتمـداً على ذخيرة من القنابل لا تكفي لأكثر من ثلاثة أسابيع . يبقى أن الجيش الذي ارتجل خـلال خمس سنوات ، لم يكن موضع اطمئنـــان أولئك الجنرالات الذين تدربوا في الجيش المثـــالي ، زمن الأمبراطورية ، والذين لم تكن تربطهم وحدة حال مع هتلر ، ولا أي مشاعر متبادلة من المحبة ، وهـــذا ما يفسر زوال أكثر من خمسين قائداً بين مارشال وجنرال وأميرال بعيد الحرب عن طريق الاعدام ، اما رمياً بالرصاص أو شنقاً أو خنقاً أو إكراهاً على الانتحار تنفيـذاً لإرادة الفوهرر ، السيد المطلق .

وحيال هـــذه العقلية المتسلطة داخل الجيش الألماني كانت المؤامرات قد عششت ، وأفرخت على يدي الجنرال « هوبنر » الذي كان يستعد للزحف على برلين بفرقـــة من المصفحات ، وظل ليلة بكاملهـا ينتظر في معسكره في « تورنغ » إشارة كان من المفروض أن يتبلغهـا من المتآمرين المجتمعين عند الكولونيل ـ جنرال « هالدر » ، وبينهم الكولونيل-جنرال « بك » ، والكولونيل ـ جنرال « فون فيتزلبن » ، والجنرال « فون شتولبناجل » ، والأمـيرال « كاناريس » وقائـد شرطة برلين وسواهم . وكان هدف المجتمعين هو إلقاء القبض على هتلر في اليوم التـــالي لدى عودته من المؤتمر القومي ـ الاشترا ي في « نورنبرغ » . ولكن تلك الإشارة لم تصل قط ، لأنه ، ما أن مضى وقت قصير على توقيع الأوامر حتى بثت الاذاعة خبراً مفـاده أن « تشامبرلين » في طريقه الى « برختشغادن » لمقابلة هتلر ، وقـــد أوضح « هالدر » فيما بعد ، موقف المجتمعين بقوله : « لقد انهار ركن مؤامرتنا

المادي بعدول هتلر عن العودة الى برلين ، كما انهار الركن الأدبي بمجيء تشامبرلين لمقابلة هتلر ، لأنه كان في نيتنا اعتقال رجل مهووس يقذف ببلادنا في حرب خاسرة سلفاً ، لا اعتقال مستشار يفاوض رئيس وزراء بريطانيا حول عودة بعض الألمان الى الرايخ بطريقة سلمية .

ومنذ مؤتمر « مونيخ » لم تتح الفرصة لأي مؤامرة أخرى ، وان كانت المؤامرة المشار إليها لم تمت نهائياً على اعتبار أن « فيتزلبن » ، وهو شريك في المؤامرة ، كان قائداً لجيش الجبهة الغربية ، و« كاناريس » مديراً للجاسوسية الألمانية ، وهالدر نفسه كان رئيس الأركان العامة والساعد الأيمن للقائد العام « فون براوشيتش » ، وهكذا اندلعت شرارة الحرب العالمية في الوقت الذي كان فريق من أركان القيادة العليا في حالة معارضة شديدة لرئيس الدولة وقائد الجيش ، الأمر الذي ستترتب عليه مضاعفات مذهلة فيما بعد .

غير أن القواد ـ الذين لم يساهموا في تخطيط المؤامرة ـ فكانت تنقصهم الحماسة ، وان كانوا ، جميعاً ، يرفضون وضع « دانتزغ » وممرها ، كما يرفضون التخطيط العشوائي للحدود الشرقية ، وبالتالي خضوع مليون الماني للنير البولوني . وكان هؤلاء القواد ، من ناحية أخرى ، يرون أن الجيش الألماني غير مؤهل بعد لخوض نزاع أوروبي جديد ، وقد عبروا عن ذلك ـ قبل « مونيخ » ـ بمذكرة كتبها الجنرال بك ، ورفعت الى الفوهرر وهي تتضمن تحذيراً من الأخطار التي تهدد المانيا نتيجة سياسته الرعناء ، ووحدهم القواد الهتلريون أمثال « بوش » و« رايختاد » لم يوقعوا على المذكرة . ويبدو أن الاتفاق الألماني ـ الروسي لم يهدىء من روع هؤلاء القواد المعارضين ، وان كان قد أبعد من ذهنهم احتمال وقوع حرب المانية ـ روسية .

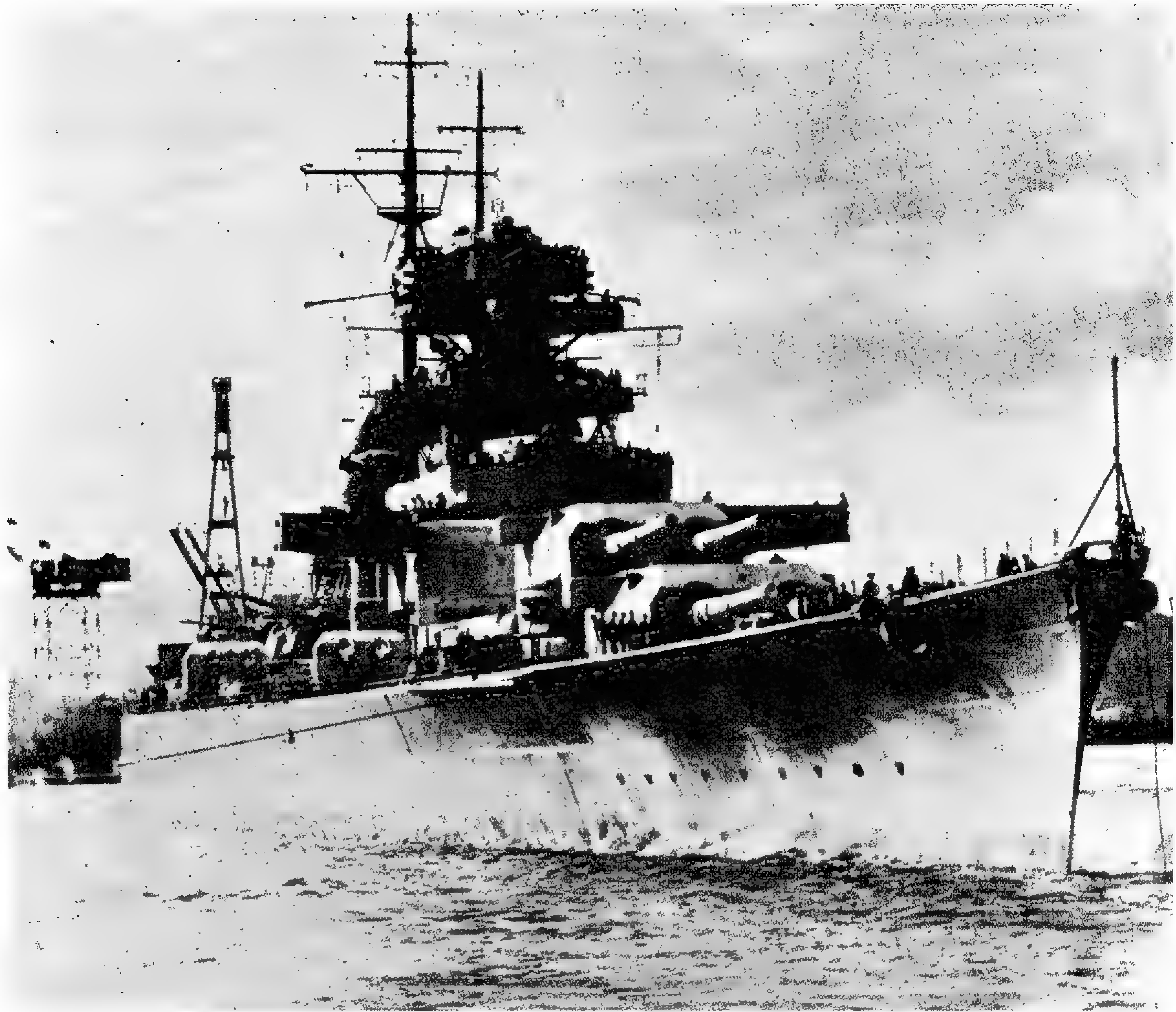
ولم يكن وضع الشعب الألماني ليختلف عن وضع هؤلاء القواد من حيث عدم الاندفاع ، وقد غابت تلك الحماسة التي برزت في تموز عام ١٩١٤ . وكان هتلر يدرك أن آب عام ١٩٣٩ هو غير تموز عام ١٩١٤ ، ومع ذلك أبى إلا أن يكرر تجربة عرض فرقة المصفحات التي قام بها قبل « مونيخ » لكن النتيجة هذه المرة كانت مختلفة تماماً ، إذ لم تحدث تلك العاصفة الوطنية التي كان يتوقعها هتلر ، بل ظلت المصفحات تتدفق عبر العاصمة على مدى ثلاث ساعات ، وكأنها مصفحات العدو فيما كان الفوهرر يتسمر على شرفة المستشارية منتظراً قرع طبول الحرب دون جدوى . وما أن انتهى العرض حتى تسلل الى مكتبه واسترخى فوق أحد المقاعد شاتماً الشعب الألماني ، الذي سيشتمه أيضاً بعد ست سنوات وهو يحتضر في المكان ذاته .

بـدأ الزحف من « البلطيق » الى « الكربات » بهدف تضييق الخنـاق على بولونيا بعد أن عدل هتلر في الخطة ووسعها بحيث يتألف الجناح الأيسر من مجموعة جيوش الشمال بقيادة الجنرال « فون بوك » ويتألف الجناح الأيمن من مجموعـة جيوش الجنوب بقيادة الجنرال « فون روندشتاد » . وكانت المجموعة الأولى مؤلفـة من الجيش الثالث بقيادة « كوخلر » الذي قدم من بروسيا الشرقية ، والجيش الرابع بقيادة « كلوغي » الذي قـدم من « بوميرانيا » ، وتشمل في مجملها ٢١ فرقة ٩ فرق منهـا مقاتلة وبينها فرقتنا مصفحات . أما المجموعـة الثانية فكانت تتألف من ثلاثـة جيوش : الجيش الرابع عشر بقيـادة « ليست » ومكان تحشداته في « الكربات » ، والجيش العاشر بقيـادة « رايخناو » محتشداً في « سيليسيا العليا » ، والجيش الثامن بقيادة « بلاسكوفيتش » منطلقاً من منطقـة « بريسلاو » ، ويبلغ مجموع تلك الجيوش ٣٦ فرقة بينها ٢٨ فرقة مقاتلة بما فيها ٤ فرق مصفحات . وكانت الخطة تقضي بأن تجتاح جيوش الجناح الأيسر ممر « دانتزغ » ونهر « النـاريف » وتحتل فرصوفيا من الوراء ، بينما تأخـذ جيوش الجناح الأيمن على عاتقها مهمة تشتيت الجزء الأكبر من القوى البولونيـة المتمركزة غربي نهر « الفيستول » ، وقد بلغ ازدراء الألمان بخصومهم حداً بعيـداً ، إذ لم يتركوا بين هاتين المجموعتين سوى بعض خفراء الجمارك لحماية « برلين » من نخبة الفرق البولونية !

في الساعـة ٤٫٤٥ عصر ذلك اليوم بلغ الطراد المدرع « شليسفيغ هولشتاين » الى « دانتزغ » وراح يمطر البولونيين نيرانـه الحامية في الوقت الذي كانت الطـائرات ومصفحات « غوديريان » و « هوبنر » و « فون كلايست » تعبر الحدود البولونيـة في جو ضبابي لتنقض على القوات البولونية المستسلمة للنوم .

يوم ٢ أيلول كان يوماً مشهوداً في حياة هتلر . المفاجأة أذهلت القيادة البولونية التي كانت ما تزال تفكر بعقلية عـام ١٩١٤ . فهذه الحرب كانت مذهـلة في سرعتها . صحيح أن الجنود يقاومون لكن المصفحات الألمانية تجتاح خط المقاومـة الضعيف ، وتضرب المؤخرات ، وتشل وسائل الاتصال ، وبالتالي أعمـال القيادة ، بينما الطائرات الألمانية تنقض على المطـارات العسكرية البولونية فتشل كل مقاومة جوية .

ومن بروسيا الشرقية اندفعت فرق المانية باتجاه موقع « ملافا » الذي يحمي فرصوفيا ، والتقى الجيشان الثـالث والرابع في ممر « دانتزغ » . أمـا الجيش العاشر ، الذي يشكل سن الرمح في مجموعة « روندشتاد » فقد اجتاز مسافة ٨٠ كلم في ٣٦ ساعة حتى بلغ « الفرتا » . وفي هذا الوقت كانت فرق الجنوب بقيـادة « ليست » تقتحم ممر « بابلونكا » الذي شهد معارك متعددة في



المدرعة « بسمارك » عام ١٩٤٠ ، ذات مدافع من عيار ١٥ انش . وقد كان هتلر فخورا بها بعد ان أثبتت جدارتها اثناء الحرب .

الحرب السابقة ، وتصل الى ضواحي « كراكوفيا » .

لكن ، ماذا كان رد فعل فرنسا وانكلترا ؟ لقد انتقل سفيراهما الى وزارة الخارجية الألمانية الساعة التاسعة والنصف مساء ليبلغاها بأن تمادي حكومة الرايخ في العملية العسكرية سيضطر بلديهما الى الوفاء بتعهداتها إزاء بولونيا ، وقد سأل ريبنتروب السفيرين : « أتنقلان تهديداً ؟ فأجاب السفيران : لا ، إنما هذا إنذار » .

والحقيقة أن باريس ولندن لم تكونا متفقتين حول القضية ، ولطالما وقعت مشادات عنيفة بين الطرفين . فبينما كان وزير الخارجية الفرنسي (جورج بونيه)

يؤيد الدعوة الايطالية لعقد مؤتمر قمة رباعي، كانت لندن تتهم باريس بالتهرب ، وهذا ما أكده (رادزينسكي) سفير بولونيا الذي وصل الى السفارة الانكليزية مغتاظاً من قول (بونيه) لزميله البولوني في باريس ،

بأن فرنسا لن تدفع بنسائها وأطفالها الى الهلاك فداء عن بولونيا . ولم يكن النواب الانكليز بأقل من البولونيين تذمراً إذ راحوا ينددون جهاراً بتصريح لتشامبرلين يقول فيه : « لقد اعترضنا ، وها نحن ننتظر

« هنالك لفظة ما عرفتها في حياتي قط ، ألا وهي " الهزيمة "... سوف لن أخلع بزتي العسكرية إلا بعد تحقيق النصر...»
(من خطاب " لهتلر " في المجلس النيابي الألماني في ١ أيلول سنة ١٩٣٩)



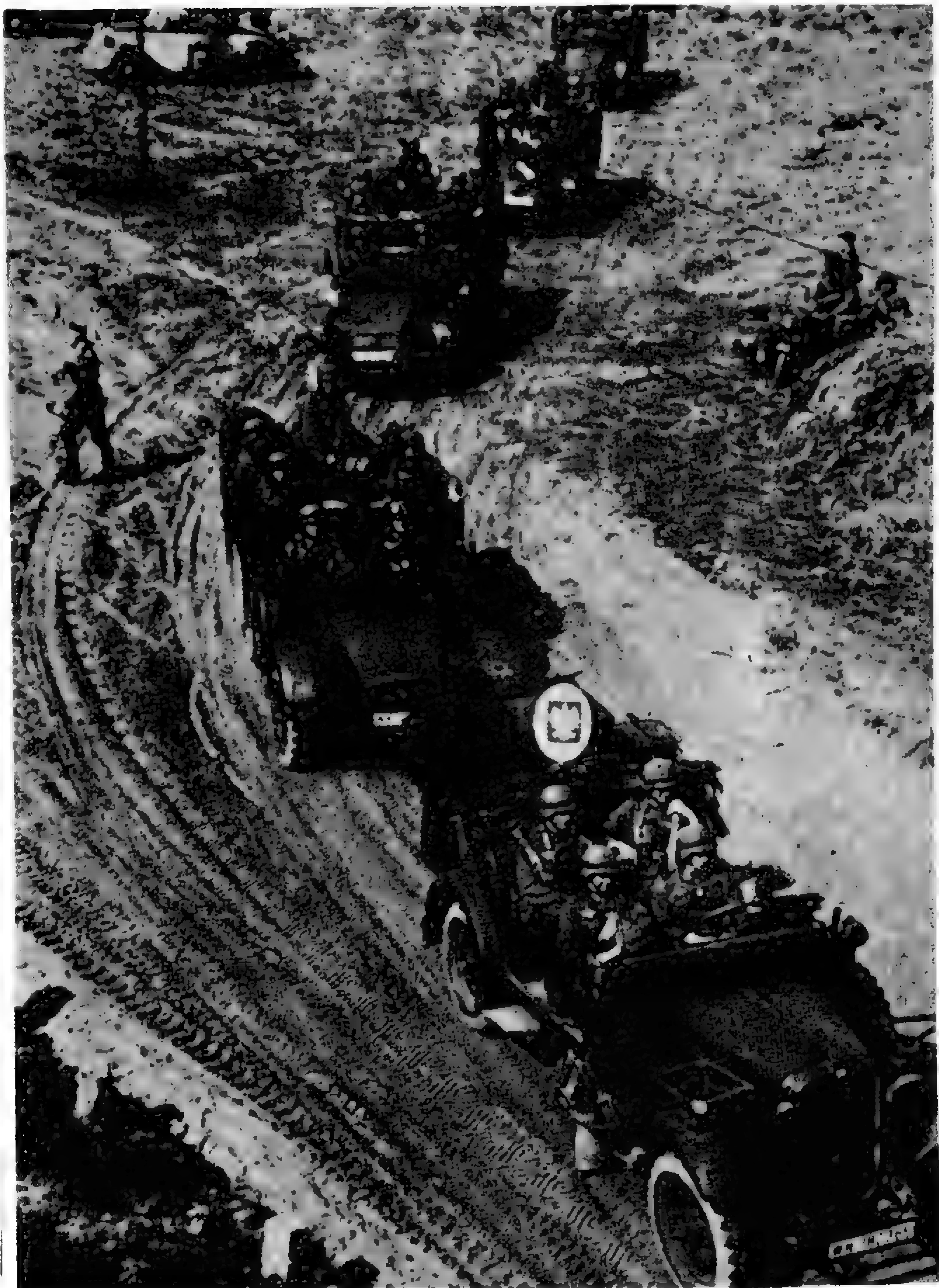
جواب هتلر » . وقيل في الكواليس يومها أن ضعف الموقف الانكليزي ناتج عن ضعف الموقف الفرنسي، وان انكلترا قررت الوفاء بتعهداتها بعد أن يتم إقصاء تشامبرلين ، والإتيان بتشرشل بديلاً عنه .

وفي برلين كان هتلر يتلو البيانات العسكرية المظفرة التي تصله من الجبهة ، وسط مجموعة من المقربين اليه في ردهة الموسيقى في المستشارية الجديدة . وفي فرنسا كانت التعبئة العامة قد أعلنت عشية اليوم السابق، وهذا يعني ، في نظر المكتب الثاني الألماني، أن ٨٠ فرقة على الأقل ستحشد من بحر الشمال حتى سويسرا ، في حين لم يحتفظ هتلر في غرب المانيا سوى بـ ١١ فرقة مقاتلة، ولا بد من أسابيع عدة حتى تتماسك معها فرق المساندة الـ ٣٥ . وفي هذا الجو سرت شائعة تقول بأن الفرنسيين يعبرون نهر (الرين) الأمر الذي أثار موجة من الذعر والاضطراب في مجموعة من المدن الحدودية كـ (فريبور — ان — بريسغـو) لكن الفوهرر ظل رابط الجأش معتمداً على حدسه من أن فرنسا وانكلترا لن تدخلا الحرب ، لا سيما وان البرلمان الفرنسي لم يذكر كلمة (حرب) على الاطلاق، عندما قرر الاعتماد العسكري الاضافي البالغ ٨٥ مليار فرنك غير أن حدس الزعيم الألماني لم يكن في محله. فالقرار الانكليزي ظاهر الحزم، وان يكن القرار الفرنسي على خلاف ذلك . وعندما اتصل الكونت الايطالي (تشيانو) باللورد الانكليزي (هاليفاكس) هاتفياً كلفه هذا الأخير بنقل الشرط الانكليزي للفوهرر القائل بأن انكلترا ترفض البحث في عقد أي مؤتمر ما لم تنسحب القوات الألمانية من الأراضي البولونية ، ولكن (موسوليني) يومذاك أعلن أنه لا يستطيع نقل الشرط الانكليزي لهتلر ، وهكذا يكون حائط السلام الكرتوني قد هوى .

وفي الساعة الرابعة من صباح ٣ أيلول هتفت وزارة الخارجية الانكليزية الى سفيرها في المانيا (نوفيل هندرسن) ، وطلبت اليه مقابلة (ريبنتروب) الساعة التاسعة ، لكن الخارجية الألمانية ، كانت ، في تلك الساعة المبكرة، غارقة في النوم، فارتأى هندرسن إيقاظ عدد من الموظفين الذين أبلغوه استحالة مقابلة (ريبنتروب) قبل الظهر ، وأشاروا عليه بمقابلة (بول شميدت) مستشار السفارة والناطق العادي باسم هتلر ، بصفته مفوضاً بتسلم أية مخابرة ترد من حكومة صاحبة الجلالة . وهكذا لم يجد هندرسن أمامه سبيلاً سوى مقابلة موظف من الدرجة الثانية في الخارجية الألمانية ، وابلاغه إنذار حكومته الأخير القائل : « ما لم تتلق بريطانيا في الساعة ١١ ، أي بعد ساعتين ، ضمانات حاسمة حول انسحاب الجيوش الألمانية الفوري فإن حالة الحرب تعتبر قائمة بينها وبين الرايخ الألماني » .

وحذت فرنسا حذو بريطانيا ، ولكن

الدبابات الالمانية تتحـرك نحـو بولندا .





على مضض ودون تقديم إنذارها مع الانذار البريطاني ، مصرة على إطالة مهلته حتى ٤ أيلول متجنبة استعمال كلمة حرب . وجاء في تصريح (جورج بونيه) يومها : (وقد ترى الحكومة الفرنسية نفسها مضطرة الى الوفاء بالتعهدات التي قطعتها لبولونيا والتي تعرفها الحكومة الألمانية ..) وهذا التصريح سلمه السفير الفرنسي (كولندر) الى الخارجية الألمانية بعد ثلاث ساعات من تسليمها الانذار الانكليزي ، الذي نقله شميدت في الحال الى الفوهرر في مكتبه حيث كان ريبنتروب واقفاً أمام احدى النوافذ . وبينما كان شميدت يترجم الانذار كلمة كلمة بدأت علامات الذهول والامتعاض تظهر على محيا الفوهرر الذي ظل فترة من الوقت متسمراً في مكانه الى أن استدار فجأة نحو وزير خارجيته ، ونظر اليه نظرة رجل مخدوع وقال : (والآن ؟) . عندها رأى شميدت أن الخروج من مكتب الفوهرر هو خير وسيلة لتجنب ردة فعله .

وفي الخارج ، وفي غرفة الانتظار بالضبط، تحلق عدد من المرافقين العسكريين وكبار رجال الحزب حول شميدت الذي أطلعهم على مضمون الانذار الانكليزي

فتملكتهم الدهشة الى أن قال (غورنغ) بصوت قطع الصمت الرهيب الذي ساد الغرفة: (اذا خسرنا هذه الحرب.. كان الله في عوننا !) .

وفي محاولة لتخفيف الضغط الألماني عن بولونيا وإرغام الجيش الألماني على الارتداد غرباً تسلل بعض جنود الاستطلاع الفرنسيين صباح السابع من أيلول داخل الحدود الألمانية غربي (الفوج)، قبالة (سارلوي) و (ساربروك) و(دو — بوان) .

ولكن هل أدى هذا التدخل غايته ؟ أم أنه جاء متأخراً ؟

بالنسبة لعقلية ١٩١٤ يمكن اعتبار هذا التدخل مشرفاً ، والتعبئة ما تزال في يومها الخامس ، ومنسجماً مع اتفاقية الأركان الفرنسية — البولونية المشتركة ، التي لم يوقع عليها بسبب الخلاف السياسي حولها ، والتي تنص على أن يقوم الجيش الفرنسي، وبصورة تدريجية ، بعمليات هجوم محدودة عند اليوم الرابع من التعبئة ، ثم تندفع القوات الثقيلة الى الميدان عند اليوم الخامس عشر في حال اشتداد الضغط الألماني على بولونيا .

أما بالنسبة لعقلية ١٩٣٩ التي شهدت تبدلاً واضحاً في المفاهيم العسكرية فقد جاء التدخل الفرنسي المحدود متأخراً ، بل عديم الجدوى حيال اندحار بولونيا المؤكد رغم استمرارها في القتال. وفي الوقت الذي كانت الطلائع الفرنسية المحدودة تدخل الى (السار) في ٧ أيلول كانت المقاومة النظامية البولونية تشهد انهيارها التام بعدما تمكن الجيش الألماني الرابع من تطويق (الفيستول) حتى (تورن) والجيش الثالث من احتلال فرصوفيا بعد فتح ثغرة في(ملافا) ، الأمر الذي أدى الى مغادرة الهيئات الديبلوماسية والحكومة والقيادة لها ، غير أن الجيش الرابع عشر قطع عليها طريق الهرب الى الجنوب الشرقي في طريق تقدمه نحو الحدود الرومانية بعد احتلاله (كراكوفيا) .

وعلى الرغم من الهزيمة البولونية المحتمة فقد حاولت القوات البولونية المتمركزة في قلعة (بوزنان) غربي الفيستول ، وهي القوات التي كان مقرراً لها أن تزحف على برلين ، أن تقوم بحركة التفاف على الجيش الألماني ، وتنقض على الجانب الأيسر منه ، غير أن (روندشتاد) أدرك هذه الخطة ، فعمد الى تعديل وجهة الجيش العاشر ، ودفع بالفيلق الخامس عشر الآلي ، والفيلق السادس عشر المصفح الى مؤخرة قوات (بورتنوفسكي)، الأمر الذي أدى الى أسر ١٩ فرقة بولونية في جيب (بزورا) .

فالمشاة والخيالة البولونيون وجدوا أنفسهم عاجزين عن صد زحف الدبابات . والمدفعية فقدت خيلها تحت ضربات



دبابات بانزر الجديدة والتي كـان يقودها جنود ألمان أشداء كانوا بمثابة طلائع الجيش الالماني، وقد ظهر احدهم بالقبعة واللباس الأسود .



مشاة الجيش البولندي



فريق من
الجنود يستسلمون
عند مدخل
حصون
« فرصوفيا » .

الطائرات المتلاحقة، والمؤخرات تضعضعت، والمواصلات أصيبت بالشلل الكامل تحت تأثير القصف الانقضاضي، حتى أن الطقس تآمر على البولونيين، فتأخر هطول الأمطار وظلت السماء صافية الأديم.

هذا في الجانب البولوني، أما في الجانب الألماني فقد تجاوزت الآمال حد التصور، كما تجاوزت وحدات المصفحات والطيران كل تقدير. فالخسارة ضئيلة. والفرق غير الآلية لم يتح لها الاشتراك في العمليات القتالية. ونقاط الضعف لن تكتشف إلا فيما بعد. كانت شخصيات العهد البارزة تسارع الى مشاهدة هذه المناورات الكبرى، ومن تلك الشخصيات (ليني ريفنشتال) الذي هرع الى مقر قيادة (روندشتاد)، وفي وسطه مسدس صغير، وفي احدى جزمتيه خنجر. أما هتلر فقد سارع الى كازينو أوتيل (سوبوت) على شاطىء دانتزغ، وكان مقراً للأركان. لم يشأ التدخل في تفاصيل العمليات، غير أنه انصرف الى استخلاص نتائج هذه الحرب التي آمن بها دون قواده المحترفين.

وظلت القيادة البولونية متمسكة بحبال.. الأمل، اذا لم نقل بحبال الهواء، فكان ممثلوها في باريس ولندن يطالبون، بتوسل تارة، وبغضب شديد طوراً، ببدء العمليات الجوية، فكان الجواب البريطاني يأتيهم بأن الطائرات الملكية تنطلق كل ليلة لإلقاء



فريق من الأسرى البولونيّين في شوارع «فرصوفيا».

المنشورات على المانيا، وكان الجواب الفرنسي أن الظرف غير مؤات لتعريض صناعات الحرب فيها لعمليات انتقامية، ان هي انخرطت في عمليات القصف العنيف. وكانت فرنسا تكتفي بتقدم بعض الوحدات المؤلفة من عشر فرق، خطوة خطوة في (السار)، على أساس أن أوامر القيادة واضحة وهي ترمي الى « احتلال خط (سيغفريد) بين (هاردت و(موزيل) تدريجياً وبنظام» على أن تترك مداهمة التحصينات لوقت لاحق، اذا ما اقتضت الضرورة. ولقد اعتمد الجيش الألماني، بناء لأوامر هتلر، خلال هذا الهجوم مبدأ رد الضربة بمثلها، ولكن المفاجأة الكبيرة للفرنسيين كانت



طائرة شتوكا الالمانية تلقـي الموت والدمار فوق فرصوفيا .



المشاة الالمان يتقدمون

تتمثل بحقول الألغام التي كانت تنفجر تحت العربات وأقدام الزاحفين ، دون أن يدركوا ماهيتها .

وصف المراقبون العسكريون الهجوم الفرنسي بأنه (تافه ولا معنى له) لأن فرنسا لم تنظم جيشاً حامياً للمعاهدات ، جيشاً قادراً على مهاجمة المانيا واحتلالها عند الضرورة . وهذا ما عبر عنه الجنرالسيم (غاملان) الذي قال (ان العملية لا تتعدى كونها مناورة لصالح بولونيا المقضي عليها) . وكان غاملان هذا قد لفت نظر الجنرال (جورج) مساعده في الجبهة الشمالية – الشرقية ، منذ ٩ أيلول ، الى الهزائم البولونية ، مشيراً عليه باتخاذ مواقع الدفاع بدلاً من الهجوم ، لأن عهد الهجوم بالنسبة لبولونيا قد ولّى .

وكأن موسكو الصامتة آنذاك كانت تنتظر سقوط البقرة ، حتى تبدأ بالسلخ وتقتطع نصيبها . ففي ١٧ أيلول خرجت عن صمتها ، ليعلن (مولوتوف) أن الحكومة البولونية أصبحت في حكم غير الموجودة ، وبناء لذلك بادر الاتحاد السوفياتي الى احتلال



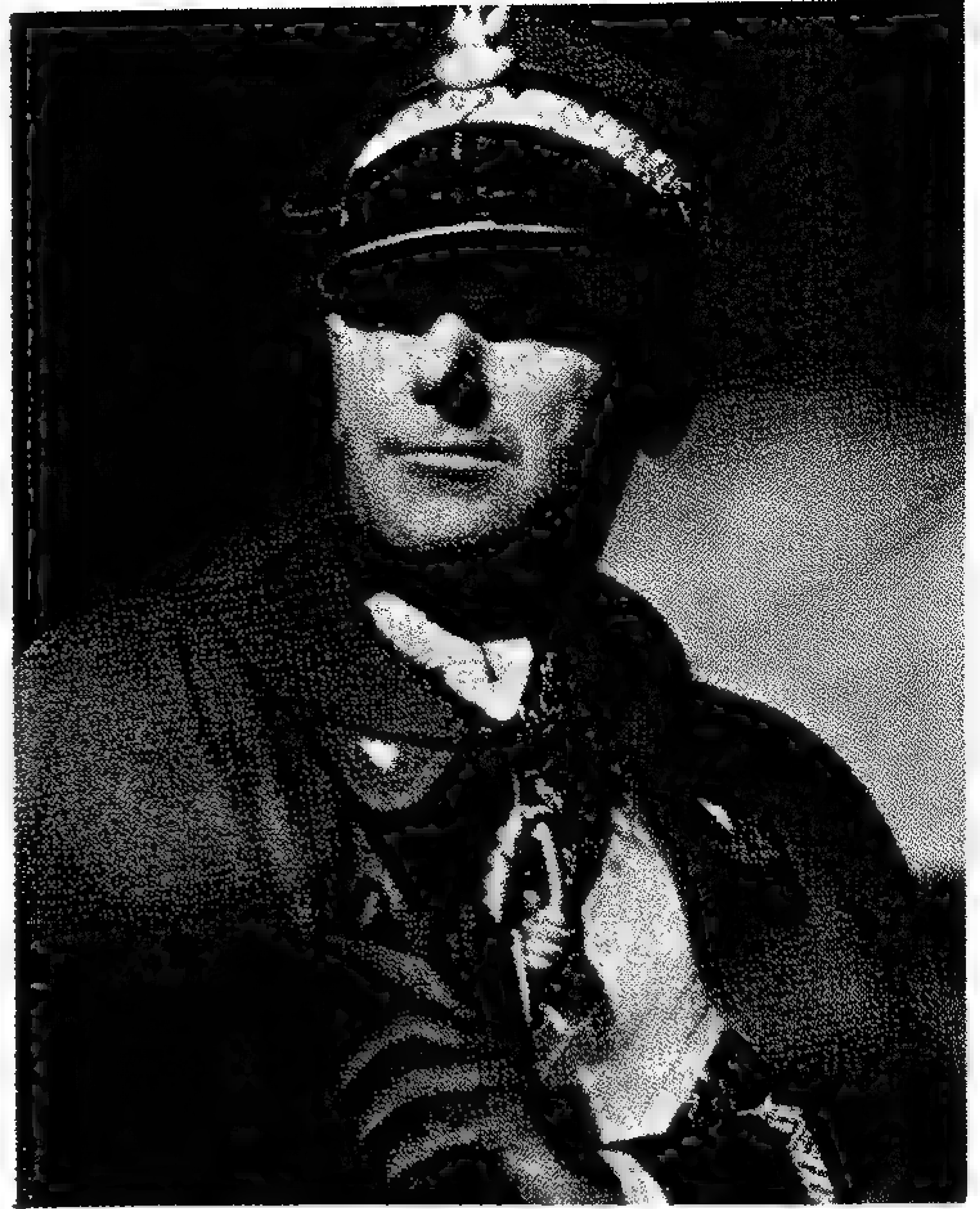
مشاة الجيش البولندي بدون أمل أمام قوة الجيش الالماني

الأقاليم التي اعتبرها الاتفاق المعقود مع الرايخ بأنها مناطق نفوذ سوفياتية. لكن ثمة تعديلاً طرأ على هذا الاتفاق في ٢٨ أيلول يقضي بأن تتخلى المانيا عن (ليتوانيا) مقابل تقديم الحدود الألمانية ـ السوفياتية الجديدة حتى نهر (بوغ) في الشرق .

واذا كانت الحرب قد تقرر مصيرها نهائياً ، فإن جذوتها لم تخبُ ، بل ظلت بعض المعارك المتفرقة تنشب هنا وهناك تعبيراً عن روح المقاومة والاستشهاد ، فالجنرال (فكتور توم) ظل يقاوم منعزلاً في قلعة (مودلين) ، والجنرال (بروغار ـ كاتلينغ) اعتصم في غابة (أيانوف) حيث انقض ببعض الخيالة على فرقة من الدبابات نفد وقودها . والأميرال (أونروه) دافع عن مرفأ (هيل) العسكري الصغير حتى ٢ تشرين الأول ، وهذا المرفأ يقع في طرف لسان رملي داخل جون (دانتزغ) . ومقابل هذه المواقف المشرفة كانت هناك مواقف انهزامية مخجلة كتلك التي وقفها المارشال (ريدز سميغلي) بفراره الى رومانيا حاملاً ، ليس سلاحه ، بل أمتعة هامة .

وما تزال هذه الحادثة تثير خجل البولونيين كلما أتي على ذكرها .

لقد كانت طريقة الدخول الى فرصوفيا، بعد محاصرتها ، موضع خلاف بين هتلر



المارشال سميغلي ــ رتيز لم يكن لديه الأمل بانقاذ بولندا .



مفاجأة في قطار ــ مستشفى في « بولونيا » : « هتلر » يعود الجرحى !

وقواده . ففي حين كان الجنرالات يؤيدون فكرة استمرار الحصار حتى الاستسلام ، باعتبار أن المقاومة النظامية انتهت كلياً ، كان هتلر يصر على دكها بالطيران والمدفعية على أساس أنها موقع حصين . وقد تغلب رأي هتلر في نهاية المطاف ، فدكت المدينة طوال أربعة أيام استسلمت بعدها وكان ذلك في ٢٧ أيلول . ولم يقتصر الخلاف بين هتلر وجنرالاته على طريقة الدخول ، بل تعداه الى الممارسات داخل المدينة . فبعد دخول الجيش الظافر الى المدينة انقضت فرق (الصاعقة) و (الغستابو) على البلاد المفتوحة، الأمر الذي أثار احتجاج (بترل) آمر حامية (بوزنان) ولا سيا ضد قتل اليهود . وأعلن الجنرال (فون كوخلر) أمام (كوخ) حاكم بروسيا الشرقية العسكري : (ان الجيش الألماني ليس بؤرة ومسرحاً لعصابة من المجرمين). أما الجنرال (بلاسكوفيتش) قائد فرق الاحتلال ، فقد قضى باعدام عدد من أفراد فرق الصاعقة بتهمة ارتكاب الفظائع ، لكن هتلر نقض الأحكام ووجه للجنرال تأنيباً أودي بوظيفته فيا بعد . ولم يتوقف سخط هتلر عند حد ضد العسكريين المحترفين الذين كانوا ، بنظره ، أسرى نظريات أخلاقية بالية ، علماً بأن هؤلاء الحفنة من القادة هم الذين حققوا له النصر المبين في بولونيا ، خلال ١٩ يوماً ، في الوقت الذي كانت الأوساط الغربية تتنبأ بمقاومة بولونية تدوم سنة كاملة.

وكان من نتيجة هذه الحرب الخاطفة ، والساحقة ٦٩٤ ألف أسير بولوني ، و٢١٧ ألفاً التقطهم الروس، بينما بلغت خسارة الألمان ١٠,٥٧٢ قتيلا و٣٠,٣٢٢ جريحاً و٣,٤٠٩ مفقودين .





دخول بريطانيا وفرنسا الحرب



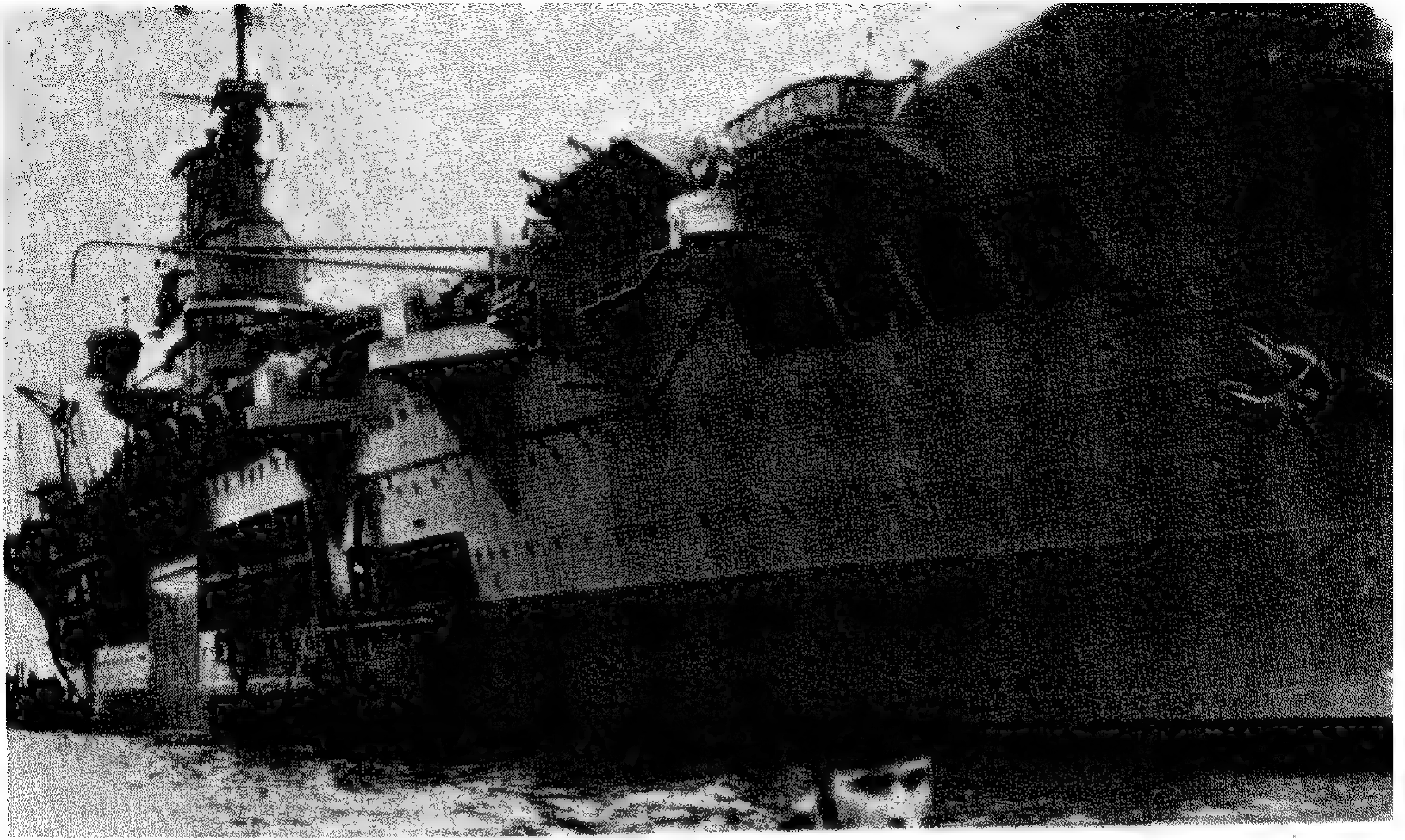
على الرغم من الانذار ، أو شبه الانذار الرسمي الفرنسي لألمانيا فإن ما أعقبه اتسم بكثير من الغرابة التي تدعو للضحك والأسى في آن واحد .. ففي حين كانت القطارات والعربات تمر بالعشرات كل يوم على ضفة (الرين) اليمنى ، التي تبعد ٥٠٠ متر عن الأسلحة الأوتوماتيكية الفرنسية المتمركزة عند جسر (شالمبي) كان الحراس الفرنسيون يكتفون بالتفرج وتقديم التقارير ، وجل ما كانت الأركان الفرنسية تعمله هو أن تبحث عن طرق أمينة لإغراق بعض القوارب التي يحملها فيضان النهر ، دون أن تصيب القذائف الضفة الألمانية التي كان يعمل فيها

الجنود الألمان بحرية وطلاقة ، وقد ارتفعت فوق رؤوسهم لافتـــات تؤكد بأنهم لن يكونوا البادئين باطلاق النار ، ويصيحون بمكبرات الصوت أن الانكليز سيقاتلون حتى آخر رجل فرنسي ، دون أن يتحرك أحد لإسكات هـــذا الصوت أو تعكير صفو القوات الألمانية ، مكتفين على الضفة الأخرى بتدبيج المحـــاضر الروتينية وتنشيط قسم المسرح في الجيش !

الجبهة ، اذا صح وجود جبهة فعلية ، غرقت في سكون عميق ، بعد أن توقف الهجوم من أجل بولونيا في ١٢ أيلول بسبب انهيار هذه الأخيرة ، وصدور قرار في ٣٠ أيلول يقضي بتراجع القوات الفرنسيـــة الى أراضيها. وفي ١٦ تشرين الأول أصدر هتلر قراراً بتحرير الأراضي الألمانيـــة ، فنفذت قواته القرار وعملت على تشتيت الحاميات التي بقيت في المراكز المحتلة ، وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون أنفسهم يخلون مرتفع (فورباخ) حيث مناجم الفحم الحجري الغنية ، تمشياً مع المبدأ العسكري الذي يتمسكون به وهو عدم جواز القتـــال على جبهتين ، مخضعين كل ما لديهم من قوة لحماية خط (ماجينو) الذي يعتبر مركز المقاومة الأساسي والذي بفضله يتم صد هجوم الأعداء، وبالتالي إحراز النصر . واذا كان هذا الخط موضع ثقة مقدسة من الرأي العام الفرنسي، فإنه ليس كذلك بالنسبة لضباط الأركان الذين يصفوه بـ (جحر الثعلب) ويقولون أنه ليس أكثر من (خط) لا عمق له . تحصيناته سيئـــة الالتصاق ، لا يصلح إلا لقتال معين، ولم يراع في بنائه وجود الطيران، ولا القصف الانقضاضي الذي يستطيع تدمير المدرعات الأرضيـــة والبحرية على السواء ، ولا الفرق التي تنزلها الطائرات الضخمة ، وكان أركان الجيش يعتبرون أن الحاجز المضاد للدبابات هزيل للغاية، والفرجات غير فعالة على الاطلاق وميادين الرمـــاية يمكن تعطيلها بالقصف المدفعي، ومقدرة التحصينات النارية ضئيلة بالنسبة لضخامتها ونفقاتهـــا .



حاملة الطائرات ش • م • س آرك رويال ، التي انتهى انجازها عام ١٩٣٨، وأغرقتهـــا الغواصات الألمـــانية في ١٩٤١ .



وقد وصف هؤلاء الأركان الخط أيضاً بأنه (ملجأ ممتاز) و (من الحمق أن يقال أنه منيع) . وهـذا ما سيثبت بالبرهان منذ أول أيار ١٩٤٠ ، وهو اليوم الذي استولت فيه القوات الجوية الألمانية على حصن (ايبن ـ امايل) خلال أربع ساعات، علماً بأن هذا الحصن ، كان يعتبر بنظر الفرنسيين ، من أقوى المنشآت العسكرية ، وهو الركن الشمالي في الدفاع عن مدينة (لييج) .

وإذا كان قـد غرب عن بال الأدمغة العسكرية الفرنسية اختراع الطائرة ، فإنه لم يغرب عن بالهـا أن خط ماجينو ينتهي في (مونميدي)، وان مشروعاً أعد لتزويده بخط ثان يحول دون وصول العدو الى الحوض الباريسي . لكن هذا المشروع ظل طي الأدراج لسببين اثنين : السبب الأول مالي ، والسبب الثاني أن (ازدواجية) الخط من شأنها أن تبتلع الجيش الفرنسي ، مع العلم أن الغاية من التحصينات ، أي تحصينات ، هي توفير الرجـال الى أقصى قدر ممكن . وكان خط ماجينو يتطلب ، على نقيض ما درجت العادة عليه ، فرقاً عديدة متخصصة لحمايته ، وهكذا أصبح رؤساء دفعات خريجي (سان ـ سير) يتخرجون ، لا بين الجدران الأربعـة ، بل داخل التحصينات وخلف الباطون المسلح ، وكان الخط يجمد ٢١ فرقة

من فرق النخبة في سراديبه ، وكان تمديد الخط الى ثلاثة أضعافه يعني تجميد أكثر من ثلثي الوحدات الكبيرة .

وأكثر من ذلك فإن خط (ماجينو) الذي كانت الغاية من إنشائه الحماية ، بات هو بمسيس الحاجة الى حماية ، ولعل هذا ما ضاعف من افتقار القوات الفرنسية الى المرونة وسرعة الحركة . وعلى الرغم من ذلك كان الإيمان بهذا الخط عقيدة تفرض على كبار الضباط. ويذكر في هذا المجال أن (الدوق وندسور) زار الخط ، وأعجب به ، ولما التقى أحد قواد الفيالق راح هذا الأخير يخفف من حماسة الدوق وإعجابه فتناهى الأمر الى (غاملان) في أثناء إقامة مأدبة تكريمية للدوق ، مما حدا به، أي بغاملان، الى الاتصال حالاً بقائد الفيلق ، واعفائه من منصبه بتهمة (الهرطقة) .

كان خط (ماجينو) يمتد داخل فرنسا على مسافة ١٢ كيلومتراً تقريباً ، وكانت كل فرقة ترسل الى المقدمة مجموعة استطلاع ترافقها كتيبة أو كتيبتان تشكل ستاراً دفاعياً واهناً ينقسم هو نفسه الى خط تجمع والى سلسلة من مفارز الأمان تجد نفسها في النهاية وحيدة على خط التماس ، تارة في هدوء تام ، وطوراً في جو ملبد كما كان يحصل في قطاع (آباخ) على مقربة من حدود لوكسمبورغ ، وقطاع يقع جنوبي (فورباخ). وكان الألمان في هذين القطاعين يقومون ببعض الهجمات حيث يستولون على بعض المواقع الرشاشة والهاونات ، ويحتلون بعض المراكز، فيما كان الفرنسيون يقصرون أعمالهم على نصب الكمائن ، وكان مقابل كل مائة أسير الماني يتم أسر ٣ آلاف فرنسي، وكانت القيادة تردد دوماً بأنها لا تسعى الى توسيع رقعة الاشتباكات لأن مصلحتها تقضي بالقتال على جبهة واحدة فقط .

ولعل من بين المآخذ على الجيش الفرنسي إخلاؤه المدن والقرى وإقامته مناطق فراغ بين مفارز التغطية والخط ذاته ، في حين بقي المدنيون الألمان في بيوتهم . وقد سبب ذلك الإخلاء الكثير من عمليات السلب والنهب ، وقد كلفت بعض حواجز الدرك مثلاً بحماية مدينة (ستراسبورغ) التي تحولت هي بدورها الى مدينة أشباح ، من تلك العمليات ، ولم يخف أبناء (الألزاس) و(اللورين) امتعاضهم الشديد من بعض الفرنسيين الذين يسوؤهم أن يتكلم بعض الفرنسيين الآخرين اللغة الألمانية ، وقد زاد في امتعاضهم هذا كونهم مبعدين الى جنوب غربي فرنسا .

عجيب أمر هذه الحرب ! انها حرب ولا حرب في آن واحد . بصورة أوضح ربما كانت سوء تفاهم ، ولكنه يدعو الى الضحك . وفي السادس من تشرين الأول



« إنّني أتولّى منذ الساعة قيادة القوّات المسلّحة كلّها بنفسي . وتخضع إدارة القوّات المسلّحة المركزيّة لقيادتي المباشرة ، فتكون بمثابة أركان حربي العسكريّة » .

في تموز ١٩٣٩ . ويبدو « هتلر » في جولة تفتيشيّة في خطّ « سيغفريد » تجاه خطّ « ماجينو » .

عرض هتلر بعض عروضه السلمية أمام البرلمان الألماني ، لكن الرفض كان هو جواب الفرنسيين والانكليز ، ورغم هذا الرفض كانت المعارك قد توقفت موحية للبعض أن هناك مفاوضات تجري بصورة سرية . وفي أي حال ، كان ثمة اعتقاد راسخ بأن خطي (ماجينو) و (سيغفريد) هما من المناعة بحيث أن من يبادر الى الهجوم سيندفع حتماً نحو كارثة ، ولعل هذا ما جعل النزاع يقتصر على النزاع الكلامي والاقتصادي ، وبالنتيجة لا يسقط هتلر سوى الدعاية والحصار .

لقد كانت الصفة المميزة عند الجيش الفرنسي هي الخمول الناتج عن الشك والسأم، والناتج عن اعتقادهم المؤكد بأنهم سوف يسرحون قبل أن يقاتلوا ، ومما زاد في خمولهم الترف في التغذية ، وكيف لا يفعل الجنود وصغار الضباط ذلك طالما أن مقرات القيادة تتسابق على رؤساء كبار المطاعم الباريسية ، وتطلب السمك النهري الطازج

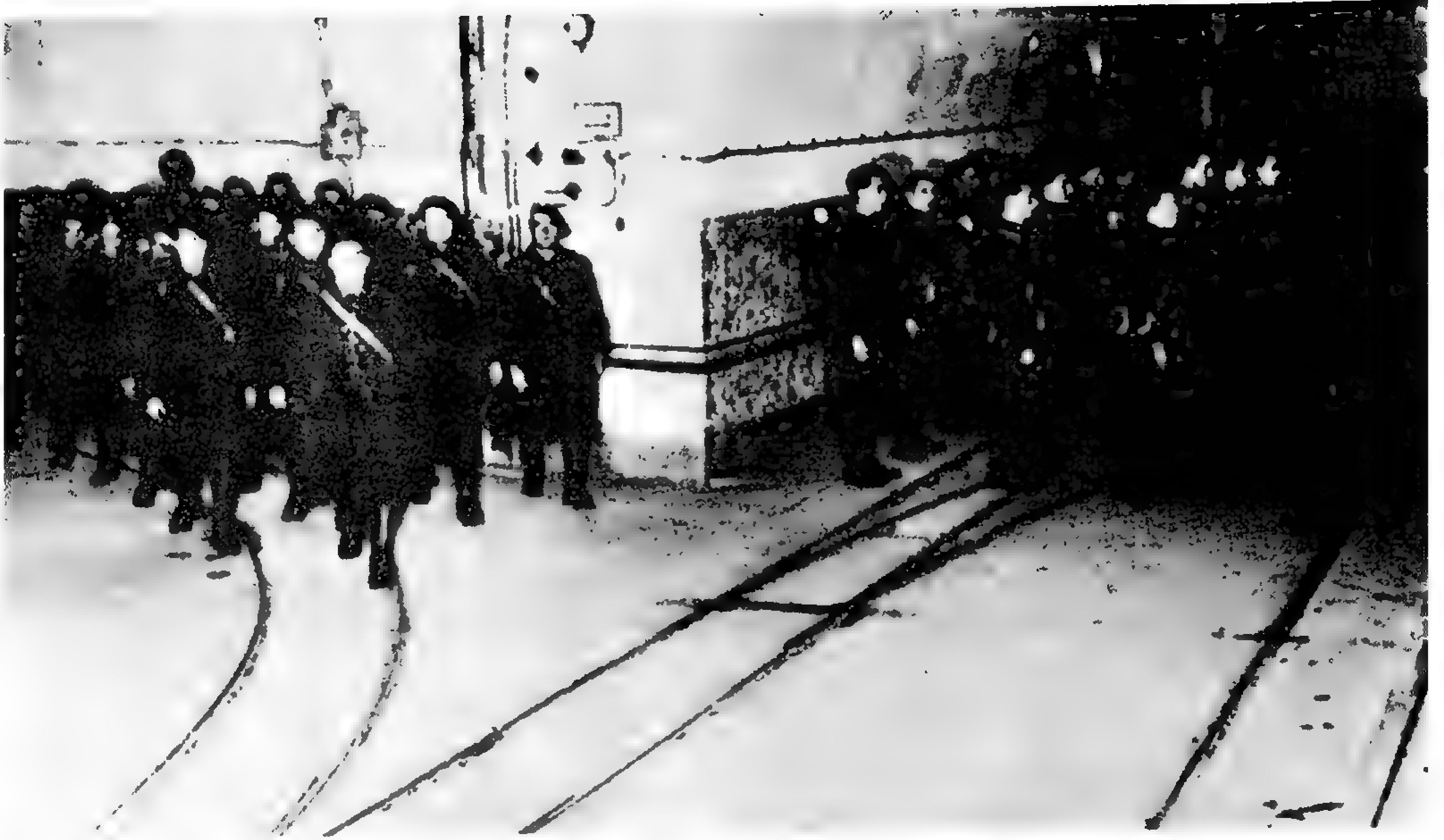
من (الفوج) ، وسمك (الشبوط) من بولونيــا .

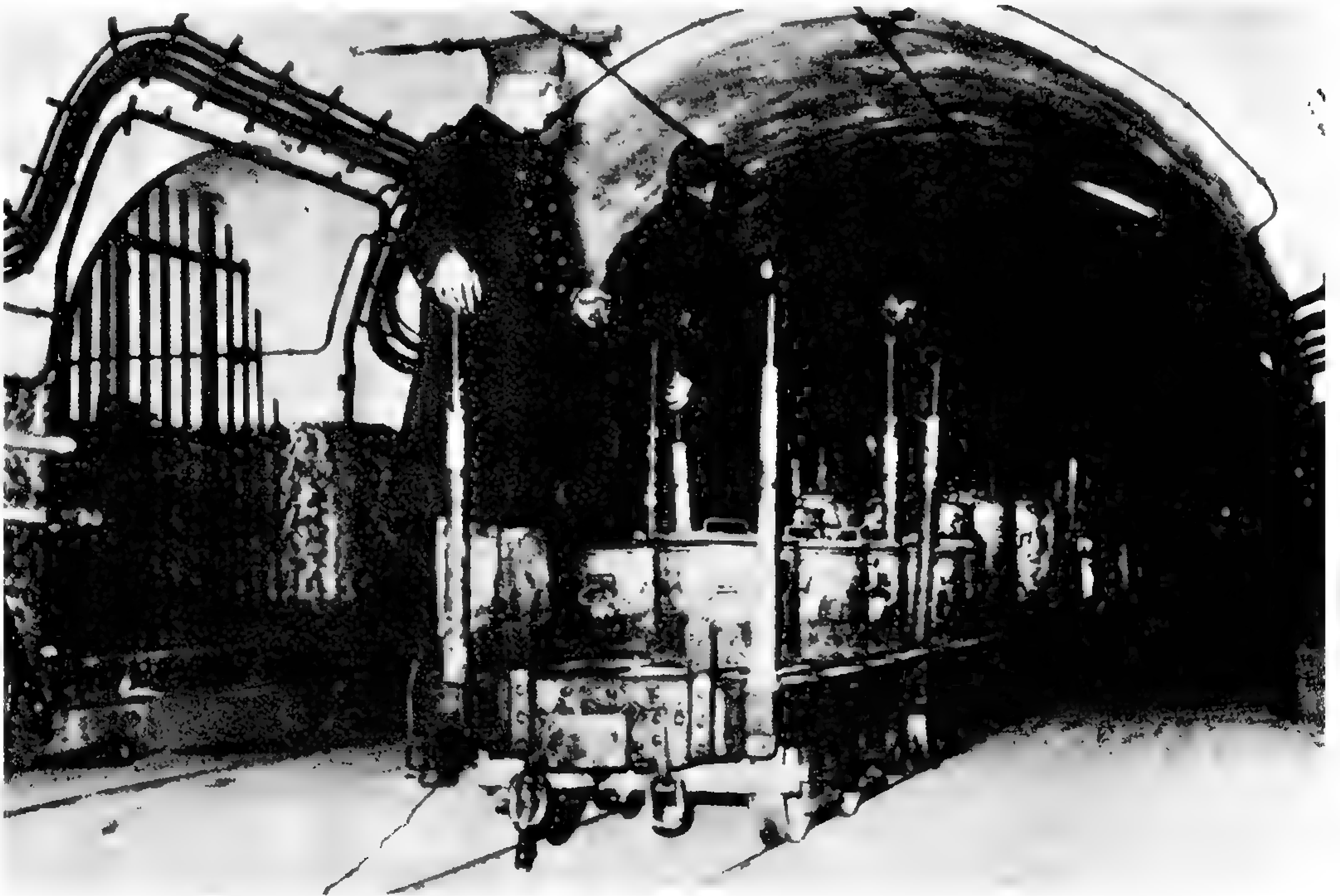
كان على الجيش الفرنسي أن يستغل فترة الهدوء لكي يضاعف من قوته ، ويبني نفسه بناء متيناً ، وأن يفيد من الدرس المجـاني الذي تلقاه من الجيش الألماني في (بولونيا) عندما عرض عليه أساليبه في القتال ، لكن ما جرى هو عكس ذلك تماماً، فلا هو أفاد من فترة الهدوء ، ولا هو أفاد من الدرس المجـاني .

ومنذ تشرين الأول انكب العسكريون على دراسة (حملة بولونيا)، وتحليلها انطلاقاً من نظريات القواد الكبار الجامدة ، ولعل هذا ما جعل الدراسة الفرنسية للحملة هي دون الدراسة الألمانيــة التي ارتفعت الى مستوى عال من الاستنتاجات، وفي مقدمها افلاس نظرية الدفـاع المعتمد على الخطوط بصورة كليـة ، وتفوق السرعة على كثافة النار الخ .. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن العسكريون الفرنسيون من تعداد مميزات الحملة ، فأظهروا ، في تقريرهم، ان الانتصار الألماني على بولونيـا يعود الفضل فيه للفرق المصفحة العامـلة مع الطيران وأبرز التقرير بوضوح أنه لم يكن هناك جيش ألماني واحد، وإنما جيشان : جيش المشاة والمدفعيـــة ، وجيش الدبابات والطائرات . وكل من هذين الجيشين يعمل بسرعته الخاصـة بمعزل عن الثاني . وتطرق التقرير الى التفاصيـــل ،



. أحد محاربي الانكليز عام ١٩١٤ ، يطالب بدخول بريطانيا وفرنسا الحرب لانقاذ بولندا كمــا دخلوا ذلـك العام بقوة .





خط ماجينو ـ وقد ظهرت المتاريس الفرنسية التي اقيمت عام ١٩٣٠ في شرق الحدود الالمانية .

والذي ظهر عدم مقاومته فيما بعد عام ١٩٤٠ حيث دخل الجيش الالماني عبره بسهولة .



أحد الطيارين البريطانيين يرتـدي بزة الطيران وكمامة الاوكسجين قبـل صعوده الى طائرة مـن نـوع هوكر هوريكن .

ولا سيما الى تحرك فرقة الدبابات الثالثة التي اقتحمت (ملافـــا) ثم استدارت لتطهير ضفتي نهر (الناريف) قبل أن ترتد نحو فرصوفيا فتداهمها من الوراء ، والى تحرك الفرقة الخامسة التي اكتسحت (غاليسيا)



مصنــع للطـيران فـي بريطانيـا

و(لفوف) على بعد ٣٠٠ كلم من نقطـــة انطلاقها قادمة من سلوفاكيا ، ثم ارتدت فيما بعد نحو فرصوفيا .

وقد تعمد التقرير تسجيل كل ملاحظة هامــة ، من نتائج القصف الانقضاضي على معنويات الجنود الى استخدام المظليين ، الى شل التحركات العسكرية بسبب تهـافت اللاجئين على الطرقات . ولعل أوضح دليل على تخبط القيادة أن هذا التقرير لم يصل الى بعض الأركان إلا خلال معركة أيار ، حيث انتفت الجدوى منه .

لم تشأ القيادة الفرنسية أن تعير ما ورد في هـــذا التقرير أي اهتمام ، وقد جاهر المكتب الثالث ، وهو صاحب السلطة العليا الحاسمة ، بالقول ان ما جرى في بولونيا لا يصح اعتباره أساساً لتدريب الجيش الفرنسي في فصل الشتاء بحجة اختلاف الظروف . ففي بولونيا واجه المانيـــا جيش بدائي ، مفكك القيادة ، مفتقر الى العتاد الكامل والضروري ، ويرغم على تأمين جبهـات تفوق قدرتـــه في أرض تفتقر الى المواقع الدفاعية ، أما في فرنسا فستجد المانيا نفسها أمام جيش حديث مكتمل العدة والعدد ، يركز مواقعه في ميدان مجزأ ، ويعتمد على خط دفاعي حصين مهما قيل فيـــه خلاف ذلك . وأفضل دليل على اختلاف الظروف هو أن هتلر يعتمد سياســة الانقضاض لا الهجوم ، ولذلك فهو أمام فرنسا يتريث ، وان كانت بولونيا أخذت انقضاضاً .

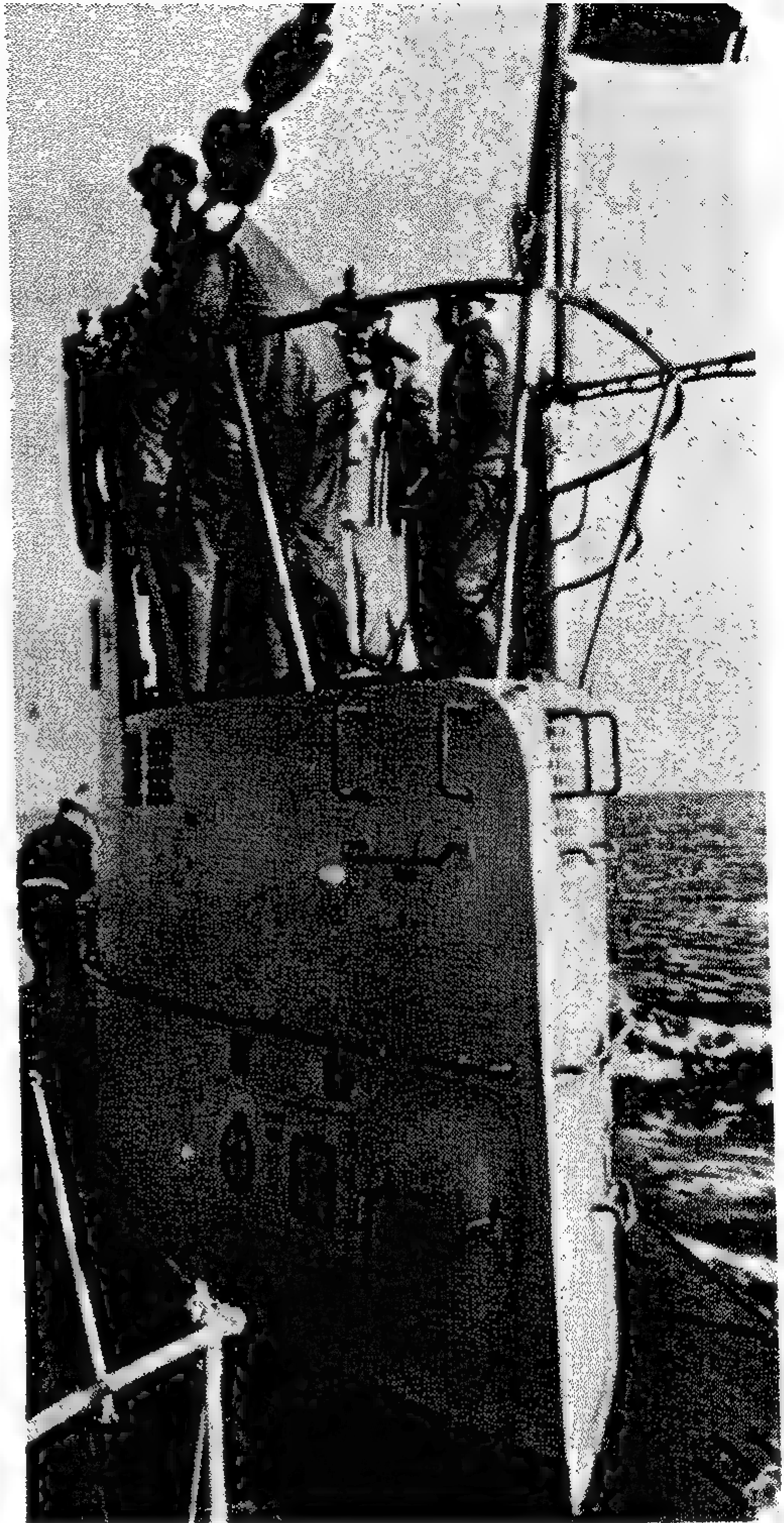
كان قرار الحاق الهزيمة بفرنسا قد اتخذ قبل انتهاء الحملة البولونية ، وفي ٢٧ أيلول وقع هتلر أول أمر له بالهجوم على ذلك الجيش الحسن القيادة ، والعتاد والمراكز ، والتحصينات، وفي مقدمها خط (ماجينو)، والمختلف عن الجيش الذي واجهه في بولونيا. وكان من المفروض أن يبدأ الهجوم في ١٢ تشرين الثاني ، وتحديداً قبل بزوغ الشمس بربع ساعة .



احدى المجلات الكاريكاتورية الألمانية تظهر محاكمة صورية لتشرشل بعد إغراق البريطانيين سفينة المانية ومقتل ١١٢ من بحارتها .

ويبدو أن طموح هتلر لم يثر حماسة قواد الجيش الألماني عندما صارحهم به في ٢٧ أيلول ، لأسباب منها أن فرصوفيا كانت ما تزال تقاوم، وأن هذا الطموح غير متناسب مع الامكانات الراهنة . ولكن الجلسات المتكررة التي عقدت في مقر المستشارية الجديد ، وصدور التعليمات رقم ٦ المتعلقة بسير الحرب، وصدور أمر ٢٧ تشرين الأول مؤخراً ، كل ذلك أقنع جنرالات الجيش الألماني بأن الفوهرر عازم فعلاً على إلحاق الهزيمة بفرنسا ، واتباعه في الغرب نفس الأسلوب الذي أتبعه في الشرق وهو أسلوب الانقضاض .

بينما كانت القوات الألمانية العائدة من (بولونيا) بالقطارات والسيارات تتجمع على نهر الرين كان (براوشيتش) يتفقد مراكز قيادته ، وقد خرج من هذه الجولة بقناعة من أن الجميع يعارضون (طموح) هتلر ، ويعتبرون أن الهجوم في ١٢ تشرين الثاني جنون ، ورأى براوشيتش أن من واجبه معارضة الهجوم ، واطلاع الفوهرر على الأمر ، وقد كان ذلك في الخامس من تشرين الثاني، وهو اليوم الذي كان من المقرر فيه أن يبت مصير الهجوم ظهراً . وفي أثناء المقابلة التي قبل بها هتلر على مضض ، راح براوشيتش يعلل له أسباب معارضته الهجوم غرباً ، مشيراً الى أن الجيش الفرنسي قوي جداً في حين أن الجيش الألماني يفتقر الى الصلابة اللازمة ، كما يفتقر الى المدفعية



سفينة المانية « باوت يو » على شكل حرف يو .

الثقيلة والذخائر الكفيلة بدك التحصينات الفرنسية ، ومشيراً كذلك الى أن ما حصل في بولونيا يجب ألا يخدع أحداً ، وفي ختام المذكرة قدم «براوشيتش» للفوهرر نصيحته باستغلال المانيا لتفوقها السياسي من أجل التفاوض على السلم من مركز قوة .

وما كاد « براوشيتش » ينهي كلامه ولا سيا عن الأعمال اللاأخلاقية التي ارتكبتها القوات الألمانية في بولونيا ، وعن « عصيان بعض الفرق المقاتلة » حتى أنهى الفوهرر ، بدوره ، فترة وجومه وصمته ، وانفجر غاضباً بعد أن انقضّ عليه وانتزع الورقة من بين يديه ومزقها وداسها، ثم نادى « كيتل» وهو يلعن الجنرالات وجبنهم ، وكان « براوشيتش » قد أصبح خارجاً يقبع في غرفة الانتظار بادي التأثر الى حد الهلع والانهيار . وعندما خرج « كيتل » كانت الساعة تجاوزت الظهر ، فالتقى الكولونيل « فارليمونت » الذي كان ينتظر عند الباب، فذكره هذا الأخير بأن الموعد المحدد لتثبيت الهجوم أو إلغائه قد انقضى ، فما كان من كيتل إلا أن دخل مجدداً على الفوهرر ليخرج فيما بعد ويعلن بأن أمر الهجوم في اليوم المحدد قد ثبت. ولشد ما كانت دهشة الضابط ، الذي تلقى النبأ هاتفياً من « فارليموت » ، عظيمة ، وقال لمحدثه : « لكن براوشيتش قصد الى الفوهرر ليشرح له تعذر الهجوم » ، فأجابه « فارليمونت » بأن الكولونيل ـ جنرال أخفق في ثني الفوهرر عن عزمه، وعندما قدم براوشيتش استقالته لزعيم الرايخ بادره هذا بالقول : « ان الجنود العاديين ، في الخنادق ، لا يستقيلون » وهكذا بقي براوشيتش في منصبه مكرهاً ، ويحضر خططاً لا يوافق عليها من الأساس .

لقد كان على الجيش الألماني ، بموجب خطة هجوم ١٢ تشرين الثاني التي وضعت

في ١٩ تشرين الأول ، أن يدخل الى البلدان الثلاثة التي أعلن هتلر عن عزمه على احترام حيادها لشهر خلا وهي : هولندا ، بلجيكا ، ولوكسمبورغ ، وكانت « لياج » تشكل مركز الثقل . وكان على « المجموعة ب » ، بقيادة « فون بوك » أن تغزو شواطىء بحر الشمال كي توفر للبحرية والطيران قاعدة بحرية وجوية ضد انكلترا ، كما كان على









١ ــ فيلد مارشال وولتر فون بروشيتش .

٢ ــ جنرال فون روشتديت .

٣ ــ جنرال اوالد فون كلايست .

٤ ــ جنرال ايريش فون مينستين .

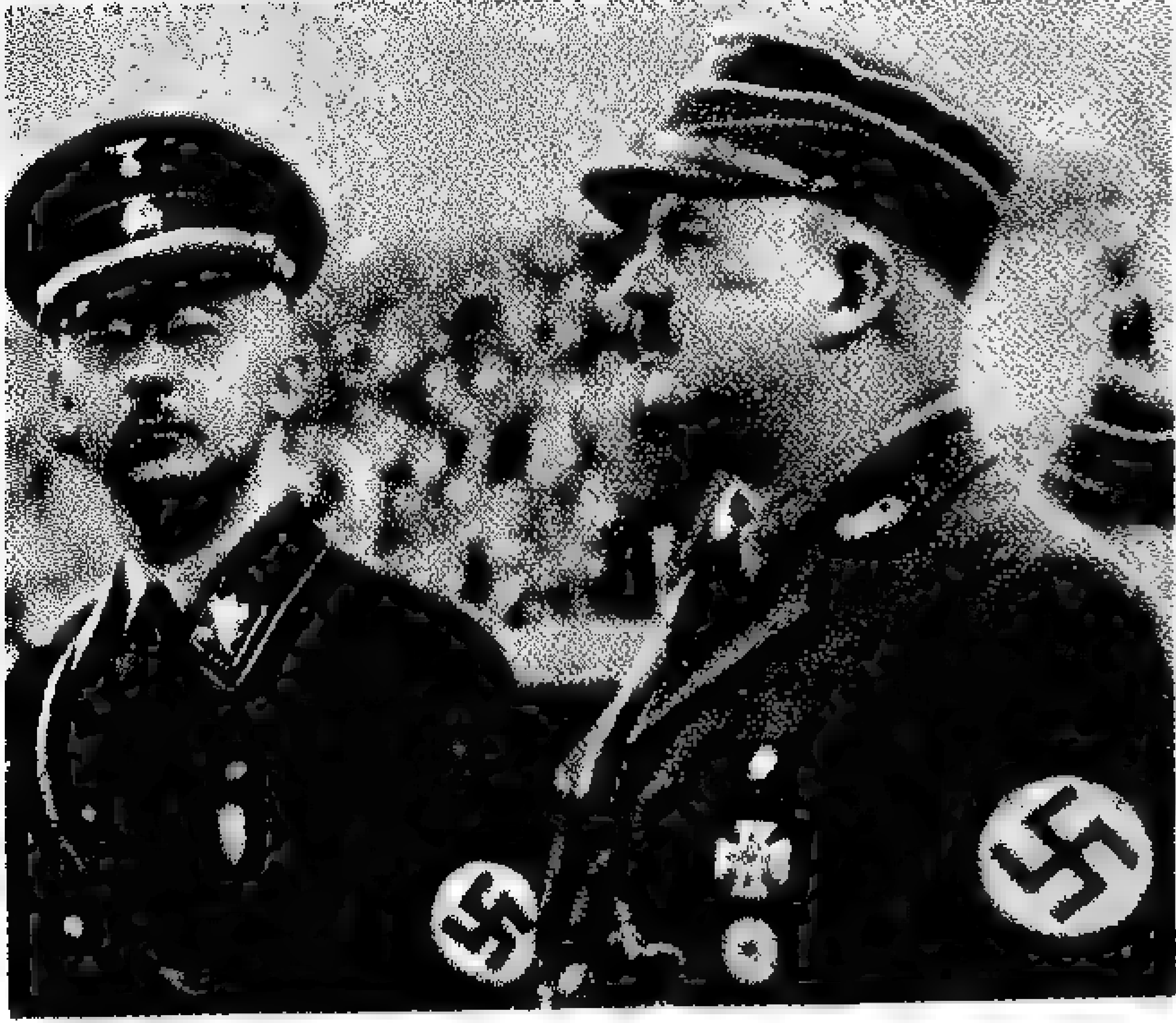
من القادة الالمان الكبار .

« المجموعة أ » ، بقيادة « فون روندشتاد » أن تقوم بدور هجومي أصغر وهو عبور « الأردين » واختراق نهر « الموز » ، أما « المجموعة ج »، وهي مجموعة الجيوش الثالثة بقيادة « فون ليب » فكان دورها ينحصر في المحافظة على الجبهة الممتدة من لوكسمبورغ الى سويسرا .

لكن هتلر لم يكن راضياً تماماً عن الخطة، فقال لمرافقيه « كيتل » و « جودل » أن الأركان العامة تحذو حذو « شليفن »، وان المفاجأة التي أحدثها توسيع الجناح الأيمن الألماني عام ١٩١٤ على يد هذا القائد لا يمكن أن تتكرر على أساس أن القيادة الفرنسية تنتظر الهجوم من ناحية بلجيكا هذه المرة ، وقد حشدت قواتها من « الأردين » حتى بحر الشمال ، ونبه هتلر قواده الى المجابهة القاسية التي ستنشأ عن تكرار خطة شليفن .

وعلى الرغم من عدم اقتناعه الكامل ، ومن حدسه القوي عاد فقبل تطبيق خطة الأركان العامة متسلحاً بأفكار غامضة لا يوضحها إلا بتأملات منفردة وبأحاديث مبعثرة ، وقد قال عنه في هذا الصدد الجنرال الفرنسي « كولتز » بأنه « لم يكن اختصاصياً بالشكل الذي يمكنه من الإفصاح مباشرة عن فكرة العمليات المتولدة في نفسه » . وبالفعل لم يكن هتلر يتصرف بصفته قائداً عسكرياً فحسب ، بل بصفته كذلك كزعيم غامض الأفكار . وكانت

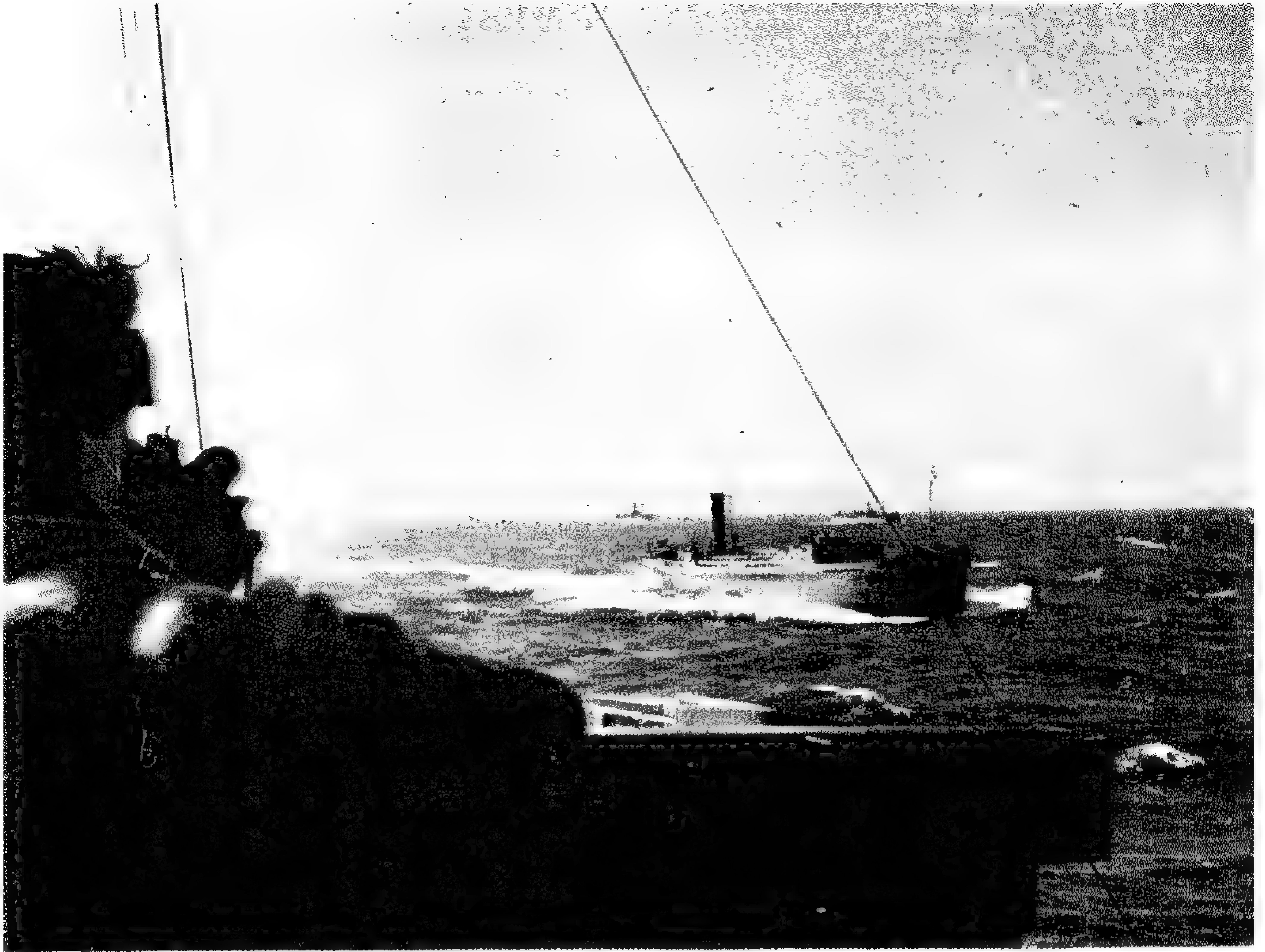
"هملر"، قائد فرق الصّاعقة و"روهم" الذي أمر "هتلر" باغتياله وألفاً من أتباعه



فكرة اختراق ممر « سيدان » قد طرأت على باله هو قبل سواه ، ولكنها ظلت تختمر في ذهنه فترة طويلة، وستتطرق الى هذه الخطة وتطوراتها في الفصل القادم .

وفي ٢٣ تشرين ، وعلى أثر زيارة « براوشيتش » الفاشلة للفوهرر، والتي خرج منها « براوشيتش » جريح الكرامة وجه هتلر تأنيباً عنيفاً الى قواد الجيش المجتمعين في المستشارية وقد وصف « هالدر » حديث هتلر في تلك اللحظات بقوله : « لقد نبح هتلر في وجه القواد. هذا ما حصل تماماً ».

وعلى الرغم من هذا « النباح » الهتلري فقد ظل بعض هؤلاء القواد على معارضتهم للخطة الهتلرية ، الى حد أن « ليب » مثلاً طرح فكرة ضرب القيادة العليا بغية تفشيل



انقاذ احدى السفن التجارية بعد
إصابتها بمدافع القوات الالمانية .

مشروع الهجوم ، لكن سطوة هتلر كانت أقوى من كل الأصوات المعارضة ونظام الطاعة يقيد الأكثرية الساحقة من الجنود...

ان تأجيل خطة الهجوم قد تم أكثر من مرة ، بل مرات عديدة . والمرة الأولى أجّل فيها من ٧ تشرين الثاني الى ٩ منه ، ثم الى ١٣ فـ ١٦ ، فـ ٢٠ ، فـ ٢٧ ، فـ ٢٩ ، فـ ٤ كانون الأول ، فـ ٦ منه ، فـ ١٢ ، وكان هتلر، بعد التأجيلات الأربعة الأولى، قد بدأت الظنون تساوره من احتمال إقدام قواد البر على رشوة موظفي الأحوال الجوية، فعمد الى تكليف الطيران الألماني إصدار نشرتين جويتين في النهار الواحد ، لكن رجال الجو لم يكونوا أقل تشاؤماً من رجال البر حيال الأحوال الجوية .

كان المطر ينهمر سيولاً جارفة . والجند في « الألزاس » و« الأردين » مقوسو الظهور تحت سياط المطر ، ورائحة العفن تفوح من مخازن قش الأسرة ، وخيول المدفعية تنفق بالألوف بسبب المرض أو الإهمال ، وقد جاءت رداءة الطقس لتبرر إلغاء التمارين وتعليق أعمال تنظيم الميدان ، الأمر الذي

أدى الى زحمة في مقاهي القرى حيث كان الجند يمضون معظم أوقاتهم في الضجر والملل .

لقد كان هتلر يتمنى طقساً جيداً كي تتمكن المصفحات والطائرات من إتيان إنجازات شبيهة بإنجازات الصيف الباهرة في بولونيا ، لكن قاتل الله الخريف فقد جاء تشرين الثاني مكفهراً ، غزير الأمطار ، فارتفع منسوب الأنهار ، وشكلت الفيضانات عوائق طبيعية في طريق الدبابات . وجاءت النشرة الجوية لتعلن بأن موجة من الغيوم الكثيفة آتية من الأطلسي تنذر بفيضانات جديدة في غضون الأيام المقبلة . وهذا الجو بالذات لعب دوراً رئيسياً في تأجيل الهجوم نحو الغرب .

في ٣ أيلول أعلنت حالة الحرب . وبعد ١٠ ساعات انفجرت سفينة النقل الانكليزية « أثينيا » من فئة ١٣٥٠٠ طن وهي في طريقها الى نيويورك . وهكذا بدأت الحرب بحرية في البداية في حين كانت العمليات البرية منعدمة . وكان من نتيجة تدمير هذه السفينة سقوط ١١٢ ضحية بينهم ٢٨ أميركياً . وفي اليوم التالي وجه المسؤولون الألمان أصابع الاتهام الى تشرشل بأنه يهدف من وراء إغراق السفينة ، لا تعريض حياة ١٥٠٠ شخص للخطر فحسب ، وإنما إثارة النزاع أيضاً بين المانيا والولايات المتحدة . وقد اعترض تشرشل ، الذي كان قد عاد الى المنصب الذي احتله سنة ١٩١٤ كلورد أول للاميرالية ، على هذا الاتهام بشدة ، وان كان هذا الاعتراض لم يزل الشكوك من النفوس . والحقيقة ان الاتهام الألماني كان كذبة المانية ، أو خدعة ، فالذي أغرق السفينة ، ليس تشرشل ، وإنما الليوتنان « لمب » قائد الغواصة الألمانية « او ٣٠ » ، وهذا ما كشفته فيما بعد وثائق محاكمة نورنبرغ .

ولم يمض يومان على نسف « أثينيا » وفرض عقاب تأديبي على « لمب » لبدئه العدوان دون انذار ، حتى أغرقت سفينة ثانية هي « رويال سبكتر » ، لكن الفاعلين هذه المرة لم يستطيعوا ، أو لم يشاؤوا تزوير الحقيقة ، فوجه قائد الغواصة الألمانية « او ٤٨ » الليوتنان الشاب « هربرت شولتزي » اعلاماً مباشراً الى تشرشل جاء فيه : « بلغوا السيد تشرشل أننا أغرقنا السفينة البريطانية « رويال سبكتر » في المكان الفلاني . « الرجاء التقاط البحارة » . وبعد « رويال سبكتر » كرت السبحة حتى وصل عدد السفن البريطانية التي دمرتها غواصات هتلر ٢٦٠٣ سفن في الفترة الممتدة من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥ .

كان الاعتقاد السائد في أوساط القيادة البحرية الألمانية هو نفس الاعتقاد السائد في أوساط قيادة الجيش من أن الحرب بدأت قبل أوانها ، فالمانيا ليس عندها سوى

أسطول عائم ضعيف مؤلف من ثلاث بوارج صغيرة هي : « أدميرال غراف شبي » و« أدميرال شير » و « دويتشلند » ، الواحدة منها من وزن ١٠ آلاف طن ، وذلك طبقاً لشروط اتفاقية فرساي ، ومن طرادين من فئة ٢٦ ألف طن هما : « شارنهورست » و« غنازناو » ، ومن طراد ثقيل هو « برنتز أوجين » ، ومن خمس طرادات خفيفة و٢٢ مدمرة . وكان قد تم الانتهاء في هذه الأثناء من بناء بارجتين هما : « بسمارك » و« تيربيتز » من فئة ٣٥ ألف طن ، كما بدأ العمل في بناء سفينتين أطلقا عليهما مؤقتاً اسم « ه » و « ي » .

هذا على صعيد سلاح البحرية ، أما على صعيد سلاح الغواصات فإن أول ظهور مجدد له تم عام ١٩٣٥ وعلى يد القائد «كارل دونيتز » الذي بنى أسطولاً صغيراً أطلق عليه اسم « فيدنجن » ، وهو مؤلف من ثلاث قطع صغيرة. وما مرت أربع سنوات حتى قفز عدد هذه الغواصات الى ٥٧ غواصة ، لكن نصفها كان كناية عن قطع خفيفة من دون فئة ٢٥٠ طناً ، ولا تصلح للاستعمال في المحيط الأطلسي .

هذا من الناحية الألمانية ، أما من الناحية البريطانية فإن أسطول عام ١٩١٤ قد زال تماماً بعماراته البحرية الثاني ، وسفنه المقاتلة الثاني أيضاً ، وبوشر بوضع مخطط عام لاعادة تنظيم التسليح البحري . فأصبح الأسطول الثقيل مؤلفاً من ١٣ قطعة تعود الى الحرب العالمية الأولى ، ولم تظهر البوارج من فئة « الملك جورج الخامس » والطائرات من طراز « الوستريوس » إلا في عام ١٩٤١ ، وإضافة الى القطع الـ ١٣ (١٠ بوارج و٣ طرادات) كانت هناك ست حاملات للطائرات منها خمس كانت بوارج في الأصل ، وسفينتان وحيدتان بنيتا عام ١٩١٩ وهما « نلسون » و« رودني » .

واذا كان ملاك العمارات البريطانية الكبرى غير كاف فإن ملاك العمارات الصغرى كان ما يزال ممتازاً ، وهو مؤلف من ١٥ طراداً فئة الـ ٨ بوصات ، و٤٩ طراداً فئة الـ ٦ بوصات ، و١٨٤ مدمرة ، و٣٨ سفينة شراعية ، ولكن هذا الملاك كان عليه مسؤوليات عظمى تقضي بحراسة طرقات بحرية في جميع أنحاء الأرض ، وحماية ما لا يقل عن ٢٥٠٠ سفينة تجارية بريطانية تتجول عبر البحار كل يوم .

وكان على هذا الملاك أن يواجه مسؤوليات أخرى فيما لو أن ايطاليا قد دخلت الحرب ، وهي ذات القوة البحرية الحديثة التي لا يستهان بها ، والمؤلفة من أربع بوارج جديدة بينها « فيتوريو فينيتو » و« ليتوريو » ذات حمولة ٣٥ الف طن ، و ٧ طرادات ثقيلة ، و١٢ طراداً خفيفاً ، و ٥٩ مدمرة ، و٦٩ زورقاً نسافاً ، و ٢٠٥ غواصات . ومن حسن حظ بريطانيا ان موسوليني كان

حيادياً الأمر الذي جمد هذا الأسطول الحربي الهام، ودفع فرنسا الى الانضمام للحرب ضد المانيا بأسطول مؤلف من ٣ بوارج قديمة وسفينتين من فئة ٢٦ الف طن هما «دنكرك» و« ستراسبورغ » ، وسفينتين أخريين قيد الانجاز هما : « ريشيليو » و« جان ـ بار » من حمولة ٣٥ الف طن ، و ١٨ طراداً ثقيلاً جديداً ، و ٢٨ مطارداً للنسافات ، منها ٢٤ قيد الانجاز، كانت ، في نظر الانكليز ، طرادات خفيفة ، إلا أن الأسطول الفرنسي بجمله كان يشكل أكبر قوة بحرية فرنسية منذ العهود الملكية ، والفضل في ذلك لوزير البحرية الراحل « جورج ليك » ورئيس الأركان « فرانسوا دارلان » .

كانت السفن البريطانية تدمر بصورة مستمرة وغامضة ، الواحدة تلو الأخرى ، على طول الشاطىء وفي نهر التاميز حيث دمرت ست سفن دفعة واحدة ، ولم تسلم البارجة الضخمة نلسون من عمليات التفجر.. وذلك عندما دخل لورد البحر الأول الأميرال السير « دادلي باوند » على تشرشل ذات مساء ، وأخبره ، بكثير من الحنق والذهول ، بأن الألمان يملكون سلاحاً سرياً يكاد يقضي على الأسطول الانكليزي ، وأبلغه بأنه يستحيل القيام بعمليات ما لم يتم التوصل الى اكتشاف هذا السلاح ومعرفة حقيقته .

وفي ٢٢ تشرين الثاني بالذات جاء من « ساوث اند » ، وهي مدخل « التاميز » ،





المايجور ادولف غالانت أحد أعظم الطيارين الالمان .

الليوتنانت كولونيل ورنر مولدرز والذي اسقط ٥٥ طائرة بريطانية وهو من أفضل الطيارين الالمان .

نبأ يقول أن المدفعيـــة المضادة للطائرات تصدت لطائرة ألمانيـة سرعان ما أفرغت « أشياء » ضخمة ، استقر أحدها في وحول « شوبورنيبس » ، ولم يلبث أن ظهر بعـد انحسار حركة الجزر ، الأمر الذي أدى الى إرسال اختصاصيين في الألغام هما : «أوفري» و« لويس » ، من « وولوتيش » حيث اهتديا الى « الشيء الضخم » وأسرعا في نزع فتيل الاشعال في ذلك الليـل الجليدي المدلهم . وهنا شاء الحظ أن يلعب دوره ، فقد نسي الألمان ، لشدة ارتباكهم ، إشعال جهـاز التدمير الذاتي في (الشيء الضخم) بعـد تصدي المدفعية المضادة لهم ، وهكذا حل الاختصاصيان الى (ساوث اند) أول سلاح سري نازي هو اللغم المغناطيسي . ولتجنب مزيد من تدمير السفن ، في هـذه الحالة ، كان على الانـكليز أن يزيلوا مغنطة السفن حتى يبطلوا مفعول تلك الألغام الجهنمية التي كانت تزرع في المياه القليلة العمق .

كان على بريطانيا أن تحمي قواتها العابرة الى أوروبا ، وأن تشدد الخناق على ألمانيا . فحققت الهـدف الأول دون خسـارة ، وباشرت في تحقيق الهدف الثاني ، وذلك عن طريق تنظيم حقل الألغام الشاسع الذي زرع عـام ١٩١٨ بـين (سكوتلاندا) و(النروج)، وعن طريق تعديل (الدورية الشبح) ، وهي مجموعة الطرادات المساعدة المكلفة بحراسة المياه المضطربة في خط



العرض ٦٠ ، والتي تمكنت ليل ٢٣ تشرين الثاني ، من تدمير (روالبندي) احدى السفن الألمانية المجندة ، وقد لعبت الدور الأكبر في عمليـــة التدمير هذه السفينة (شارنهورست) .

وابتدأت حرب الغواصات. كانت أشبه بقوافل. وكانت السفن قطعاناً رعاتها البوارج والطرادات ، وكلاهما الحارسة بمجموعة من المدمرات وقوارب الصيد المسلحة، والقوارب الشرعية الحربية . ومع هذه التظاهرات البحرية الحربيـــة بدأ تدمير السفن يتلاحق فبلغ عددهــــا في أيلول ٤١ سفينة ، وفي تشرين الأول ٢٧ ، وفي تشرين الثاني ٢١ ، وفي كانون الأول ٢٥ ، أي ما مجموعه ١١٤ سفينة حمولة ٤٢٠ الف طن . وقد تمت كل هذه الخسائر في عـام ١٩٣٩ ، وهو العام

الذي لم يكن من شبيه له في الحروب سوى عام ١٩١٦ . ولم يقتصر التدمير على السفن التجارية فحسب ، بل تعداهـا الى السفن الحربية مثل (كوريجوس) التي كانت تنعطف لهبوط الطائرات على متنها ، فإذا بالغواصة الألمانيـة (او ٢٩) بقيادة الكومندان (شوهارت) تنقض عليها وتغرقها .

وفي ١٤ تشرين الأول حصل انفجار في الساعة ٥٩و٠٠ في خليج (سكابافلو) حيث كانت ترسو البارجـة (رويال أوك) ، فظن الربان الذي أفاق من نومه في ذلك الصباح الباكر ، أن الانفجار لا يعدو كونه انفجاراً خفيفاً، وفيما هو يتفحص البارجة ، كان الليوتنان (غونتر برين) يستعد على متن غواصته (او ٤٧) على بعد ميلين للهجوم الثاني . وفي الساعـة ٢٧و١٠ انطلقت الطوربيدات مجدداً لتشق كبد (رويال أوك) وتغرقها ، وتغرق معها ٢٤ ضابطاً و٨٠٩ بحارة .

أوجـه شبه قليلة كانت بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٣٩، لا سيما دور الطيران الضعيف ، فقد حذرت الحكومة البريطانية من قصف السفن الألمانيـة الراسية داخل مرافئها ، ولكنها سمحت به في عرض البحر، وانطلاقاً من هذا القرار تجولت تشكيلات (ولنغتون) و(بلنهيم) في عرض (فيلهلمشافن) دون أن تعود بصيد وفير ، في حين أن الطائرات الألمانية كانت تهـاجم (سكابافلو) حيث





١ القائد ج. ف. وولكر ، ربان طاقم سفينة المانية من نوع يو .

٢ اوتو كريتشنر قائد طاقم سفينة يو . أسر عام ١٩٤١ .

غنتر براين قتل عام ١٩٤١ .

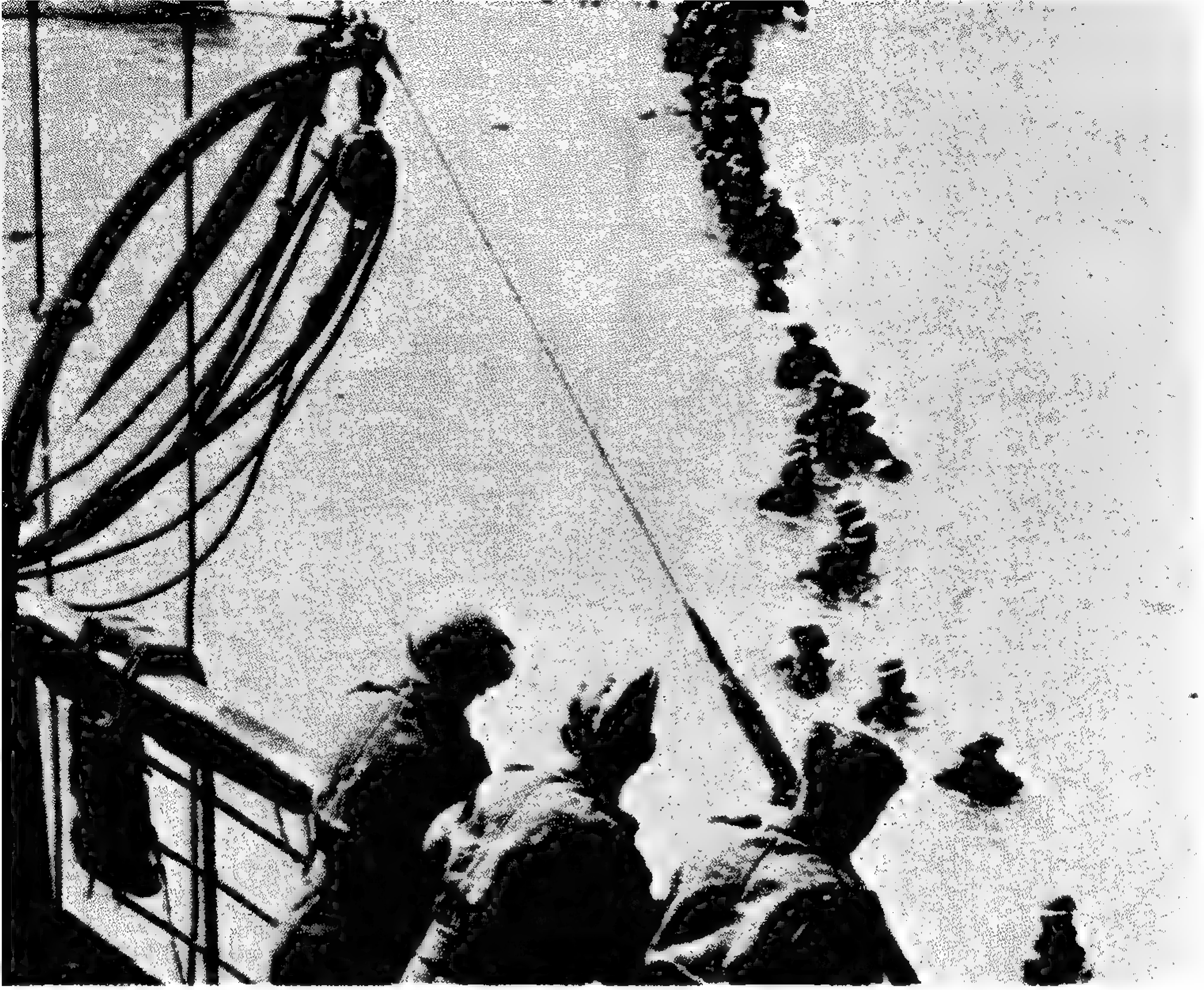
جنحت السفينة (ايرون ديوك) التي كانت قد حولت الى بطارية عائمة .

والشبه الآخر بين العامين يتمثل في المغيرين . بين مطاردة الـ (غراف شبي) و(دويتشلند) عام ١٩٣٩ ، ومطاردة (كونيكسبرغ) و(أمدن) عام ١٩١٤ . ففي أول تشرين الأول أغرقت البارجة (غراف شبي) السفينة التجارية (كليمان) بالقرب من البرازيل، وبعد ٢٠ يوماً أغرقت الباخرة (دويتشلند) السفينة التجارية النروجية (لورنتز هانسن) وفقاً لأقوال بعض الناجين منها . وهكذا تكون هناك بارجتان ألمانيتان تعملان بنشاط، الأولى في الأطلسي الشمالي ، والثانية في الأطلسي الجنوبي، وهما من أقوى البوارج على الاطلاق ، ومزودتين بمدافع من عيار ١١ بوصة، وبصفائح كثافتها ١٠ سنتمترات ، ومحركات تولد سرعة ٢٨ عقدة .

واذا كانت البارجتان شديدتي الشبه ، فإن ربانيهما كانا شديدي الاختلاف . فربان الـ (دويتشلاند) عاد الى (فلهلمشافن) منذ ١١ تشرين الثاني دون أن يوفق كثيراً، رغم أنه شديد الحذر ، أما ربان الثانية الكابتن (لانغسدورف) فكان شديد الفطنة، متصلباً في رأيه ، ولا يسف في معاملته ، فهو مثلاً لا يغرق السفن إلا بعد أن يتأكد من إخلائها كلياً ، ويحسن معاملة الأسرى ، ويعتز بعدم إقدامه على إراقة نقطة دم واحدة ، ويساير البحارة على متن (الثارك)، السفينة التي ترافق بارجته لتموينها .

لقد قرر الحلفاء أن يضعوا حداً نهائياً لهاتين البارجتين المقاتلتين ، فجندوا قوى هائلة لمقاتلتها، ثم استفراد الـ (غراف شبي)، وقد تم توزيع هذه القوى في قطاعات تمتد من سيلان حتى (الأنتيل) ، وهي كناية عن ٨ فرق بحرية مؤلفة من بوارج وطرادات وحاملات طائرات . وفي ٢٢ تشرين الأول وجدت هذه القوى أن الفرصة جيدة الآن، وبعد صدور استغاثة من الباخرة (تريفانيون) ، للاطباق على (غراف شبي) .. لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه . والسبب أن (لانغسدورف) استطاع تضليل مطارديه في المحيط الهندي دون أن يكون مرتاحاً لما جنى ، لا سيما وأن موارده أخذت تشح وهو لم يتمكن ، منذ ٣٠ أيلول ، إلا من تدمير ٩ سفن شحن حمولتها ٥٠ الف طن ، ورغبة منه في عدم العودة الى المانيا خالي الوفاض ، فقد اعتزم أن يعزز (الجنى) في مياه (ريو دي لابلاتا) المزدحمة بالسفن .

وفي الساعة ٠٦,٠٨ كان الطقس رائعاً . السماء صافية . الهواء ينساب ناعماً عندما أبصر مراقبو (غراف شبي) على بعد ١٥٠ ميلاً من (مونتيفيديو) دخاناً ، فأمر (لانغسدورف) بالاسراع نحو (الطريدة) الجديدة ، لكن موجة الفرح التي اجتاحته



جنود انكليز ينتظرون النجدة بعد إغراق سفينتهم .

بدأت تنحسر ، خاصة عندما شاهد ، بعد ثماني دقائق فقط ، باخرة حربية عن بعد ، ثم شاهد باخرتين أخريين، فأدرك أن تجنب القتال أصبح غير مجد وان الهرب كذلك محال ، وأن رجاء الانتصار يتضاءل بعد أن كان يأمل في القضاء بسرعة على الطراد الأول الخفيف الذي يطلق عليه اسم (أجاكس) من فئة الست بوصات .

أما السفن الأخرى التي ظهرت أمام أبصار لانغسدورف فكانت الطراد النيوزيلاندي (أخيل) من فئة الست بوصات ، والطراد (أكسيتر) المجهز بمدافع من فئة الـ ٨ بوصات، وكانت هذه الطرادات الثلاث تحت أمرة (هاروود) ، وهي تشكل القوة (ج) التي لا تضم بوارج أو حاملات طائرات . أما السفينة الرابعة في هذه الفرقة فهي (كامبرلاند) التي كانت تتمون في (فولكلاندز) .

وعلى الرغم من وطأة المفاجأة كان (لانغسدورف) يعتقد أن بإمكانه القضاء



طائرات فاوتند م، أ، ١١٠ البريطانية والتي لم تثبت جدارتها في الحرب .

على السفن الثلاث الواحـدة تلو الأخرى . وفي الساعة ٠٦,١٤ بدأ اطلاق النـــار على مسافة ١٩ كيلومتراً واستمر ساعة ونصف الساعة كان من نتيجته إصابة ثلاثة من أبراج (أكسيتر) الأربعة، فاضطرت الى العزوف عن القتال ومحاولة بلوغ (بورت ستانلي) لتضميـــد (الجراح) ، في حين استمرت السفينتان الأخريان في قتـال شرس وعنيد

مع خصم قريب، واستغلتا اشتباك (غراف شبي) مع (أكسيتر) لتوجيه ضربات متعددة لها أرغمتها على الفرار تحت تأثير الأضرار الجسيمة التي لحقت بها ، وان كانت غير خطرة ، كتلف المطابخ وتعطل بعض مدافعها، وحدوث ثغرة في هيكلها ، وتعدد الجرحى على متنها في حين أن (أخيل) كانت اصابتها خفيفة، بعكس (أجاكس) التي أثخنت بالجراح، لكنها بقيتا في الميدان.

ولو أن غير (لانغسدورف) ربانا (للغراف شبي) لكان هام بها في عرض البحر ، لكن (لانغسدورف) بما يتميز به من حس انساني ، وكره للحروب ، فقد آثر التراجع الى أحد المرافىء لإصلاح سفينته ومعالجة جرحاه ، فلم يجد سوى (مونتيفيديو) أقرب هذه المرافىء اليه ، لكن (الخصمان العنيدان) كانا له بالمرصاد بمحاذاة المياه الاقليمية للأورغواي ، وما عتم أن انضم إليهما (كامبرلاند) لمساندتها .

وفي الوقت الذي كانت الأميرالية البريطانية تثني على قتال الطرادات الثلاثة ، ويترقب العالم التطورات المقبلة ، كان هتلر في ثورة من الغيظ والحنق على (لانغسدورف) ناعتاً إياه بالجبن والخوف وعدم الولاء ، ومبرقاً اليه البرقية تلو البرقية طالباً منه إغراق السفينة عالية الجبين ، وعدم الهرب مهما كلف الأمر لكن (لانغسدورف) لم يكن من رأي زعيمه، بل قاوم هذا الطلب، وقاوم جميع الضغوط التي مارسها عليه سفير بلاده في الأورغواي، والنازيون القادمون من (بيونس ايرس) ، وفضل إغضاب زعامته على التضحية برجاله . وكان عليه خلال ٧٢ ساعة اما أن يغادر (مونتيفيديو) أو يقبل بالحجز ، وهذا ما يحظره الفوهرر حظراً شديداً .

وما أن انتهت مهلة الـ ٧٢ ساعة حتى احتشدت الجموع في جادة البحر في (مونتيفيديو) عند الساعة ١٨ من ١٧ كانون الأول تشهد رحيل (غراف شبي) بعد نزول معظم بحارتها ، وعدم بقاء سوى فرقة للتدمير والاغراق على متنها .

وفيما كان الناس يودعون السفينة الجريح، ويودعون الشمس كانت الطرادات (أخيل) و (أجاكس) و (كامبرلاند) على أهبة القتال، وفجأة دوى انفجاران .. ثلاثة .. وغابت (غراف شبي) ، مع غياب الشمس، وظل بعض حطامها ظاهراً مدة طويلة . ولم يشأ (لانغسدورف) إلا أن يكون المغادر الأخير ، وفي اليوم التالي نقلت الصحف نبأ انتحاره .

وهنا أخذت الوساوس تساور هتلر على مصير (دويتشلاند) فعمد الى تغيير اسمها واطلاق اسم (لوتزوف) عليها ، لأنه ، اذا ما حدث لهذه البارجة ما حصل لشقيقتها لانتكست سمعة المانيا الهتلرية في العالم بأسره .

في أيلول ١٩٣٩ عرض « هتلر » على أركان حربه نظريّته المتعلّقة بدور الفرق المصفّحة في الهجوم المقبل نحو الغرب ، قال : « إيّاكم أن تضيع هذه الفرق في متاهات المدن البلجيكيّة ذات المنازل المتراصّة . ليس من الضروريّ أصلاً أن تهاجم هذه الفرق المدن ، بل عليها أن تدعم الزحف المتدفّق ، وأن تحول دون استقرار الجبهات فتشنّ هجمات عنيفة على المواقع الضعيفة الدفاع » . فكأنّني « بهتلر » هو ذلك المخطّط العسكريّ الذي يرى العبقريّة في الارتجال المتطرّف .



فنلندا في صميم المعركة



كان الشرق مسرحاً لأحداث عميقة فعلى ضفاف البلطيق كانت تقوم ثلاث دويلات كانت في السابق أقاليم تابعة للأمبراطورية القيصرية وهي : (أستونيا) عاصمتها (تالين) وهي صغيرة جداً ، و(ليتونيا) القوية عاصمتها (ريجا) ، و(ليتوانيا) الريفية وعاصمتها (كوفنو) .

وكانت هذه الدويلات الأوربية المتقدمة تتشابه في كثير من الأمور كما تختلف في نواح أخرى ، ويسودها جو من الارتياح والرخاء بعد تحريرها من قبضة القياصرة على يد الألمان الذين أصبحوا فيما بعد حراساً لاستقلالها .

ولكن روسيا القيصرية لم تتلكأ قط عن الإفادة من تحالفها مع هتلر ، فعمدت في

٢٨ أيلول الى فرض معاهدة للتعاون المتبادل على (أستونيا) ، ولجأت الى الأسلوب نفسه مع (ليتوانيا) في ١١ تشرين الأول، ولم تجد حكومتا هذين البلدين بدأ من التشاور مع الروس على أمل انقاذ استقلالهما الداخلي على الأقل، ولكن الروس لم يتوانوا لحظة عن الاحتلال العسكري ، إذ حولوا جزيرتي (داجو) و (أوسي) ومرفأي (فندو) و (ليبو) الى قواعد عسكرية سوفياتية ، وبذلك يكونون قد دخلوا ، للمرة الأولى ، الى مناطق على قسط وافر من الرخاء والرفاهية . وقد روى أحد التقارير عن الروس داخل هذه المناطق ، ان نساء الضباط حضرن حفلة في الأوبرا بقمصان النوم اعتقاداً منهن أنها ثياب السهرة.

ولم يشذ عن الخضوع للشروط الروسية سوى فنلندا وهي البلد البلطيقي – الاسكندينافي ، والذي يفوق الدويلات البلطيقية الثلاث الأخرى من حيث الأهمية، سواء لناحية عدد السكان الذي يبلغ ٤ ملايين نسمة ، أو لناحية المساحة الجغرافية الشاسعة التي تنفذ الى المحيط المتجمد الشمالي. وقد اكتسبت فنلندا خبرة طويلة بالروس ، واستطاعت أن تكسب احترامهم ، وبالتالي أن تحافظ على حريتها السياسية وامتيازاتها العسكرية حتى عندما كانت اقليماً قيصرياً يمتد حتى أرباض (سان بطرسبورغ) . ولكن هذا الود المتبادل لم يدم حتى ما بعد الاستقلال ، إذ نشأ في هذه الفترة لدى الفنلندي كره شديد للروسي البولشيفي ، وراح الفنلنديون يطالبون بـ (كاريليا) بحجة تقارب اللغة والعادات ، منطلقين من اعتقاد راسخ بأن (الأمبراطورية الفنلندية) لا يحدها سوى جبال (أورال) غير أن الاتحاد السوفياتي كان يطلب من هذا البلد المأخوذ بشعور الاعتزاز أن يتخلى عن قسم من ساحله الشمالي ، وأن يقدم له قاعدة عسكرية في جزيرة (هانجو) وأن يتراجع عن حدوده لتأمين التوسع لمدينة (لينتغراد).

وإزاء هذه المطالب الروسية رأى الفنلنديون أنفسهم أمام خيارين: اما الاذعان لصوت الشعب ، وهو الرافض لأي مطلب، واما الاذعان لصوت العقل وهو الذي يبرر تقديم بعض التضحيات في عدد من الجزر . ولكن المفاوض الفنلندي في جزيرة (باسيكيوى) استطاع أن يقاوم ستالين وأن يضحكه في آن معاً ، إلا أن الروس أصروا على جميع مطالبهم ، ولم تأفل شمس يوم ٢٧ تشرين الثاني حتى أعلن الروس ، على أثر حادث حدودي ، عن توقيع اتفاقية أعدم اعتداء لا مع (حكومة هلسنكي المغتصبة) ، ولا مع المارشال (مانيرهايم) الرجعي (رئيس الجمهورية المزعوم) على حد تعبير الروس، بل مع حكومة المواطن (كوسينين) التي كان الاتحاد السوفياتي



أوّل وثيقة وصلت إلى « الولايات المتّحـدة » تشهد على تدمير الفنلنديّين الفرقة الرابعة والأربعين السوفياتيّة .



عودة الجنرال « فالتر فون براوشيتش » من « بولونيا » وبرفقته بعض الجرحى .

قد أقامها مؤقتاً في احدى القرى الصغيرة القريبة من الحدود، وأوحى اليها أن تطلب منه التدخل لـ (تحرير فنلندا) ، وما كان منه إلا أن سارع الى الاستجابة للرغبة الملحة فقام في ٣٠ تشرين الثاني بهجوم في برزخ (كاريليا) ، أدى ، فيما بعد ، الى سقوط الاتحاد السوفياتي من عضوية عصبة الأمم التي كانت ما تزال قائمة على الرغم من فقدان عضوية المانيا وايطاليا واليابان فيها ، وابتعاد الولايات المتحدة عنها منذ ولادتها . وقد أدى سقوط عضوية الاتحاد السوفياتي الى سقوط العصبة في الحال .

في هذا الوقت كانت الحرب قد بدأت في الشمال . وكانت الخطة السوفياتية الأولى تتلخص في السير مباشرة نحو هلسنكي وتنصيب صنيعتهم (كوسينين) ، وقد بلغ الاستخفاف الروسي حداً دفعهم الى عدم الاكتراث بالتعبئة ، والاكتفاء بتسيير وحدات عسكرية من (لينينغراد) ، لكن المقاومة الفنلندية أبلت البلاء الحسن وحالت دون تقدمها ، ولم يكن لدى (فنلندا) غير جيش نظامي مؤلف من ٣ فرق تضم ٣٣ الف رجل ، ومن ٦٠ دبابة قديمة العهد ، ومن ١٦٠ طائرة أقدم عهداً، ولكن التعبئة الفورية لشعب أراد الحياة والحرية ضاعفت من طاقته، فإذا بفنلندا تجند أكثر من ٣٠٠ ألف رجل موزعين على ٧ فرق جديدة و٨ ألوية ذات سيادة ذاتية لم يكن ينقصها سوى تسليح على مستوى شجاعتها. وإذا بها أيضاً تعمد الى تجهيز سلسلة متواضعة من الملاجىء المبنية من الحطب ، في برزخ كاريليا، الممتد بين خليج فنلندا وبحيرة « لادوغا » ، وقد عرفت بخط « مانيرهايم » ، واستطاع هذا الخط أن يصد ، بالفعل ، جميع الهجمات التي تعرض لها ، فما كان من الروس إلا أن أنزلوا دباباتهم الى ساحة القتال، لكن رجال المقاومة الفنلندية سرعان ما اهتدوا الى نقطة الضعف الكائنة في دروع هذه الدبابات المصنوعة من صفائح كانت قوة اندفاع المحرك تحمّيها حتى الاحمرار ، فراحوا يرشقونها بزجاجات البنزين فتشب فيها النيران . ولم يمض أسبوع واحد حتى توقف الهجوم ، ودخلت فنلندا التاريخ من الباب الواسع ، وصارت مقاومتها ضرباً من الملاحم والأساطير .

لم تشح روسيا بأنظارها عن فنلندا رغم ما تعرضت له من خسائر مادية ومعنوية ، بل عادت تنظم قواتها فأوكلت الى « تيموشنكو » قيادة الحرب واستدعت فرق النخبة من « أوكرانيا » و« القفقاس»، وكان العمل الأساسي للقوات الروسية هو مهاجمة خط « مانيرهايم » من شرقي فنلندا، في المنطقة التي تمتد على طول ١٦٠٠ كلم بين بحيرة « لادوغا » والمحيط المتجمد الشمالي ، مستخدمة تفوقها في العدة والعدد. وزحفت عن طريق « مورمانسك » باتجاه الشمال

ثلاثة جيوش هي الثامن والتاسع والرابع عشر ، ورافق هذا الزحف سقوط الثلج ، الأمر الذي أدى الى صعوبة التنقل والى وفاة كثيرين من الجنود داخل القاطرات بسبب البرد القارس . وعلى الرغم من كل ذلك فقد تم التمركز بسرعة نسبية وذلك بتسيير فرقة واحدة في كل من الطرقات العشر التي تخترق الغابات الفنلندية الشاسعة ، وكل هذه الفرق على المستوى الثقيل سواء من حيث العدد أو المدفعية أو الدبابات ، تتجه نحو الغرب بهدف مهاجمة خط « مانيرهايم » من الخلف بينما يتمركز الجيش السابع قبالته .

وبدا في ١٧ كانون الأول وكأن الخطة على وشك أن تنجح ، لا سيما وان أحد الأرتال الروسية قد بلغ « كورسو » على طريق « كيميارفي » على بعد ١٥٠ كلم من خليج « بوتني » بينما بلغ رتل آخر « سويومو سالمي » التي تعتبر مفتاح القطاع الأوسط ، وفي نفس الوقت كانت أرتال أخرى تتقدم في منطقة بحيرة « لادوغا » ، وقد بلغت النجاحات الروسية حداً جعل الأركان



كان هؤلاء المتطوّعون الأسوجيّون يعرفون البرد والثلج تمام المعرفة ، شأن زملائهم الفنلنديّين .

الفنلندية أمام مواجهة اخلاء « لابونيا » ونقل الدفاع الى خط يمتد بين « أولو » و« فيبوري »، كما بلغت حداً أوحى وكأن الساعات الأخيرة للمقاومة الفنلندية قد أزفت .

لكن ما حصل لم يكن في الحسبان ، وإنما كان مفجعاً للغاية . فبينما كانت الأرتال السوفياتية تلاقي صعوبة شديدة في الانتقال على الطرقات الوعرة المسالك كانت القوات الفنلندية تركز على جنبات تلك الأرتال فترهقها بالقدر الذي كان الثلج والأشجار الباسقة الغضة ، وجذوع الأشجار المقطوعة المسننة ترهق الدبابات وتعرقل سيرها. وكان الفنلنديون يرتدون ثياباً بيضاء وينتعلون المزالج ، ويتخذون من الحليب مادة غذائية وحيدة لهم ، ويغيرون على الدبابات الروسية حتى تمكنوا من تدمير فرقة المشاة الـ ١٦٣ بكاملها على طريق « سويومو سالمي » ، وعندما أرسلت الفرقة ٤٤ لنجدتها ، وهي من أفضل فرق الجيش الأحمر ، لم يكن مصيرها بأفضل من مصير سابقتها، وفي هذا الوقت أيضاً تمكن الفنلنديون من فصل وحدات الجيش الثامن التي كانت تحاول الالتفاف حول بحيرة « لادوغا » عن مؤخراتها ، وأبيدت الواحدة تلو الأخرى، الأمر الذي أدى الى بقاء الروس في بقاع جرداء من الغابة موقفين دباباتهم بشكل دائرة ومنتظرين الموت برداً وجوعاً . ولم يتجاوز عدد الأسرى الروس الألفي رجل، في حين كان يؤثر الفنلنديون التقاط الأحياء واحداً واحداً بعد أن يكون الوهن أخذ منهم كل مأخذ واضطرهم الى ترك أسلحتهم.

ولعل أبرز ما حصل عليه الفنلنديون من الأسرى الروس هو آلاف الرسائل التي كانت

موجودة في جيوب الجنود القتلى ، وكان أكثرهم من الفلاحين ، والتي تعبّر سطورها عن وسائل العيش الصعبة . ومن بين كل ثلاث رسائل كانت هناك رسالتان تتحدثان عن البقرة التي نفد علفها ، أو البقرة التي ستبيعها العائلة لشراء القوت، فكأن التعاسة الروسية تجسدت فوق تلك الساحة الغربية حيث كان أبناء تلك التعاسة يؤثرون الموت الرهيب على الاستسلام .

صحيح أن فنلندا نالت إعجاب العالم ببطولتها وشجاعتها ، ولكن هذا العالم لم يكن متلهفاً الى مساعدتها بالقدر الذي يوازي تلك البطولة والشجاعة . فأسوج التي كان ينتظر أن تتدخل لمساندة فنلندا بفضل التضامن السكنديناڤي حصرت مساعدتها في تقديم المال والسلاح والسماح بتنظيم فرق المتطوعين ، رافضة التخلي عن حيادها المقدس. أما الدانمرك فقدمت ٨٠٠ متطوع، والنروج ٢٠٠ متطوع، مع العلم أن « المجر » قد قدمت ضعف هذا العدد ، ولكن كل هذه المساعدات لم تجد نفعاً ، فالمقاتلون هم الذين كان باستطاعتهم تقديم المساعدة اللازمة . والواقع أن العديد من الشباب الألماني كان يتحرق للمساعدة ، لكن هتلر لم يكن على استعداد للتخلي عن تحالفه مع السوفيات ، وما كان يقيد المانيا لم يكن يقيد فرنسا وانكلترا خاصة وأن هاتين الدولتين ما زالتا تحت تأثير الخيانة الستالينية وقد أيقنتا كل اليقين بأن خلاص المانيا من حصارها يعود الفضل فيه الى خزانات المواد الأولية الروسية، ولذلك فلا بد من مساعدة فنلندا ، لأن هذه المساعدة تعني إضعاف الاتحاد السوفياتي، وإضعاف الاتحاد السوفياتي يعني بالنتيجة إضعاف هتلر .

وقد جاء الاعتبار الستراتيجي يقوي عطف الأوروبيين على الفنلنديين الشجعان ويشكل بالتالي ذريعة للحلفاء كي يستقروا في اسكندينافيا ويحرموا المانيا من معدن الحديد الذي لا غنى لها عنه والمتوافر في أسوج ، بالاضافة الى احكام الحصار حولها باحكام السيطرة على النروج ، وكان تشرشل من أكثر المؤيدين لإنزال قوات في هذا البلد السكنديناڤي غير مبال بالقانون الدولي . وهناك مذكرة كتبها تشرشل في ١٢ كانون الأول بهذا الخصوص بحث فيها تمتين أواصر التحالف مع السكنديناڤيين ويختمها بالقول : « يجب أن نتخذ من الانسانية ، لا من الشرعية ، حَكَماً » .

وحتى شتاء ٣٩ — ٤٠ الجليدي كانت الأفكار ما تزال في طور الاختمار البطيء ، والعمل الايجابي الوحيد الذي قامت به فرنسا وانكلترا حيال فنلندا هو تزويدها بالأسلحة ، ولكن يا لها من أسلحة ! انها كناية عن ٥ آلاف بندقية رشاشة قديمة العهد من صنع عام ١٩١٥ ، ومدافع من طراز « دي بانج » كان قد أدخل عليها تحسينات عام ١٩١٤ ، وقدمت البحرية

الفرنسية ١٢ مدفعاً قديماً عيار ٣٠٥ من مخلفات أسطول « رانجل » التي كان قد كساها الصدأ على أرصفة « بنزرت » منذ عام ١٩٢٠ . أما انكلترا فقدمت بعض مدافع الهاون من طراز « برانت » ، و٢٥ مدفعاً مضاداً للدبابات ، وبعض البنادق الرشاشة طراز ٢٤ وبعض الطائرات . ولا ريب أن هذه الكميات من الأسلحة أحدثت خيبة أمل كبيرة في صفوف الفنلنديين .

كان الشعور السائد في تلك الفترة أن المانيا راسخة الأقدام طالما أنها تتوكأ على روسيا . وبعد أن أظهرت الحرب الفنلندية ـ الروسية ضعف الروس ، فقد برزت فكرة القضاء على المانيا بالقضاء على روسيا ، ولم يلبث « دومنك » الرئيس الجديد لأركان الجيش الفرنسي أن أوعز بدراسة الفكرة دراسة علمية موضوعية في ضوء الامكانات المتوافرة . ومن جملة الأبحاث التي تم التطرق إليها : احتمال قصف « باكو » لاستنزاف البترول الروسي ، واحتمال دفع شعوب القفقاس الى العصيان ومهاجمة «مورمانسك» وانزال لواء أو لواءين من قناصة الجبال . وكل هذه التصورات النابوليونية قد دونت في وثائق عسكرية .

وفي ضوء معارك المصفحات جاءت محاولات تقدير قوة الجيش الأحمر على قسط أكبر من العلم والتقنية ، ان لم نقل على قسط أكبر من الرصانة . ونكتفي هنا بايراد الاستنتاجات التي تضمنتها دراسة الأركان الألمانية المقدمة الى الفوهرر والتي لعبت فيما بعد ، دوراً هاماً على صعيد مجرى الأحداث ، والتي يعود تاريخها الى ٣١ كانون الأول ١٩٣٩ .

« من حيث الكمية : جهاز عسكري ضخم . التنظيم والعتاد وأساليب القيادة : بين بين . مبدأ القيادة : جيد . القيادة نفسها : شابة ، لكن تنقصها الخبرة . الاتصال والاشارة : سيئان . قاعدة النقل : سيئة . الجيوش : متفاوتة المستويات ، ومجردة من روح المبادرة. الجنود العاديون : روح عالية ، ويكتفون بالنزر اليسير . مزايا الجنود القتالية: موضع شك. الرصيد: الأمة الروسية ليست خصماً قوياً أمام جيش مجهز أفضل تجهيز وذي قيادة متفوقة .

والحقيقة أن سنة ١٩٣٩ انتهت كسنة التمهيدات المخيبة لتبدأ سنة حافلة بالمفاجآت الطنانة الرنانة .

في الوقت الذي كان فيه الشرق يعاني من التوتر والغليان كانت الحرب في الغرب تشهد حالة ركود أكثر من أي وقت مضى. ولكن الجهاز العسكري قد أطلق من عقاله. فالمجهود الفرنسي العسكري لم يقصر عن المجهود المبذول سنة ١٩١٤ ، إذ عمدت فرنسا الى تجنيد ٥ ملايين رجل ، أي ما يوازي ثمن مجموع سكانها وهي نسبة ضخمة



جثث الجنود السوفياتيين
في الجليد ، وقد قبعت
الدبابات قربها عاجزة .

للغاية ولا بد أن تؤثر على صناعة الأسلحة التي تحتاج الى الأيدي العاملة. ثم ان انخفاض نسبة الولادات وفقدان الكثيرين في المجزرة السابقة انعكسا بوضوح على الاحصاءات العسكرية الفرنسية التي تشير الى أن ملاكات جيش البر قد نقصت ٤١٥ ألف رجل عما كانت عليه في أول أيار عام ١٩١٧ .

ومع مطلع الحرب كانت فرنسا قد انتهت من تجهيز ١٠٨ فرق ، وكل فرقة تتضمن مجموعة للاستطلاع و٣ أفواج للمشاة، وفوجين للمدفعية ، واختيرت ٦٥ فرقة من هذه الفرق لتكون فرقاً مقاتلة ، ٢١ منها عادية للمشاة ، و ٤ لمشاة المستعمرات ، وفرقتان خفيفتان آليتان ، و٥ للخيالة ، و٢١ فرقة أو قطاعات حصون . أما الفرق الباقية ففرق تشكيلات ، ٦ منها في افريقيا الشمالية ، و٣٧ في فرنسا ، وتنقسم هذه الفرق الأخيرة فئتين : الفئة « أ » مؤلفة من ١٩ فرقة كونت حول الخلايا العاملة الناشطة. والفئة « ب » مؤلفة من ١٨ فرقة لا يتمثل

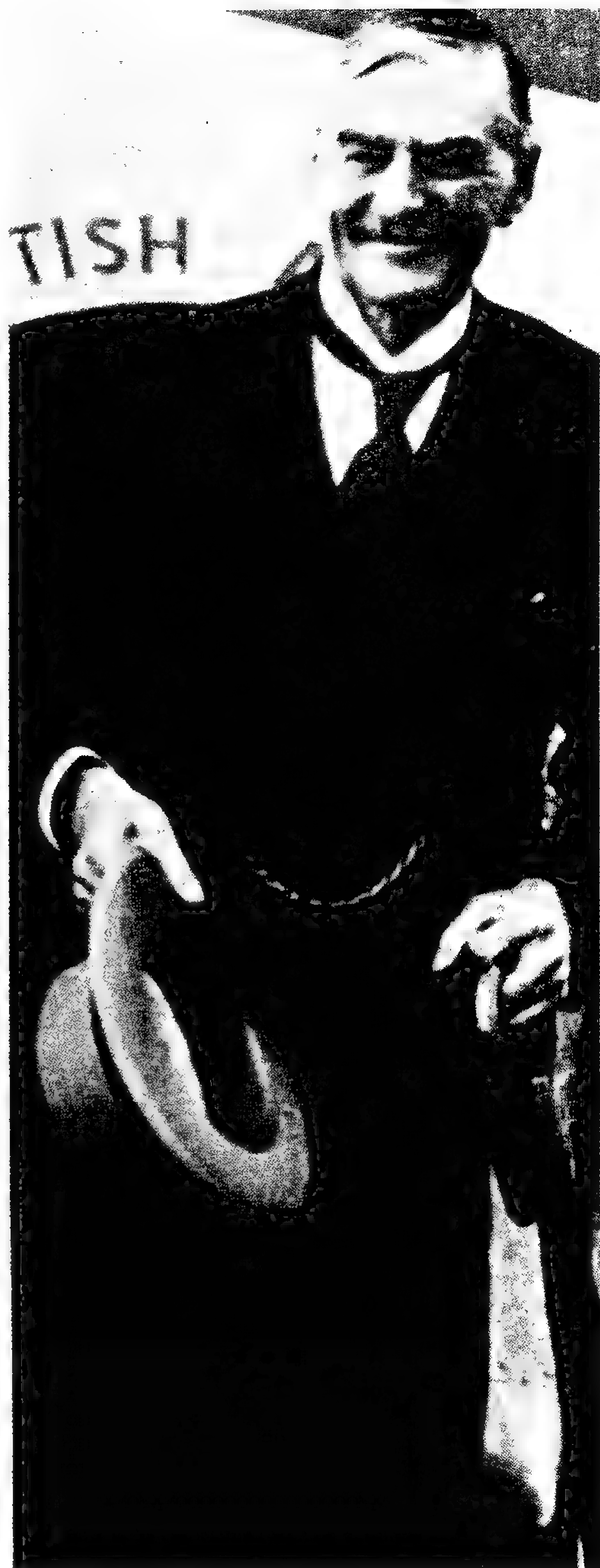
فيها الجيش العامل إلا برؤساء القطع . وقد أخضعت جميع هذه الفرق لتدريبات قاسية وانضباط صارم بغيـــة توفير المزيد من الانسجام والتماسك بين الوحـدات الكبيرة في خطوط النار .

أما وحدات الخدمـــة المكملة للجيش الفرنسي فكانت لا تحصى وفيما يلي بعض الأرقام التي تشير الى وجود تنظيم بالـغ ، والى وجود فائض من المعدات لدى الجيش الفرنسي : ٤٠ كتيبة دبابات ، ٨ سريات لنقل الدبابات ، ١٩ كتيبة رماة رشاشات، ٧٨ كتيبة و ٥ أفواج للمشاة غير فرقيّـة ، و٥٦ فوج مدفعية ، و١٠١ بطارية مواقع ، و٧٨ بطارية متحركة لمدفعيـــة الحصون ، و١٨٨ سرية نقل بالسيارات ، و ٣٢ سرية تجرها الخيل ، و٢٧ سرية بغّالة ، و٤ أفواج خيالة هجوم، و ٨ كتائب نقابين ـ لغامين، و٧ كتائب مرمي طرقات ، و١٢ قسماً كهربائياً ، و٢٢ فريق جسور، و١٧ وحدة جسور ثقيلة، و٩ سريات بحرية، و١٦ كتيبة نقّابي خطوط حديدية، و٨ سريات لتركيب الأكواخ الخشبيـــة ، و ١٠ سريات من اختصاصيي الغابات ، و٣٣ مجموعة إشارة ، و١٤ مخبزاً للميدان، و٦٠ سرية من موظفي الادارة وعمالها الى آخر ما هنالك ...

وعلى الرغم من كون معظم سلاح الجيش الفرنسي من مخلفات عام ١٩١٨ ، وتناسبه بصورة خاصة مع حرب الخنادق والمواقع ، والنقص في المدفعية المضادة للطائرات، فإن هذا السلاح كان يفوق سلاح الجيش الألماني . كانت مدفعيتـــه أغزر بكثير ، وهي في مجملها أقوى بكثير. ولعل النقص في المدفعية المضادة ، على الرغم من وجود أفضل مدفع عصري مضاد من عيـــار ٩٠ ، مرده الى التطاحن التافه بين جيشي البر والبحرية . وقد تضمن سلاح الدفاع ضـــد المصفحات نوعين من المدافع : مدفع من عيار ٢٥ وهو مدفع جيد ، ومدفع من عيـــار ٤٧ يعتبر أفضل سلاح من نوعه. وكانت أسلحة المشاة مرضية وان كانت تتضمن بنادق عتيقـة ، بالأضافة الى بنادق رشاشة ممتازة، ورشاشات ثقيلة ممتـازة وان كانت من مخلفات الحرب السابقـــة ، ونوعين لا بأس بهما من مدافع الهاون ، ولكن المشاة كانوا محرومين من المسدسات الرشاشة ، وهي سلاح الاشتباك، ومن سلاح الدفاع المثالي الذي يتمثل باللغم الأرضي المضاد للأشخـــاص الذي كانت صناعته من أسهل الصناعـات ، فضلاً عن حاجتهم الى الثياب والأحذية والأغطيـــة وأجهزة قياس البعد وغيرهــا من النقائص الناتجة عن العقلية السائدة في أوساط الجيش الفرنسي .

وعلى صعيد المصفحات فكانت كل فئـة من المصفحات الفرنسية أقوى درعاً وأفضل تسليحاً من الدبابات الألمانيـــة : فسيارات الرشاشات من وزن ٧ أطنان ، وتلك التي من وزن ١٢ طناً ، تتفوق على الـ « ب ز .

ك و ١ » و « ب ز . ك و ٢ » الألمانية . وسيارات الرشاشات من وزن ١٥ طناً والـ « د ١ » من وزن ١٦ طناً والـ «سوموا» من وزن ٢٠ الى ٢٢ طناً تضاهي « ب ز . ك و ٣ » . وأما في الفئة الأثقل ، فالدبابات الألمانية « ب ز . ك و ٤ » (وزنها ٢٠ طناً ، وكثافة صفائحها ٤٠ مم) أضعف بكثير من دبابات ٣٣ التي تزن ٣٠ طناً وهي دون مستوى الـ « ب ١ » التي تبلغ كثافة تصفيحها بين ٦٠ و٧٠ مم . ولعل الميزات الوحيدة للمصفحات الألمانية تكمن في بعض التفوق في السرعة والمدى الأوسع في العمليات . أما من ناحية العدد ، فقد أكدت الوثائق الدامغة أن المانيا لم تدفع الى الميدان الثمانية آلاف دبابة التي ذكرت في محاكمة « ريوم » ، ولا حتى الـ ٥٢٩٠ دبابة التي ذكرت فيما بعد ، وإنما مجموع ما دفعته الى الميدان ، في ١٠ أيار ١٩٤٠ ، حسب إحدى الوثائق الألمانية ، ٢٥٧٤ دبابة منها ٢٧٨ من فئة « ب ز . ك و ٤ » . أما الفرنسيون فقد دفعوا ، إضافة الى مخلفات الحرب العالمية الأولى ، ٢٤٧٥ دبابة ، منها ٢٧٠ دبابة من فئة « ب » وزن ٣٥ طناً ، فضلاً عن ٢٤٠ سيارة رشاشات مقاتلة و ٦٠٠ مصفحة انكليزية على وجه التقريب . وهكذا يكون الفرنسيون قد وفروا لأنفسهم التفوق من جهة عدد المصفحات ونوعية تصفيحها ووزنها ومدفعيتها ، ولكن هل هذا يكفي لتحقيق الانتصار ، أو على الأقل لتجنب الهزيمة ؟



تشامبرلين رئيس وزراء بريطانيا قبل ١٩٣٨ يصرّح : كلنا جنود اذا لزم الامر .

وإذا تطرقنا مثلاً الى السلاح الجوي لوجدنا أن المقارنة في غير صالح الفرنسيين . صحيح أن الطيران الفرنسي كان بدأ يبني نفسه بعد الوضع المتردي الذي بلغه عام ١٩٣٨ ، ولكن هذا المجهود أبقى الطيران الفرنسي بعيداً عن موازاة الطيران الهتلري، وقد علل « ادوار دالادييه » هذا الواقع بقوله : « في بلد يبلغ عدد سكانه ٤٠ مليون نسمة يصعب قيام جيش كبير، وبحرية كبيرة ، وطيران كبير في آن معاً » . وثمة ما يبرهن عن ذلك ، فبين ١٩٣٧ و١٩٣٩ أنتجت المانيا مثلا ٤٧٤ ألف طن من الألومنيوم ، في حين لم يتجاوز الانتاج الفرنسي ١٤٠ ألف طن ، وأنتجت المانيا ٦٥ مليون طن من الفولاذ ، ولم يتجاوز الانتاج الفرنسي ٢٠ مليوناً . ولعل السبيل الوحيد لبلوغ المستوى الذي بلغته المانيا هو تنسيق مناهج التسليح الفرنسية - الانكليزية منذ أيام السلم ، واللجوء الى المساعدة الأميركية ، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتم ، بل أكثر من ذلك فقد أصيبت فرنسا بخيبة أمل مريرة عندما صوت الكونغرس الأميركي ضد صفقة أسلحة الى فرنسا، فكانت النتيجة تجميد هذه الصفقة المؤلفة من ١٠٠ طائرة مطاردة من طراز « كورتيس ب - ٣٩ » و٢١٥ قاذفة قنابل من طراز «جلن مارتن» كانت جاهزة . وربما كان دافع الكونغرس الى اتخاذ هذه الخطوة، هو ما كانت تشكو منه المصانع الأميركية من ضعف في الانتاج وعراقيل جمة في الادارة لكن أكثر ما كان يؤلم فرنسا هو تحريض الولايات المتحدة لها ولانكلترا كي يقضيا على الهتلرية بينما تتستر هي بالحياد وتمتنع عن تقديم أية مساعدة لهما .

صحيح أن السلاح الجوي الفرنسي والبريطاني كان أضعف نسبياً من السلاح الجوي الألماني، ولكن هذا الضعف كان أقل مما اعتقده البعض ارتكازاً على تصريحات بعض الجنود . إذ أن الاحصاءات تشير الى أن الطائرات الفرنسية والانكليزية قد بلغت في بدء معركة أيار ٣٤٥٠ طائرة حديثة ، منها ١٧٣٠ طائرة فرنسية ، بينما كان عدد الطائرات الألمانية ٤٥٠٠ تقريباً . والحقيقة أنه من الصعب تحديد عدد الطائرات التي شاركت في القتال ، فمعظم القانصات الانكليزية مثلاً ، وخصوصاً « السبيتفاير » الحديثة كان موكولاً إليها أمر الدفاع عن سماء انكلترا فحسب، ولم يطلب إليها التدخل في معارك القارة . أما من الناحية الفرنسية فقد كانت هناك شكوى من ضعف تشكيلات القصف ، وشكوى من عدم إيمان القيادة بالقصف الانقضاضي الذي لم يكن معروفاً إذاك إلا على شكل نماذج ، وشكوى أيضاً من عدم استخدام جميع إمكانات الطيران الفرنسي ، وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان عدد الطائرات الجاهزة في ٢٤ حزيران ، أي في تاريخ الهدنة ، أهم مما كان عليه في العاشر من آيار .

ولكن الشكوى الأهم في الجيش الفرنسي كانت في سطحيــة القواد الذين اعتبروا أن الحرب المقبلة هي امتداد للحرب السابقة . وعلى هذا يجب برأيهم ، أن تبقى المبادىء التي وضعها قواد بارزون ، عقب الانتصار ، هي الوثيقة الكبرى في استخدام الوحدات استخداماً فنياً.. وهكذا يصبح من العجيب ألا تتعظ القيادة الفرنسية بمـــا حصل في « حملة بولونيا » .

ولكن الأدمغة المفكرة لم تغب نهائياً ، فالجنرال « اتيان » مثلاً ، وهو الملقب بـ « أبي الدبابات » ، رسم منذ عام ١٩٢١ صورة دقيقة لما يمكن أن تكون عليه حرب المصفحات التي سيشنها الألمان في المستقبل . وفي عام ١٩٣٠ أخرجت الدبابــة من إطار المشاة الضيق ، ثم أنشئت الفرقة الآليــة الخفيفة ، ابنة الخيالة ، ولكنها لم تتطور لتصبح فرقة قتالية ، بل انحصر همهـــا في عمليات الاستطلاع . والواقـــع أن النسخ الثلاث التي كانت جاهزة في أيار عام ١٩٤٠ ظلت أفضل ما زود به الجيش الفرنسي .

ولعل الجدل الأكثر حدة وطرافة هو الذي دار حول جيش المصفحــات . وكان أبرز أطراف هذا الجدل «الكولونيل ديغول» – الجنرال فيما بعد – الذي طـــالب عام ١٩٣٥ في كتابه : « في سبيل جيش محترف» بانشاء ٦ فرق مصفحة تضم كل فرقــة منها ٥٠٠ دبابة قويـــة ، استعداداً لأي خرق للمعاهدات على أن تنقل هذه الفرق الحرب فوراً الى أرض العــدو . ولعل أبرز الذين تبنوا هــذه النظرية النائب « بول رينو » الذي حملها الى المجلس النيابي طالباً الموافقة عليها ، لكن النواب كانوا ، في تلك الفترة، يتعمدون تجاهل القضايا العسكرية ، ولذلك لم يجد «الاديبه» أية صعوبة في رفض الطلب.

والطرافة في هذا الجدل تكمن في تحوله الى صراع بين الحصان والمصفحــــة . وقد بلغت مناوأة أنصـــار الحصان للنظرية الديغولية حداً أسطورياً بحجــة أن الوقود القومي ، وهو الشعير ، أفضل وأنسب من الوقود المستورَد ، وهو البنزين ! وبحجـة أن المصفحـات ستمتد ١٠٠ كلم طولاً على الطرقات ؛ وهو الأمر المستحيل عسكرياً . وكان من أبرز معارضي النظرية الديغوليـة « الحالمة » الجنرال « شوفينو » ، أحـــد أساتذة المدرسة الحربية ، الذي رد على تلك النظرية في كتابه : « هل الاجتياح ممكن بعد ؟ » وقد جاء الجواب على لسان شوفينو واضحاً إذ قال : « ليس للدبابة أن تشكل خطراً وهي التي تجري بلا هوادة كاليهودي التائه». ويستشهد بقول المارشال « بيتان »، الذي قدم لكتابه ووافقه على معارضـــة النظرية الديغولية: « ليست الجبهة المتماسكة عَرَضاً زائلاً يمكن التخلي عنه كما يتم التخلي عن عادة ضارة » ، ويشيد بقدرة البلاد على صد أي اعتداء على حدودها ، هذه المقدرة

التي وصفها في كتابه نفسه « أفضل ضمانة للسلم » .

وفي عودة الى محاضر جلسات المجلس الحربي الأعلى حول إنشاء فرقة مصفحات (٢٩ نيسان ١٩٣٦ ، و ١٥ كانون الأول ١٩٣٧ ، و ٢ كانون الأول ١٩٣٨) نجد ما خلقته تلك « البدعة » من مخاوف في قيادة محافظة ، مخاوف من فقدان السيطرة على توجيه القتال. وهنا يطرح الجنرال «دوفيو» السؤال التالي : « ماذا يحصل لو امتد عمل فرقتكم المصفحة الى جبهة تفوق جبهة فيلق؟» لقد كان قانون الدبابات الخاص يعتبرها خادمة مسخرة ، ويجزم بأنها « جزء لا يتجزأ من جهاز المشاة » وانها « ليست إلا جهازاً إضافياً وضع في خدمة جيش المشاة بصورة مؤقتة » ، وان اتصالاً « وثيقاً مستمراً » لا بد منه ، وأن أفضل طريقة لتأمينه هي « إخضاع وحدات الدبابات لقواد المشاة.. » .

تلك كانت مبادىء القتال النظامي المحافظ الذي يمكن الاشراف عليه بسهولة من مراكز القيادة المتواجدة خارج نطاق النار ، تلك هي المبادىء التي جاء اليوم بعض « المتهورين » و« المجددين » يهدمونها ذاهبين في تصوراتهم الى حد إركاب جنرالات القيادة في عربات مصفحة، أو في طائرات، لكي يتسنى لهم مشاهدة ساحة القتال .

ولعل مما زاد في نفور القيادة من النظرية الجديدة ، هو شعور القواد القدامى بأنهم سيفقدون مناصبهم ليحل محلهم قواد آخرون على رأس جيش آلي، ولذلك تشبثوا بمواقفهم والمبادىء التي نشأوا عليها .

ولكن ، على الرغم من ذلك ، فقد رأت القيادة الفرنسية ، خاصة بعد سحق بولونيا ، أنه لا بد من القيام بعمل ما ، فأمرت في ١٦ كانون الثاني ١٩٤٠ ، بإنشاء فرقتين من المصفحات، ثم انشأت فرقة ثالثة في ٢٠ آذار ، وسرعان ما اصطفت هذه الفرق الآلية الثقيلة الى جانب الفرق الآلية الخفيفة ، لتؤلف ما يشبه جيش المصفحات المقاتل الذي طالما دار الجدل حوله ، والذي طالما طالب به « هراطقة » ما قبل الحرب. ولكن فرق المصفحات الفرنسية لم تكن أسلحة تقرير مصير يصلح استغلالها حربياً شأن فرق « غوديريان » ، بل كل ما كان يمكن القول عنها أنها أسلحة تصلح للمقاومة وتنظيم الجبهات .

كان الجيش الألماني ينمو بسرعة رغم حداثة عهده ، الى حد أن « الكابتن غلين » المسؤول عن مراقبة تنظيم جيش العدو في مقر القيادة الفرنسية اتهم بالهوس لكثرة ما كان يحصي من الفيالق الألمانية الجديدة ، ولكن هذا الهوس لم يكن سوى حقيقة صارخة ، وغاية في الدقة . ففي حين ذكر في ١٠ نيسان ١٩٤٠ أن الجبهة الغربية تضم ١٣٧ فرقة ألمانية ، أثبت الواقع أن هذه الفرق ١٣٦ ونصف الفرقة ! أما من الجانب





ما من شكّ في أنّ « فرنسا » كانت تملك الكثير من الدبّابات . ولكنّ وجهات النظر في طرق استعمالها كانت متضاربة .



كان لا بدّ « لهتلر » من أمثال هذا العرض العسكريّ ، لم يكن به غنى عن هتافات « هايل هتلر » تدوّي بها حناجر جنود يزحفون تحت لوائه إلى احتلال « أوروبا » . كان أولئك الجنود يمثّلون في نظره شعب « ألمانيا » ، بينما كان قوّادهم الكبار يمثّلون « ألمانيا » القديمة ، وعلى الأخص تلك الأرستوقراطيّة الريفيّة التي كان يكرههـا .

الفرنسي فكانت إنشاءات الشتاء تافهة رغم إضافة فرقتين بولونيتين اليها . وكان ثمة فارق كبير بين المانيا وفرنسا على صعيد العنصر البشري ، ففي حين كانت الأولى تغرف الرجال من معين لا ينضب ، كانت الثانية مستنفدة بشرياً .

إلا أن المساعدة البريطانية التي قدمت الى (غاملان) والتي ارتفعت من ٤ فرق في أيلول الى ١١ فرقة في أيار ، رفعت عدد أفراد الحملة الى ٣٩٤١٩٥ رجلاً، وهذا العدد يقل عما قدمه السير (دوغلاس هيغ) الى (فوش) سنة ١٩١٨ ، ولكنه يفوق ما كان قد قدمه السير (جون فرنش) الى (جوفر) عام ١٩١٤ . ومما تقدم يتبين أن التباين في المجهود الحربي بين الحليفين ظل قائماً وصارخاً ، فبينما جندت فرنسا ثمن سكانها لم تجند انكلترا سوى واحد من أربعين .

تمركزت الحملة البريطانية في قطاع يقع شرقي (ليل) بين (مولد) و (هلوان) ، لكن قيادتها استقرت في آراس. والصعوبات التي واجهتها مشكلة القيادة الموحدة في الحرب العالمية الأولى سهل حلها هذه المرة ، وذلك بقبول الجنرال (فيكونت غورث) الخضوع لأوامر (غاملان) . وكان غورث شديد التفاؤل ، وقد أغرق قيادته العليا بالتقارير التي تنم عن الرضى التام ، لكن مساعديه السير (جون ديل) و(وألان بروك) كانا يتمتعان بنظرة ثاقبة لا تخلو من النقد ، كما نلاحظ في يوميات الثاني الى السيدة (بروك) الذي أثبت فيها مشاهداته لمظاهر التخاذل في الجيش الفرنسي ، كعدم حلق الذقون ، واهمال الخيل ، وعدم الاهتمام باللباس العسكري وبراذع الخيول، ونظافة العربات، فضلاً عن غياب الروح العسكرية . وهذا ما أمكنه تسجيله لدى تلبيته دعوة «كوراب» لزيارة الجيش التاسع . ومما زاد الطين بلة وجبات الطعام الدسمة التي كانت تقدم في مراكز القيادة الفرنسية والتي كانت تسبب له التخمة وعسر الهضم . وعندما تناول «ألان» في ٣١ تشرين الأول الطعام المؤلف من : السلور ، جراد البحر ، الفراريج ، باتيه طيور ، أجبان ، مثلجات ، فاكهة ، مشروبات الخ .. قال ، وهو يخرج عند الساعة الثالثة وقد نهض عن المائدة: «..هؤلاء الرجال النهمون يفسدون معدتي ويزعجونني في عملي ..»

ولعل أكبر المآخذ على الجيش الفرنسي كان يكمن في تنظيم القيادة ، أو بالتحديد في غياب المركزية التي توفرها لالمانيا مثلاً القيادة العليا ، فضلاً عن شخصية هتلر ، والتي سيوفرها للاتحاد السوفياتي حصر السلطات في يدي الجنراليسم « ستالين » ، والتي ستوفرها لانكلترا شخصية « ونستون تشرشل » الفذة ، والتي سيوفرها للولايات المتحدة دستورها الذي يجعل من الرئيس

قائداً عاماً للجيوش .

ومثل هذه المركزية كانت غائبة كلياً في فرنسا . فهناك وزارة للدفاع الوطني هي وزارة الحربية سابقاً. وهناك رئيس حكومة هو « ادوار دالادييه » وأمر تمتعه بالقيادة العليا كهتلر وروزفلت لا يتلاءم مع المفاهيم الفرنسية، وهنالك أيضاً الجنرال « غاملان» الذي كان هو نفسه لا يعرف أين تبدأ صلاحياته وأين تنتهي . فهو رئيس لأركان الدفاع الوطني ، وبهذه الصفة ينبغي أن يكون مسؤولاً عن القوى العسكرية الثلاث، لكن الواقع لم يكن على شيء من ذلك قط، فالبحرية والطيران كانا يتمسكان باستقلالها تمسكاً لا يحيدان عنه قيد أنملة ، أما القوات البرية فكانت تعاني من حكم الرأسين ، وهذا يعني أنها كانت تعاني من اللاحكم، فـ«غاملان» بصفته قائداً أعلى للقوات البرية كان يمكن أن يكون الرئيس الأوحد للجبهة الرئيسية : الجبهة الشمالية الشرقية ، تماماً كما كان «جوفر» عام ١٩١٤، لكن «الجنرال جورج » هو الذي كان قائداً لهذه الجبهة ، ولم يترك لـ « غاملان » سوى حق إجراء تنقلات الضباط الكبار .

ومثل هذه الفوضى في الصلاحيات انتقلت الى الأركان أيضاً، وأول ما تجسدت في انفصال أركان الجنرال « جورج » منذ شهر كانون الثاني عام ١٩٤٠ ، عن أركان « غاملان » فاستمرت الأولى في « لافرتي-سو - جوار » بينما انتقلت الأخرى الى جوار « مو » ، واتخذ « غاملان » مقراً له حصن « فنسين » على أبواب باريس ، وعلى مقربة من الدوائر الحكومية والسياسية . لكن الاقامة في هذا الحصن تثير الكآبة والأسى نظراً للجو القاتم المسيطر عليه . فالسراديب القديمة تنضح بالنطرون والضجر، وحفره تذكرك بقوافل المحكومين بالاعدام من الدوق « دنجين » الى « ماتاهاري » . ومما يزيد الطين بلة ، أن الحصن كان خالياً من محطة راديو ، ولم يكن فيه برج للحمام في الوقت الذي كان كبار المسؤولين الفرنسيين يؤمنون بالحمام الزاجل . وعندما طرح اقتراح باستعمال الآلة اللاقطة الطابعة، اتهم صاحب الاقتراح ، وهو ضابط ، بأنه يعتبر الأوامر العسكرية وكأنها نتائج سباق الخيل .. ولم يدرك الشعب الفرنسي ، إلا في شهر أيار، مدى تأثير تلك العزلة التي فرضها على نفسه الرجل الذي اعتقد أنه هو من يتولى إمرة الجيش .

لقد تضاربت الآراء بالفعل حول « غاملان » فكثيرون من المقربين اليه ظنوا أن الرجل يخفي تحت عذوبته ومداهنته إحاطة كاملة بالواقع وإدراكاً تاماً بالتفوق الألماني ، وأنه رفع يديه مستسلماً أمام الأقدار ظناً منه أنه لم يعد يملك أية وسيلة لتقويم الأوضاع . لكن هزيمته التي فاقت هزيمة « بازين » جعلته ينبذ ذلك القول الذي كان يردده : «أقر بأنني كنت اؤمن بالغلبة..»



قال « هتلر » لقوّاده في آب ١٩٣٩ : « ما ان تنطلق شرارة الحرب حتى يصبح النصر هو الكلام الفصل ، لا الحقّ » . وقال أيضاً : « كلّ شيء يجري على ما يرام لأن الوقت مناسب ومؤات لنا . وفي غضون ستة أشهر قد يتغيّر كلّ شيء . أمّا العامل الأكبر في ذلك كلّه فهو – وأقولها بكلّ تواضع – أنا : إنّ وجودي ضروريّ ، وما من عسكريّ أو مدنيّ يستطيع أن يقوم مقامي » .

رفع الفرنسيّون على إحدى ضفّتي نهر « الرين » دمية تمثّل « هتلر » مشنوقاً . وقد أرادوا بذلك الردّ على سخرية المعسكر المقابل من مظلّة « تشامبرلين » .



هجوم هتلر يتوقف

الزمان: ١٠ كانون الثاني وهو يوم جليدي كثيف الضباب.

المكان: نهر «الموز» الذي تجمدت مياهه، وقد انبرى بالقرب منه جنود أحد مواقع الحدود البلجيكيون يتدفأون حول النار داخل كوخ خشبي في ضواحي «ميشلن». وفجأة يتناهى إليهم أزيز طائرة تحلق على علو منخفض، فيهبون الى الخارج مسرعين، فإذا هم أمام طائرة تهوي خلف سلسلة من الأشجار وقد بترت جناحاها وعلق محركها في سياج وراح يرتفع منه خيط من الدخان وقف يتأمله رجل يرتدي معطفاً رمادياً طويلاً وهو في حالة من الذهول التام، بينما انصرف رجل آخر ذو معطف أغبر اللون يحرق بعض الأوراق. لم يكن هذان الرجلان سوى الطيارين اللذين هرع الجنود نحوهما وهم يطلقون النار في الهواء، ثم كبلوهما،



«هتلر» والجنرال «مانشتاين».

«لست أدري ما إذا كان «هتلر» على علم بمخططنا أم لا، ولكن لا بد من الاعتراف بأنه قد أدرك نظرياتنا بسرعة مدهشة».
(مانشتاين)

وأطفأوا النـــار . وما كاد « راينبرغر » أحد الطيارين الألمانيين الواقعين في الأسر ، يدخل العنبر الخشبي حتى انتزع الأوراق من يدي الكابتن ـ كومندان « رودريك » ودسها في الموقد بسرعة . لكن «رودريك» كان أسرع منه فانتشلها من بين ألسنة اللهب معرضاً يديه للاحتراق ، وعندهـــا أمسك الطيار الألمـــاني بمسدس الضابط البلجيكي وصوّبه نحو صدغه ، ولما انتزع المسدس من يده حاول أن يلطم رأسه بالجدار قائـــلاً : « لقد أذللت ، فدعوني أنتحر » في حين ظلّ الطيار الآخر ، ميجر الاحتياط« هونمنز » واجماً لا يبدي أية حركة .

لكن ما هي قصة هذه الطائرة بالتدقيق ؟

أراد الميجور (راينبرغر) العودة الى (كولونيا) بعد مهمة نفذها في (منستر)، فاستخدم طائرة الاتصال التي يقودها «هونمنز» ضارباً بعرض الحائط أوامر الأمن كلهـا . لكن الطائرة ضلت الطريق ونفد وقودها فهبطت حيثما تيسر لهـا ، وكان في حوزة (راينبرغر) التابع الى فرقـــة المظليين السابعة ، وثائق في غاية من السرية ، فوقعت بين أيدي لم تكن هذه الوثائق موجهة إليها.

وفي الغد كان الجنرال (غامـــلان) يستقبل في حصنه المنعزل الملحق العسكري الفرنسي الذي قدم للتو من (بروكسل) حاملا مذكرة من الجنرال (فان أوفرشتريتن) المستشار العسكري للملك توجز في عشر صفحات القسم الذي أمكن إنقاذه من وثائق (ميشلن) ، وهي تفضح خطة أعدها هتلر للهجوم على (هولندا) و(الأردين) البلجيكية التي رسمت عليها خطوط متعددة تحددالطرق التي على الجيش الألماني أن يسلكها ، كما تحدد المعابر على نهري (الموز) و(السامبر) التي كلفت باحتلالها الفرقة السابعة المنقولة جواً . لكن يوم الهجوم لم يكن محدداً أو مشاراً إليه قط ، غير أن البلجيكيين أدركوا ، بحدسهم، أن هذا اليوم بات قريباً ، وعندها طرحت مسألة التدخل الفرنسي البريطـاني في بلجيكا على بساط المناقشة .

في الرابع والعشرين من تشرين الأول كانت القيادة الفرنسية قد وافقت على مبدأ التدخل ، وكانت الخطة الأولية تهدف الى التقدم نحو نهر (أيسكو) من أجل تأخير الجحافل الألمانيــة الزاحفة باتجاه تحصينات الحدود الفرنسيـــة ، ولكن لماذا اقتصار التدخل على التأخير فقط ؟ ولماذا لا تدخل الجيوش الى بلجيكا وتتمركز فيها ؟ خاصة وأن الجيش البلجيكي كان يجهز نفسه ويقيم التحصينات الجدية .

بالفعل لقد كانت المغريات كثيرة لدخول بلجيكا . مغريات أدبيـــة ، واقتصادية واستراتيجية . فمن الناحيـــة الأولى يضع



جنديّ ألمانيّ يُعنى بالحمّام .

الفرنسيون والانكليز حداً لإهمالهم التقليدي للدول الصغيرة كما فعلوا بتشيكوسلوفاكيا وبولونيا. ومن الناحية الثانية فإنهم يتمكنون من إنقاذ أقاليم صناعيـــة ثمينة في بلجيكا وشمال فرنسا. أما من الناحية الثالثة فهناك هدفان هامان يستطيعان تحقيقها ، الأول إبعاد التهديد الجوي والبحري عن انكلترا، والثاني اقتراب الحلفاء من منطقة « الرور » وهي المنطقة القريبـــة من مستودع ذخيرة العدو . بالاضافة الى كل ذلك ، فإن انضمام عشرين فرقة بلجيكية الى جيوش الحلفاء من شأنه أن يعدل ميزان القوى .

لكن كان ثمة من يعارض هذا المشروع، ويبني معارضته على أسباب كانت ذات شأن. فالتوغل في بلجيكا، على حد قول المعارضين، يخرج الجيشين الفرنسي والبريطـــاني من تحصيناتها ، ومن ميدان القتـال الذي عملا على إعداده منذ الخريف ، ويعرضها (في السهول المواتية للدبابات) لما تحرّمه القوانين الفرنسية ، أي لمواقع الالتحام . إلا أن المؤيدين للمشروع يهزون رؤوسهم ويصفون هذا الرأي بالهرطقـة ، وأن التوغل داخل بلجيكا لا يعني سوى نقل معركة المقاومة الى الأمام ، وخارج أرض الوطن .

ولكن هل يسمح الوقت بإعداد الجبهة إعداداً كامـلا ؟ هل يسمح بحفر الخنادق ، وإنشاء الحواجز المضادة للدبابات ، وتركيز المدفعية ، وتنظيم الخطط الحربية ، خاصة وأن القواد قدروا المهلة اللازمة لإعداد الجبهة بين ٨ أيام و١٥ يوماً .

ان الأمركان يتوقف على عاملين إثنين : الأول يتناول الموقع الذي سيتم اختياره ، والثاني يتعلق بنوع المساهمـة التي سيقدمها البلجيكيون للحلفاء .

فعلى صعيد الموقع كانت هناك ثلاثة

حلول . الحل الأول : التمركز عند نهر « أيسكو » الذي يتطلب الوصول إليه مناورة قصيرة وسهلة تقضي بأن يقوم أقصى الجناح الأيسر بحركة إلتفاف حول « مولد » غير أن هـذا الحل ضعيف لأنه يترك « بروكسل » والقسم الأكبر من بلجيكا للعدو ، ولأنه حاجز سيء ، على أساس أن كثرة الزوارق، وان أغرقت ، فهي تشكل معابر صالحة للمشاة في أي مكان .

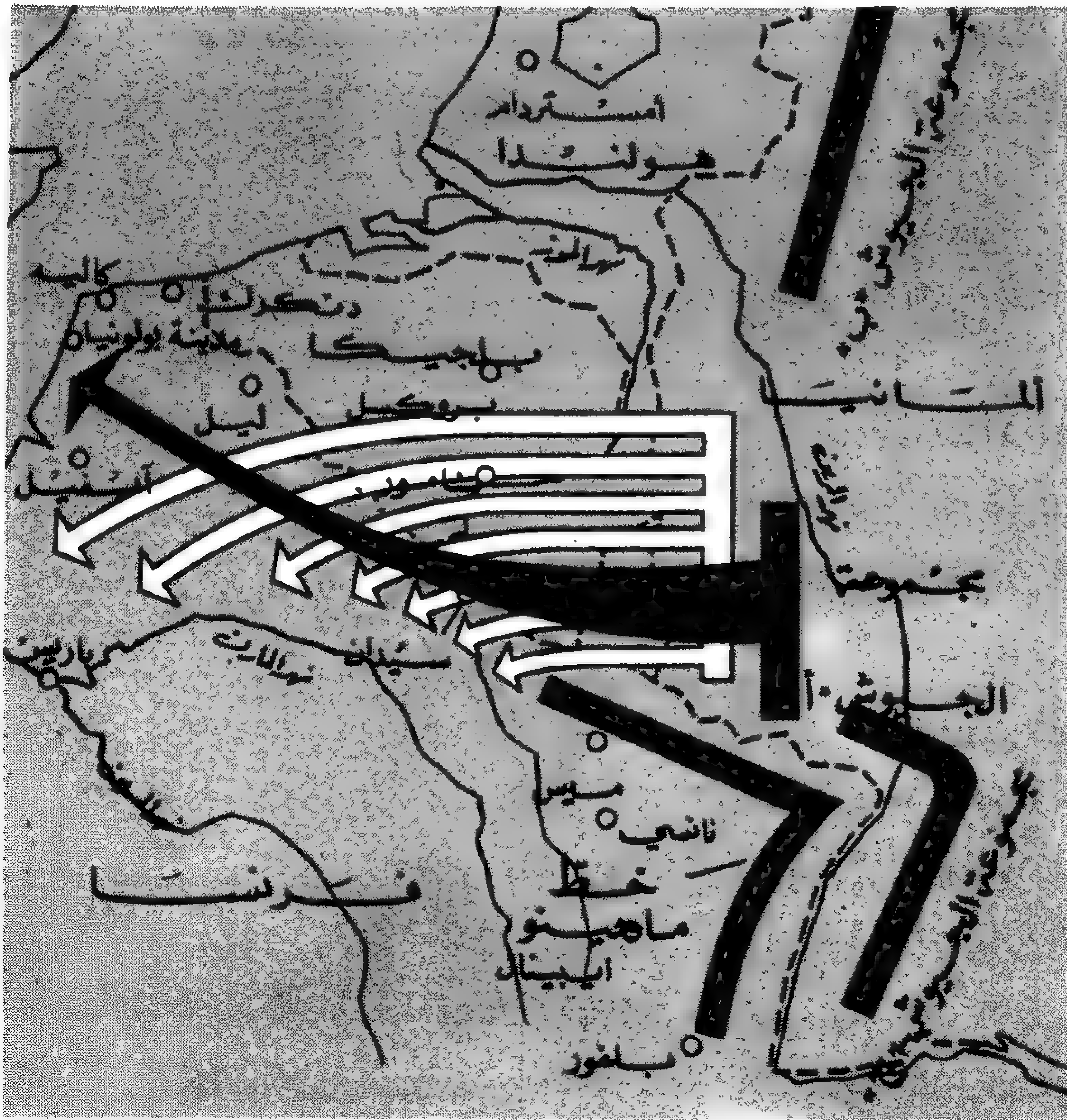
والحل الثاني التمركز في ترعة « ألبير » . وحسنات هذا الحل وسيئاته مناقضة لحسنات وسيئات الحل الأول . من حسناته أنـه ، بقفزة واحدة، يتم الوصول الى قرب الحدود الألمانية دون التضحيـة بغير جزء يسير من بلجيـكا ، وحيث يتم التمركز في أفضل حفرة أوروبية لمواجهـة الدبابات ، وهي كناية عن مساحـة مسطحة من الأرض ، عميقة وواسعة ، ومغمورة بالمياه ، وضفاف قطعت بشكل عمودي ، وتحصينات ثابتة تدعمها المعسكرات المتحصنة في « أنفير » و« لياج » . ومن مساويء هـذا الحل أنه كان على قوات الحلفاء أن تجتاز مسافة تساوي خمسة أضعاف ما كان على القوات الألمانية أن تجتازه قبل الوصول الى الترعة .

أما الحل الثالث وهو حل وسط بين هذين الحلين المتطرفين، فقد وضعت خطوطه الأولى في ٥ تشرين الثاني ، ثم أكمل في ١٤ منه في المذكرة الشخصية السرية الثامنة التي وجهها « غاملان » الى « جورج » وتنص على تمركز القوات الحليفة في خط « أنفير - لوفان - فافر - نامور » التي تهتم بتلقف القوات البلجيكية المتقهقرة بعد أن تكون قد حاولت تأخير العدو عند ترعة « البير »، وكانت التقديرات تشير الى إمكانية احتلال الخط خلال يومين بواسطة الفرق الآلية ، كما تشير الى إمكانية وصول فرق المشاة اليه خلال أربعة أيام . هذا فضلا عن إرسال الخيالة، برفقة فرقتين آليتين خفيفتين بقيادة الجنرال « بريبو » ، من أجل مساعـدة البلجيكيين في تأخير وصول الألمان. وبفضل هذه الخطة كان الحلفاء يأملون في كسب فترة أسبوع ، وهي فترة ضرورية لتنظيم الميدان نسبياً . ومن حسنات هذا المشروع التي لا تحتمل المناقشة، الإبقاء على بروكسل، واختصار الجبهة بمقدار ٧٠ كلم بالنسبة لمشروع « أيسكو » . لكن السيئة الوحيدة فيه هي ضعف الحواجز الطبيعية . فنهر « ديل » ، أحد روافد « أيسكو » الذي أوكل الى الانكليز أمر الدفاع عنه ، هو جدول متوسط تتفرع منه جداول صغيرة أنشيء فوقها حوالى ١٢٠ جسراً . ومن (فافر) الى (نامور) تنبطح بطاح (الهزبي)، كما تمتد فرجة (جانبلو) الخالية من العقبات، ولئن كان البلجيكيون يعتزمون حفر خندق مضاد للدبابات وإقامـة حاجز من الشباك

المعدنية ، إلا أنهم كانوا شديدي التعتيم على خططهم ومواقعهم، وكل ما أبلغوه للفرنسيين والانكليز هو أنهم مستعدون لطلب مساعدتهم في حال تعرضهم للهجوم . وربما كان دافعهم الى ذلك التعتيم تلك الرغبة في الحياد .

كان الاعتقاد السائد أن الزحف الألماني لن يحيد عن هولندا ، ولذلك جاء الطلب بنجدتها في مذكرة ١٤ تشرين الثاني، وبذل أقصى الجهد لوصل جيوشها بالقوات البلجيكية على ترعة (البير) ، أو على نهر (أيسكو) ، وهكذا تكون المشكلة قد تشابكت مع المشكلة البلجيكية . وأما تفاصيل عملية الوصل والنجدة فقد وضعت فيما بعد بحيث يتم احتلال الجزر الزيلندية : (بيفلند) ، و (فالشرن) ، ثم تتقدم القوات من (أنفير) لوصل مثلث أمستردام- لاهاي - روتردام بمواقع الحلفاء العامة ، وكلف بهذه المهمة الجيش الفرنسي السابع بقيادة (جيرو) الديناميكي والحاد الطباع .

وعند حصول الزحف الألماني - وهو الحدث المرتقب - ستجد القيادة الفرنسية نفسها أمام خيارات محددة : فإما مشروع ترعة (البير) في أفضل الظروف ، وإما مشروع (أيسكو) في اسوأهما . وإما



الغزوة رقم ١٤
خطة
« شليفن »

الغزوة رقم ٤٠
خطة
« مانشتاين »

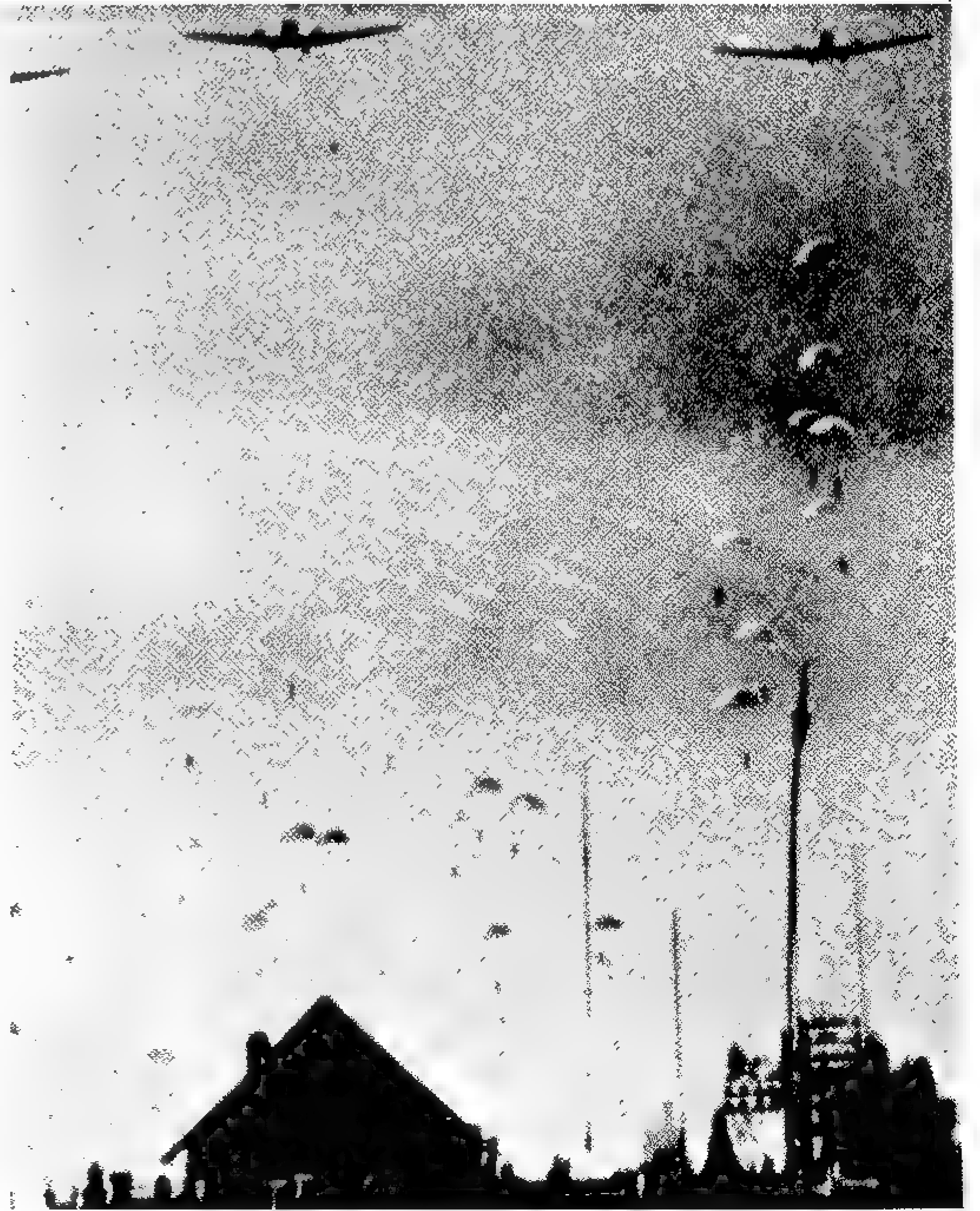
مشروع (ديل) ، وإما مشروع (بريدا) وهو الذي يقضي بالزحف على هولندا .

ولعل النتيجة الواحدة التي ترتبت عن كل هـــذه المشاريع هي ضرورة دفع كل القوى المتحركة دفعة واحـــدة الى ساحة القتال . الجيش السابع، الذي كان محتجزاً، أرسل الى هولندا ، وفوج الخيالة الآلي ، العامل الأول في صد هجوم المصفحـــات الألمانية ، اجتزئت منه فرقـة آلية خفيفة أرسلت الى هولنـدا أيضاً ، بينما أرسلت الفرقتان الأخريان الى (تونجر) و (هانوت) لتأخير الهجوم على خط (أنفير – نامور). أما فرق المشاة الآلية السبع فقد اقتحمت الميادين منذ اليوم الأول باستثناء فرقة واحدة. وبذلك تكون القوات الفرنسية التزمت خطة المقاومة والرد تاركة أمر المبادرة للعدو. أما أساليب الرد فكانت القيادة قد قررتها منذ اليوم الأول .

هنا ظهرت الاعتراضات من معظم القواد الذين كانوا يعارضون فكرة الدخول الى بلجيكا . فها هو (لا لورنسي) مثلاً ، قائد الفيلق الثـالث يقول : (حين عرض علينا مشروع (ديل) استحوذت علينا جميعنـا فكرة واحدة: ليتنا لا نضطر الى تنفيذها !) ولم يكن القواد الفرنسيون وحدهم يعارضون هذه الخطة ، بل الانكليز أيضـاً كانوا يعارضونها على الرغم من حرصهم الشديد على سلامة شاطىء بحر الشمال . وقد عللت



خلال مناورات جرت في « ألمانيا » ، يبدو من اليسار إلى اليمين : الجنرال « بوش » ، والليوتنان « سايفرت » ، والجنرال « فون سيكت » .



مظليون ألمان يهبطون فـي هولندا ايار ــ عام ١٩٤٠ .

لجنة رؤساء أركانهم معارضتهم بالقول : (ما لم يتبدل موقف البلجيكيين ، فنحن نعتقد أن الهجوم الألماني يتوقع حصوله من ناحية مواقع الحدود الفرنسية المحصنة ...)

والحقيقة أن البلجيكيين لم يبدلوا موقفهم، وأكثر من ذلك فقد وجهوا ، في أيلول ١٩٣٩، ثلثي قواتهم ناحية الحدود الفرنسية خوفاً من هجوم تشنه القوات الفرنسية على « الرور » عبر الأراضي البلجيكية ، وكانوا شديدي الحرص على الا يرتكبوا أية هفوة يمكن أن يستغلها الألمان ذريعة لمهاجمتهم ، فكثفوا الحواجز عند الحدود الفرنسية ، وانقطع كل اتصال بين الأركان ، وفي مثل هذه الحال ، لو اضطرت فرنسا للدخول الى بلجيكا لسبب من الأسباب ، فإنها ستجد صعوبة شديدة في التقدم ، ولعل هذا ما جعل أكثر الفرنسيين تفاؤلاً بامكانية استدعاء المسؤولين البلجيكيين للقوات الفرنسية ، فاقدي الأمل .

بيد أن هبوط الطائرة الاضطراري في « ميشلن — سور — موز » أعاد الأمل الى أولئك الفرنسيين المتفائلين ، لا سيا وأن الوثائق المحتجزة تكشف ، دون أدنى شك، بأن القيادة الألمانية تعتزم خرق الحياد البلجيكي . ومنذ اكتشاف تلك الوثائق بدأ البلجيكيون يفكرون بامكانية استدعاء الحلفاء، خاصة وانهم طالبوهم أكثر من مرة بضمانات يكفل الحفاظ على كيان بلجيكا ومستعمراتها بعد الحرب . وفيا الانكليز أبدوا حذراً كان الفرنسيون شديدي الالحاح، باستدعائهم وما كان من « غاملان » إلا أن كلف أحدهم بنقل رسالة الى المسؤولين البلجيكيين يقول لهم فيها أنه « قد يكون لكل ساعة تمر عواقب وخيمة ». وكم كانت خيبته مريرة عندما شكك مساعده «جورج» أمامه بجدوى النجدة الفرنسية .

وما عتم الشتاء القاسي أن حمل إليهم العذاب والمشقات . أما البلجيكيون فقد بدلوا خططهم، فرفعوا حواجزهم عن الحدود مع فرنسا، ونقلوا جند المراقبة نحو الشرق، وحمل ملحقهم العسكري الجنرال « دلفوا » في ليل ١٣ — ١٤ كانون الثاني رسالة من الملك الى حصن « فنسين » تقول : « أبلغوا الجنراليسم بأن الهجوم واقع لا محالة اليوم، الأحد ١٤ كانون الثاني » فكان جواب « غاملان » بأنه على أهبة الاستعداد ، وان السرعة ضرورية في هذا المجال من أجل تجنيب الجنود التقلبات الجوية القاسية .

في المانيا كان هتلر يعاني من نوبة عصبية حادة ، وقد قال « كيتل » تعليقاً على هذه الحالة الهتلرية بأنها « أروع عاصفة رأيتها في حياتي » . أما سبب هذه النوبة العصبية فهو الخبر الذي نقل اليه عن سقوط الطيارين الألمانيين في بلجيكا وفي حوزتها الوثائق التي تفضح مشروعه الهجومي الذي



كبار ضباط الجيش الفرنسي في شوارع فردان ، ويبدو الى اليسار الجنرال جيرو والى اليمين الجنرال هوتتزيغر .

لم يستطع بعض ضباط الأركان الفرنسيين تصديقه ، والذي ظن البلجيكيون أن يوم ١٤ كانون الثاني هو اليوم المحدد لبدئه ، إلا أن ١٧ الشهر نفسه كان هو اليوم المحدد .

وجاء هبوط الطائرة الاضطراري ليجبر هتلر على إعادة النظر في المخطط ، لا سيا بعد أن أوقف أفراد أسرتي الطيارين « راينبرغر » و هونمنز» وأخضعهم لتحقيق الغستابو ، وبعد أن أقال قائد الأسطول الجوي الثاني ، وما أن استعاد هدوءه حتى راح يتساءل: أيبقي على الهجوم ؟ أم يؤجله ؟

ان الجواب عن ذلك كان لا بد أن يكون مرتبطاً بما حصل للوثائق التي كانت في حوزة الطيارين، ولمعرفة ذلك بعث هتلر بملحق الجو الألماني الجنرال « فون فننجن » الى بروكسل لمقابلة الطيارين على انفراد بعد أن سمحت له السلطات البلجيكية بذلك ، ولكنها أخفت آلة تنصت في الغرفة التي تمت فيها المقابلة . وقد سجلت هذه الآلة قسماً أداه « رينبرغر » يؤكد فيه بأن

الوثائق قد أتلفت ، فحمل « فننجن » النبأ الى الفوهرر على جناح السرعة ، ولكن ما أن تراخت أعصاب هتلر المشدودة بعد نقل هذا النبأ اليه حتى بلغه نبأ آخر من المكتب الثاني يشير الى أن الفرقتين الفرنسيتين الآليتين ٩ و٢٥ قد احتشدتا على الحدود ، وأن البلجيكيين يرفعون الحواجز . إذاً ، لقد افتضح السر !

ومع ذلك ظل هتلر يقتنع بجدوى القيام بهجوم سريع فبادر الى استشارة خبراء الرصد الجوي ، فكان جوابهم بأن الطقس ممطر ومثلج ، وهذا يعني استحالة تحرك الطيران ، وأمام معاكسة السماء وجد هتلر نفسه مضطراً الى تأجيل الهجوم الى وقت لاحق ، كما وجد البلجيكيون أنفسهم أنه من الأفضل لهم إلغاء قرارهم باستدعاء النجدة ، فعادوا الى إقامة الحواجز ، وأمروا قواتهم بصد أية محاولة دخول الى البلاد من قبل الفرنسيين أو الانكليز ، وكان كلام الملك صريحاً وواضحاً في هذا المجال في تصريح رسمي له ، الأمر الذي دفع بالفرنسيين الى العودة باتجاه معسكراتهم .

يجمع المراقبون العسكريون على أن الهجوم الألماني لو حصل في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٠ كما كان مخططاً له ، لأتى مغايراً تماماً للهجوم الذي أمر به هتلر في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٩ ، على أساس أن مناورة « سيدان » كانت ظهرت الى حيز الوجود .

ولطالما اختلفت الآراء حول هوية واضع الخطة المذكورة . أهو هتلر نفسه ، أم الجنرال « أريك فون مانشتاين » الذي كان رئيس أركان مجموعة جيوش « روندشتاد » أبّان الحملة البولونية، والذي احتفظ بالمنصب نفسه بعد انتقاله الى الجبهة الغربية ؟ الاعتقاد السائد كان يقول أن المناورة هي من بنات أفكار « مانشتاين » الذي عرضها على هتلر فتبناها ، لكن التمحيص في الوثائق ومقارنة التواريخ لا يثبت ذلك على الاطلاق . وحيال هذا الغموض يمكن القول أن الفكرة قد تكون خطرت لمانشتاين دون أن يتمكن من عرضها على الفوهرر ، ولكن هذا الأخير اطلع عليها بعد أن أمر باتخاذ الاحتياطات والاستعدادات المتعلقة بالخطة ، ومانشتاين نفسه يعترف بأنه من الجائز أن تكون فكرة هتلر قد سارت جنباً الى جنب مع فكرته ، ولا يستطيع التأكيد بأن هتلر استوحى الفكرة منه . وقد صدر كتاب حول هذه المسألة بعنوان : « كيف قرّر مصيرنا ؟ » للجنرال الفرنسي « كولتز » أكد فيه مؤلفه أن صاحب خطة « سيدان » هو الكابورال « أدولف هتلر » دون أن ينسى التنويه بفضل مانشتاين وبمؤهلاته العسكرية ، ومشيراً الى أن هذا الأخير لم يلتق هتلر قط ، وكانت قيادته قد استقرت في « كوبلنس » بعد أن انتقل الى الجبهة الغربية .

والمهم أن هتلر هو الذي أمر بتنفيذ

الخطة في أواخر تشرين الأول، وكانت هذه الخطة في مستوى الأهداف المتواضعة التي حددتها مذكرة ٩ تشرين الأول : احتلال الشاطىء البلجيكي لاتخـاذه نقطة انطلاق لعمليات جوية وبحرية ضد انكلترا . وكانت هذه العملية أشبه ما تكون بخطة «شليفن» نظراً لاتساع حركة الالتفاف ولقوة الجناح الأيمن ، إلا أنهـا لم تكن خطة « شليفن » نفسها لأنها كانت تهدف الى احتلال الأرض، لا الى إبادة العدو. وكان شليفن الذي عدلت خطته عام ١٩١٤ ، يبغي الوصول الى حوض نهر « السين » لمحاصرة الجيش الفرنسي وأسر أفراده ، لكن خطة « شليفن » التي تبناها « براوشيتش » كانت الغاية منها السيطرة على موانىء بحر الشمال ، ولم يكن دور بمجموعة « روندشتاد » (المجموعة أ) في هذا المخطط سوى دور ثانوي ، إذ كان عليهـا القيام بهجوم باتجاه نهر « الموز » معتمدة على جيشين وعلى فرقة مصفحة من أجل حمـاية عمليات (الفريق ب) وتسهيلها .

ولم يلبث «مانشتاين» أن أعلن معارضته لهذا المخطط وذلك في ٣١ تشرين الأول ، وحمـل « روندشتاد » على التوقيع على اقتراحـين مضادين : الأول ينصح بالتخلي عن الهجوم على أن يترك للعدو مهاجمة الجيش الألماني ، وعلى أن ترهق انكلترا عن طريق القصف الجوي ، حتى اذا ما خرج جيشها من تحصيناته تم القضاء عليه . أما الاقتراح الثاني فيجري تطبيقه في حال الإبقـاء على خطة الهجوم ، وهو يقضي بتقوية المجموعـة (أ) على حساب المجموعة (ب) التي تحتفظ إذ ذاك بثلاثة جيوش للقيام بالمهـام المسندة اليها ، فيا يخرج الفريق (أ) بجيوشه الثلاثة الاضافية من دور الحارس الجانبي البسيط . قال (مانشتاين) : « إذا أرتكب العدو خطأ الزج بقواته كلها في بلجيكا، وهذا أمر ضعيف الاحتمال ، فقد تتمكن المجموعة (أ) من دفع أحد جيوشها باتجـاه نهر (السوم) كي يقوم بهجوم مضاد على الهجوم المضاد ، بدلاً من الاكتفاء بصده » .

حتى الآن لم تكشف مناورة (سيدان). ولم يتلق (مانشتاين) أي جواب على المذكرة التي أرسلها بطريقة نظامية الى (براوشيتش)، لكن (روندشتاد) الذي قصد الى إقنـاع براوشيتش من قبل مانشتاين، استطاع بفضل جهوده الجبـارة ، وبعد مناقشات حادة ، الحصول على فرقة مصفحة ثانية فصلت من احتياطي قيادة الجيش البري لتلحق بمجموعة جيوشه ، غير أن شيئاً لم يتبدل في مهمتها .

لكن يوم ١٢ تشرين الثـاني كان يوم المفاجأة الكبرى . لقـد وصلت الى أركان المجموعة (أ) المذكرة الآتية : « تنشأ للحال ، في جنـاح الجيش الثاني عشر ، مجموعة ثالثة، تتمركز في المنطقة القاحلة التي تمتـد على جانبي « أرلون — تينتيني — فلورانفيل » ، وتضم فوجي الدبابات الثاني والعاشر ، وفوج (المانيا الكبرى)، وفرقة

آلية ، فضلاً عن الفيلق التاسع عشر .

أما مهمة هـذه المجموعة فهي احتلال ضفة (الموز) الغربية في (سيدان) أو في جنوبيها الشرقي وبشكل مباغت من أجل إيجاد الظروف الملائمة لمتابعة العمليات .

وهـذه المرة أيضاً لسنا أمام ما سمي (مناورة سيدان) وان كنا قاب قوسين منها أو أدنى. لقد جاء إلحاق الفوج الثالث الذي يقوده (غوديريان) ، وهـو أنشط قواد الوحدات المصفحة الكبيرة وأوسعهم خبرة ، بالمجموعـة (أ) ليشكل خطوة حاسمة في تحول نقطة الثقل (شفر بونكت) الى (الأردين) . وهنـا للمرة الأولى تخطر فكرة الهجوم المفاجىء .. على (سيدان).

وأنكب (مانشتاين) ينقب عن مصدر الوحي الذي استلهم منه الفوهرر خطته . لم ينسبه لمذكرته في ٣١ تشرين الأول التي كان يدرك أنها لم تتخط حاجز قيادة جيش البر ، ولم يستبعد (مانشتاين) أن يكون هتلر قد اهتدى الى الخطة بنفسه ، لا سيا وأنه وصف هتلر بأنه « يمتـاز بنظرة تكتيكية حادة ، وكثيراً ما كان يحدق في الخرائط مستلهماً». غير أن الجنرال (بوش)، قائـد الجيش التاسع عشر ، كان قد وقف بمقابلة الفوهرر منذ بضعة أيام ، ومن المحتمل أن يكون قد أطلعه على الخطط التي توضع في (كوبلنس) ، إلا أن اعترافات (كيتل) و(جودل) تؤكد أن (بوش) لم يكن له يد في قرار ١٢ تشرين الثاني ، وقـد حذا هتلر حذو مانشتاين في انتقاد نظرية(شليفن) العسكرية واتهم القواد بـ (انتعال حذاء) منظم الخطط الحربية في عهد(غليوم الثاني)، وراح يكرس جهوده للتملص من العقليـة « الشليفينية »، وأول ردة فعل على سيطرة الجناح الأيمن هي إلحـاق « غوديريان » بـ « روندشتاد »، ولعل أكثر ما كان يشغل بال هتلر هو إمكانية نقل الفرق المصفحـة كلها ، خلال العمليات ، من مجموعة « ب » الى مجموعة « أ » ، من أجل إحـداث ثغرة في الجهاز الفرنسي وتصديع الجبهة الوسطى، هذا اذا ما أسفرت مداهمة « سيدان » عن نتائج هامة .

ولم يكن « مانشتاين » أقل إنشغالاً بفكرة اختراق الجبهـة الوسطى ، هذه الفكرة التي تشكل ، باعتقاده ، ثورة في التخطيط العسكري الذي يعتمد على إلتفاف الجناحين ، ويستوحي أسلوب معركة «كانا» الشهير الذي كان، وما يزال، بعد ٢٣ قرناً ، يخضع الألمان لتعاليم « هنيبعل » . وراح « مانشتاين » يرسل المذكرة تلو الأخرى : في ٢١ و٣٠ تشرين الثاني ، و٦ و١٨ كانون الأول ، و١٢ كانون الثاني ، مبدياً اعجابه بالفكرة التي تشتمل عنصر المفاجـأة ، كما يشتمل عنصر مفاجأة تكتيكي يتناول طبيعة « الأردين » التي اعتقد ، خطأ ، أنهـا غير صالحـة للدبابات . لكن هتلر استطاع ، بفضل موهبتـه العسكرية وبفضل دراسته

العميقة والدقيقة للخارطة ، التأكيد على أن منفرجات «أرلون» و«تينتيني» و«فلورانفيل» تساعد على بلوغ « الموز » ، والتأكيد كذلك على أن الغابات الكثيفة والباسقة الأشجار لا تحول دون الزحف . وفي الوقت نفسه كان « مانشتاين » هو الآخر ، منكباً على دراسة المناورة ، وقد توصل الى قناعة تقول بامكانية بلوغ مصبات « السوم » مباشرة ، دون أن يخطر بباله بأن الفرنسيين والانكليز سيبلغون درجة من الغبـاء تعرضهم لخطر التطويق داخل بلجيكا . أما القول أن مانشتاين هو الذي أوحى بالفكرة الى هتلر ، فهذا أمر بعيد الاحتمال جـداً ، إذ كيف يوحي إليه وهو الذي لم يجتمع به بعد ، ولم



في أعماق خطّ « ماجينو » .

تصل الفوهرر مذكرة من مذكراته حسب اعترافات ضباط قيادة جيش البر كـ «جودل» و« لوسبرغ » و « فارليمونت » . وفي أي حال فقد أسندت إليه ، في ٩ شباط ، قيادة فيلق جديـــد ، بعد انتهاء فترة إلحاقه بالأركان ، فعاد الى « بوميرانيا » لتكوين الفيلق المذكور .

بيد أن ذهاب (مانشتاين) لم يوقف الإعداد لمناورة (سيدان) . وقد أشار (جودل) في يومياته بتاريخ ١٣ شباط الى أن هتلر عـاد الى موضوع (نقطة الثقل) وأعلن أن عدداً كبيراً من المصفحات تخصص لقطاعـــات ثانوية دون مبرر . « وينبغي إرسالهـــا الى (سيدان) حيث لا يتوقع العدو أن نبذل جهدنا الأكبر » .

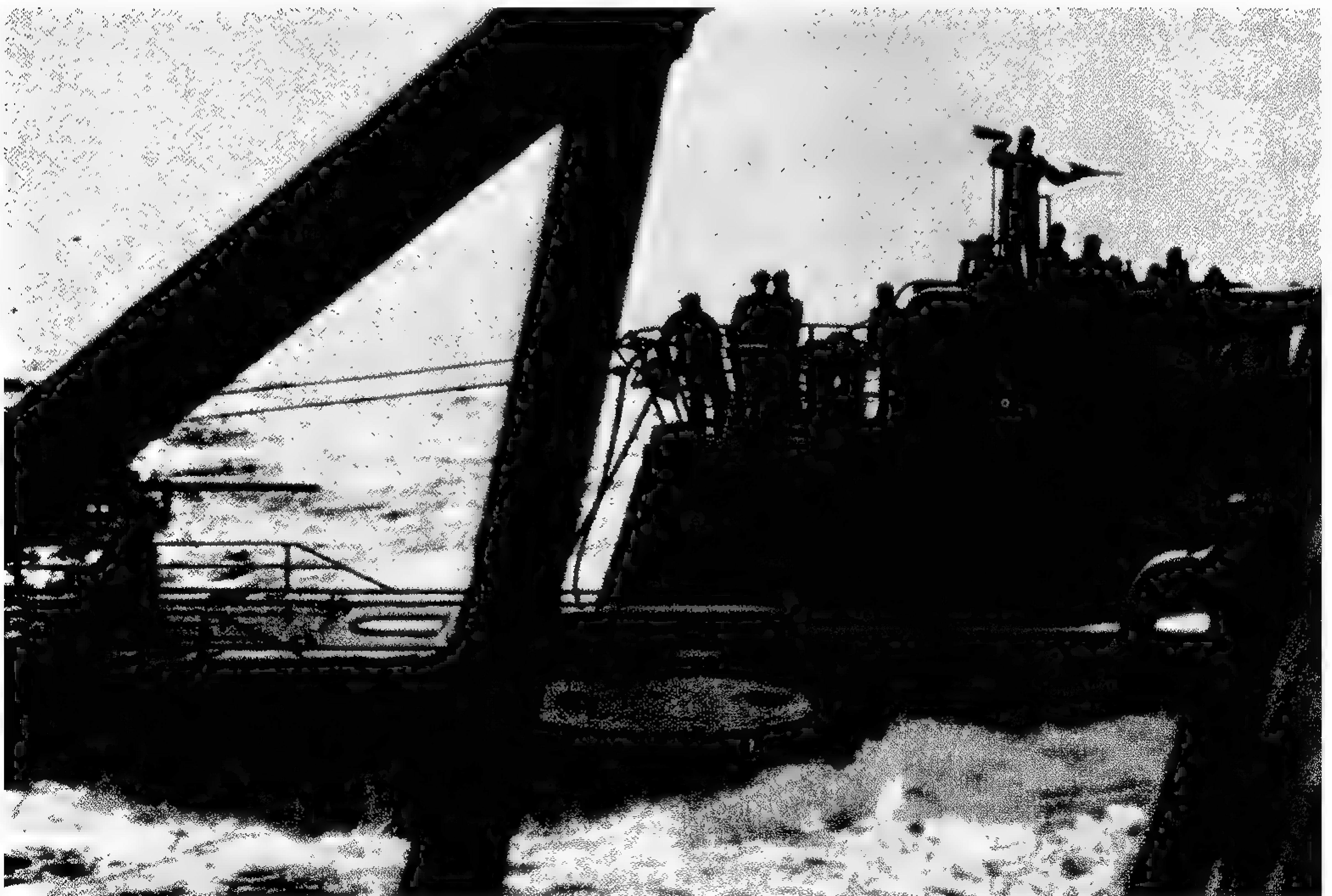
ان هذه الإرشادات دفعت بقيادة جيش البر الى تعديل أجهزتها وفقـــاً للمعطيات الجديدة ، فألحقت ثلاث فرق دبابات جديدة (الأولى والخامسة والتاسعة) بالمجموعة (أ) فلم يبق لـ (بوك) غير ثلاث فرق من أصل تسع فرق خصه بهـــا التصميم الأول . أما (روندشتاد) فقـد آلت اليه الآن إمرة سبع فرق، بعد أن كان آمراً لفرقةواحدة، وقد تمركزت خمس من هذه الفرق قبالة (سيدان) مباشرة، بالاضافة الى ان الجيش الرابع (فون كلوغي) ألحق بالقيـادة بعد أن تم سحبه من إمرة (بوك) . وفي هـذا الصدد يعلن (جودل) : (وهكذا بلغت قواتنا ، جنوبي (لياج) ، ثلاثـة أضعاف القوات المتمركزة شماليها) .

والواقع أن (مانشتاين) لم يحظ بلقاء هتلر إلا في ١٧ شباط عندمـــا دعي الى المستشارية الجديدة مع قواد الفيـالق الجدد أمثـــال (شميدت) و (راينهاردت) ، و(غـــلومي) و (غيرفون شفبنبيورغ) و(رومـــل) و (كيتل) و (جودل) وسواهم . وما أن انتهى العشاء حتى انفرد هتلر بمانشتاين في غرفة مجاورة وراح يستمع الى رأيه في تنظيم الهجوم على فرنسا . وهنا يقول (جودل) في يومياتـــه على لسان مانشتـــاين : (ان مصير الهجوم لن يتقرر غربيّ (الموز) ، بل على (الموز) نفسه ، في منطقة (سيدان - شارلفيل) . فإما أن تحتشد هناك قوى مصفحة ضخمة ، أو لا يحدث هنـاك شيء البتة . وكل ما يترك في المؤخرة لن يصل الى الميـدان في الوقت المناسب ..) .

وفي كتابه : (انتصارات وهزائم) اعترف مانشتاين نفسه بهـذا اللقاء وقال : (لست أدري ما اذا كان (هتلر) على علم بخططنا أم لا ، ولكن لا بد من الاعتراف بأنه قد أدرك نظرياتنا بسرعة مذهلة ..) . وليس هـــذا بالأمر المستغرب لا سيا وأنه كان ، منذ شهور ، يعيش في جو النظريات المماثلة ، وهو الذي كان قـد أصدر أوامره بتنفيذها عشية اليوم السابق .

يبدو أن مناورة (سيدان) قد نضجت، وأنه من الضروري تنفيذها بدقة، على الرغم من الصعوبات الجمة التي تعترض هذا التنفيذ، ولا سيا اجتياز (الأردين) ذي الطرقات الضيقة ، المتعرجة التي تفرض على الفرق المصفحة والآلية توزيعها صفوفاً وإرسالها على الطرقات ذاتها واحدة بعد الأخرى ، وتحديد مهلة تقدمها بكثير من الدقة ، على أن تُسيّر الفرق الثانوية في دروب الغابات ، باعتبار أن أي قصف ، أو أدنى مقاومة قد يسبب بلبلة شديدة وسط الأحراج ، الأمر الذي يؤدي بالفرق الى بلوغ (الموز) وحدات متفككة ، ولعل هذا ما دفع بالبعض الى التساؤل : (أليس من فساد التفكير والمنطق اقتفاء أثر الخنازير البرية لمهاجمة الجيش الفرنسي ، فيما تبدو سهول (البرابان) المكشوفة الصلبة وكأنها قد خلقت لمعارك الدبابات) .

وقد ذهب الأمر بأحدهم ، (فون بوك) الى أبعد من ذلك، فصاح في أحد الاجتماعات التي عقدت في ١٥ آذار بقوله : (أتنزلقون على بعد ١٥ كلم من خط (ماجينو) وتتصورون أن الفرنسيين سيكتفون بالتفرج عليكم ؟ أترسلون مصفحاتكم أرتالاً أرتالاً على



غوّاصتان ألمانيّتان تتبادلان التحيّات والرسائل في المحيط «الأطلسيّ» .

طرقات (الأردين) المتعرجة وتنسون وجود الطيران ؟ أتتخيلون أنفسكم تعبرون (الموز) في نهار واحد وتسعون وراء البحر في جبهة جانبية يبلغ طولهـا ٣٠٠ كلم ؟! لكن كيف ستتصرفون اذا ما حوصرتم بين الحدود ومعبر النهر ؟. أو اذا لم يدخل الفرنسيون الى بلجيكا ؟ أو مـاذا ستفعلون اذا تركوكم تعبرون (الموز) ببعض قواتكم ثم شنوا عليكم هجومـاً معاكساً بكل ما لديهم من طاقات وقوى ؟. صدقوني، إنكم لحالمون !.)

واذا كانت شهادة (بوك) مجروحـة بسبب انتزاع الدور الأول منه ، فما عسى تكون شهادة (روندشتاد)، قائد المجموعة (أ) الذي يشاطر بوك رأيه، وقلقه فيقول: (إن (غاملان) محنك، فلا تنسوا ذلك !.) و(هالدر) ، الجندي الممتـاز ، يطالب ، على الأقل ، بالتوقف على نهر (الموز) ريثما يلتحق جيش المشاة بالمصفحات لتنظيم الهجوم العام ، وحتى (جودل) ، المولع بشخصية هتلر ، والمعجب بالمناورة العبقرية ، على حد قوله ، يصر على التنصل من المسؤولية ويقول: (لقد رفعت الى الفوهرر تقريراً أشرت فيه الى أن التوغل عبر (سيدان) درب تحف به الأسرار ، وقد يفاجئنا فيه الـه الحرب بما نكره) . والحقيقة أنـه لم يكن هناك منفذ سوى (غوديريان) الذي وثق بالخطة الهتلرية ثقة عمياء ، وقد سأله هتلر ، عندما كان يعرض خطته في اجتماع عقد في ١٥ آذار لعبور (الموز) خلال خمسة أيام : (وماذا



« يهينونني بإصرارهم على القول إنني أسعى إلى الحرب . أمجنون أنا ؟ وهـل كانت الحرب يومـاً لتحل المعضلات ؟ لا ! ما الحرب إلا وبال على العالم . فإن هي نشبت فنيت بها أجناسنا – وهي النخبة في الأجناس – وأدّى الأمر ، في المدى الأبعد ، إلى سيطرة « آسيا » على قارّتنا . وإلى انتصار « البولشفية » ».

(من حديث «لهتلر» مع ف. دو برينون سنة ١٩٣٢.)

بـاب المستشارية

بعد ذلك ؟) فأجابه (غوديريان) قائلاً : (سأتابع زحفي نحو الغرب في الغد ما لم يعترضني عارض . وكل ما أبغيه من القيادة هو تعيين الوجهة التي اتخذها : (أميان) أم (باريس) ؟

وها هي المناورة قد اكتملت فصولاً ، أو كادت ، هتلر يعد الضربات الصاعقة التي سيوجهها الى شمالي الميدان بغية صرف انتباه العدو الى تلك الناحية . فرقة المظليين السابعة ستنقض على هولندا ، وعلى ترعة (ألبير) وتحصينات (لياج) بدلاً من نزولها على معابر (الموز) و (السافر) كما كانت تقضي المخططات التي فقدت أثناء هبوط الطائرة الاضطراري في (ميشلن) . شلة من الضباط العاديين قصدوا الى الفوهرر للتشاور في مسألة انقضاضهم على جسر (فرونهوفن) وهبوطهم على مرتفعات قلعة (ابين أمايل) دون إحداث أي ضجة تلفت الانتباه بينما تتوغل الدبابات نحو

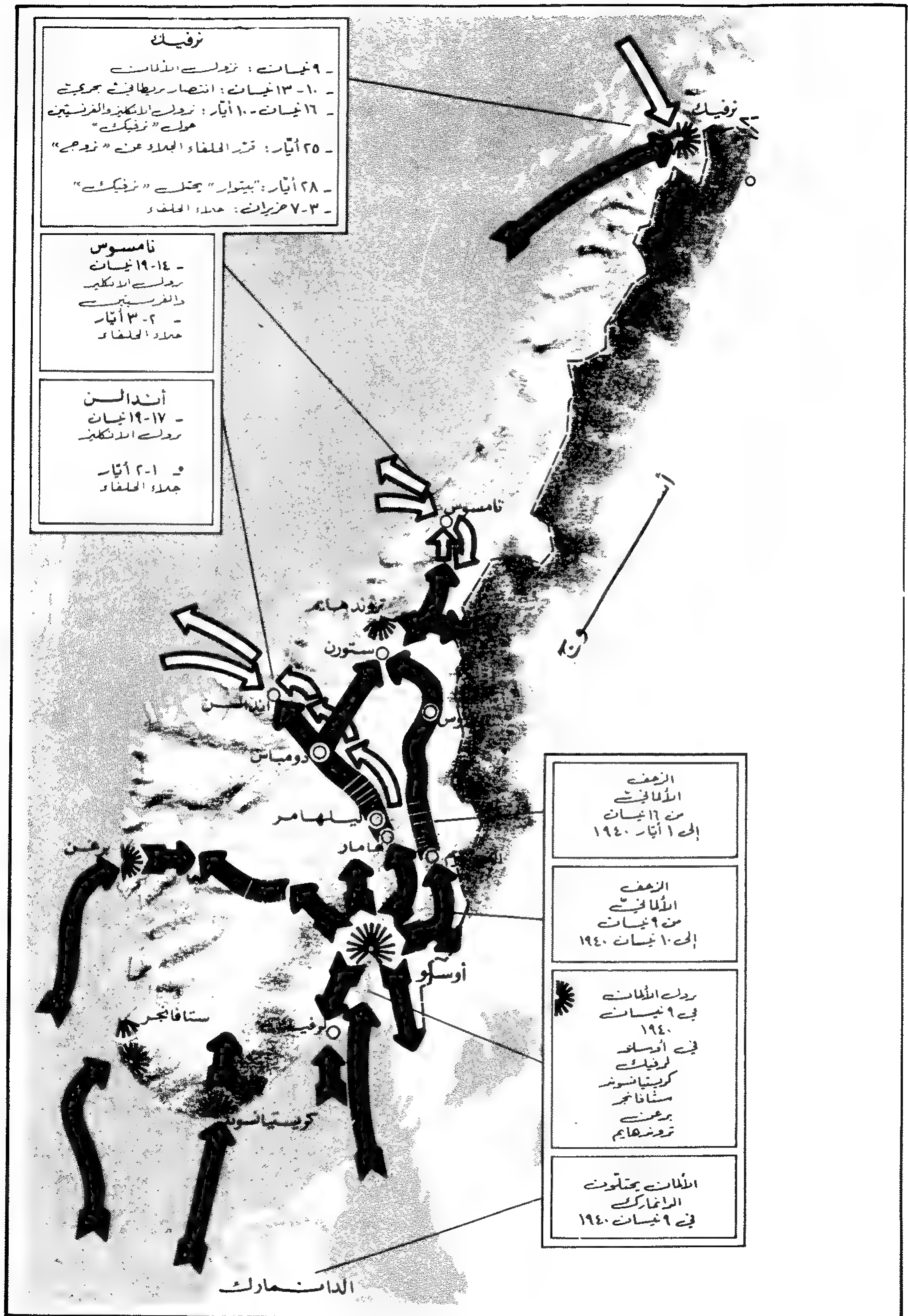


ضابط بحريّ فرنسيّ بين أنقاض « نامسوس »

(سيدان) وسط (الاردين) في أكبر نطاق من السرية الممكنة .

ها قد أقبل الربيع وحلت البراعم محل الثلوج ، كما حل الاسترخاء العسكري على جبهة (اللورين) محل الحمية العسكرية ، وقد جرت العادة لدى الألمان أن يبدأوا هجوماتهم في أوائل السنة كما حصل في (فردان) مثلاً (٢١ شباط ١٩١٦) ، أو في (السوم) (٢١ آذار ١٩١٨) . ومع إقبال الربيع استنتج الفرنسيون أن الهجوم لن يقع ، وان سلاماً طويل الأمد سيكون هو المسيطر ، ولكن هذا الاستنتاج أصاب الأركان الفرنسية بما يشبه خيبة الأمل ، لا سيما وأن (غاملان) مثلاً كان يتمنى حصول الهجوم الألماني على أساس أن حظ الدفاع في النصر أوفر بكثير من حظ الهجوم في الظروف الراهنة ، وهو يقول بهذا الصدد : (انني أبذل ملياراً من الفرنكات في سبيل أن أهاجم). وكان أكثر ما يقض مضجعه عندما يمر في خاطره احتمال تسمره مع جيشه الضخم طوال فصلي الربيع والصيف من عام ١٩٤٠ .

ويشاء هتلر أن يلجأ الى مزيد من الحنكة، فبعد تردد طويل ، وتبديل رأي أكثر من مرة قرر أخيراً ، في ٣ آذار ، تنفيذ (تمرين فيزر) قبل (المشروع الأصفر) ، أي اجتياح (النروج) قبل القضاء على فرنسا ، وبمعنى آخر شن معركة في الدائرة القطبية قبل الانصراف نحو (سيدان) .


نرفيك
- ٩ نيسان : نزول الألمان
- ١٠-١٣ نيسان : انتصار بريطاني بحري
- ١٦ نيسان - ١٠ أيار : نزول الانكليز والفرنسيين حول "نرفيك"
- ٢٥ أيار : قرر الحلفاء الجلاء عن "نروج"
- ٢٨ أيار : "بيتوار" يحتل "نرفيك"
- ٣-٧ حزيران : جلاء الحلفاء
نامسوس
- ١٤-١٩ نيسان
نزول الانكليز والفرنسيين
- ٢-٣ أيار
جلاء الحلفاء
أندالسن
- ١٧-١٩ نيسان
نزول الانكليز
- ١-٢ أيار
جلاء الحلفاء
الزحف الألماني من ١٦ نيسان إلى ١ أيار ١٩٤٠
الزحف الألماني من ٩ نيسان إلى ١٠ نيسان ١٩٤٠
نزول الألمان في ٩ نيسان ١٩٤٠ في أوسلو
لرفيك
كريستيانسوند
ستافانجر
برغن
تروندهايم
الألمان يحتلون الدانمارك في ٩ نيسان ١٩٤٠
نرفيك
نامسوس
تروندهايم
ستورن
دومباس
ليلهامر
هامار
برغن
أوسلو
ستافانجر
كريستيانسوند
الدانمارك



المانيا تهاجم "نزوج"



الانتصارات التي أحرزها الفنلنديون أتعبتهم وجعلت شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٠ يتميز ببطء العمليات العسكرية ، ولكن الروس في هذه الأثناء، كانوا يعدون العدة لاقتحام خط (مانرهايم) .

والهجوم الأول الذي شنوه في أول شباط كان يستهدف الاستيلاء على (فيبورج) وهو الدعامة الشرقية في الدفاع عن برزخ (كاريليا). كان التركيز بشكل رئيسي على المدفعية التي حققت أهدافاً رائعة ، ولكن الرد الفنلندي لم يكن أقل روعة ، مما حطم حلم الروس بإمكانية الاستيلاء على (فيبورج) في اليوم الثالث للهجوم ، وأبقاهم على أبواب المدينة حتى أول آذار ، علماً بأن الفنلنديين

أبادوا لهم فرقتين كانتا تحـاولان الالتفاف حول بحيرة (لادوغا)، ولكن هذا المجهود الضخم الذي بذله الفنلنديون أنهك قواهم ، وأفقدهم حوالي ٢٠ بالمائة من رجالهم، وكان من الصعب تعويض هذه الخسارة لأن جميع الوحدات كانت على الجبهـة تصد عدواً يفوقها ثلاثة أضعاف ، ويأخذ منها التعب كل مأخذ .

أما في فرنسا وانكلترا فلم تكن المعلومات الجغرافية متوفرة بما فيه الكفاية لدى أركان الجيشين ، والحقيقة أن هـذه المعلومات لم تكن تتعدى خارطة حائط عادية ، لكن ، على الرغم من هذا الجهل المطبق والمناقشات الحـادة في البلدين فقد بدأ اهتمامها يتحول نحو البـلاد السكندينافية ، وبدأ بدراسة طبيعة الأرض النروجية والخطوط الحديدية الأسوجية والخطط الفنلندية، وسائر المعلومات الضرورية في كل حرب . وفجـأة حصل حـادث بحري سلط الأضواء على الشمال ، وتتلخص هذه الحادثة في أن باخرة التموين الألمانية (التارك) كانت تحاول العودة الى المانيا وعلى متنها ٢٩٩ بحـاراً من البحرية التجارية البريطانية الأسرى ، بعد أن نجت من كارثة (غراف شبي) ، واذ بالمدمرة البريطانيـة (كوساك) تتمكن ، بأمر من تشرشل بالذات ، من أسرها داخل الميـاه الاقليمية النروجية . وجاءت هـذه الحادثة من جملة الحوادث التي حصلت والتي كان يتم التحضير لها من قبل الحلفاء والألمان على السواء ، وكلها تتجاهل حياد نروج .

نستطيع القول أن الحلفـاء تخلوا عن مساعدة فنلنـدا عندما أحجموا عن إنزال قواتهم في (بتسامو) واستعاضوا عنهـا بـ (نرفيك) المدينة الصغيرة التي تبعد عن الأراضي الفنلندية مسافة ٥٠٠ كلم ، وكان الأمل واهياً في أن تستطيع هـذه الحملـة مساعدة جنود المارشال (مانرهايم) ، غير أن الحلفاء قصدوا من وراء اختيارهم (نرفيك) منع تصدير الحديد الأسوجي الى المانيا عبر هذا المرفأ الرئيسي الذي يمونها بالحديد الخام،



ويكاد يكون هو المنفذ الوحيد لولا وجود (لوليبا) على خليج (بوتني) ، ولكن هذا المرفأ يعطل الجليد العمل فيه حوالي نصف سنة .

على الصعيد الألماني كان الاهتمام ينصب على تقديم المصلحة الألمانية على أي اعتبار آخر . الأميرال الكبير (ريدر) كان يطالب ، من زمن بعيد ، باحتلال نروج التي قدم منهـا في ١٤ كانون الأول ، الوزير النروجي السابق (كويسلنغ) حيث عرض على الفوهرر أن تغزو قواته النروج لإقامة نظام قومي ـ اشتراكي فيهـا ، لكن هتلر أدار الأذن الصماء لكل من عروض الأميرال، وعروض الوزير النروجي الذي يطرح بلاده للبيع بالنظر الى إنشغاله بمشروع غزو فرنسا، لكنه ما لبث أن عـاد الى تلك العروض ، خاصة بعد أن تأجلت الحملة الغربيـة إثر حادثة (الهبوط الاضطراري) في (ميشلن ـ سور ـ موز) .

وأول عمل قام به هو استدعاء الجنرال (فون فالكنهورست) قائد الفيلق ٢١ من (كوبلانس)، وإبلاغه من قبل هتلر شخصياً، في ٢٠ شباط، بتعيينه قائداً للحملة، وبقرار تكليفه باجتياح (نروج) مؤكداً له أن الحملة



« نرفيك » تحت نيران الأسطول البريطانيّ .

الخطّة الفرنسيّة «ديل»
الخطّة الفرنسيّة «إيسكو»
بحر الشمال
لندن
هولندا
أمستردام
الحقل الوطني الهولندي
أنفرس
بروكسيل
دنكرك
كاليه
جمبلو
نامور
دينان
سيدان
لياج
ألبير إيمابيل
ماستريخت
كولونيا
ساربروك
ستراسبورغ
ريمس
فرنسا
باريس

مجموعة الجيوش «ب» «فون بوك»

الجيش الثامن عشر «فون كوخلر»
- فرقة مصفّحة واحدة
- فرقة خيّالة واحدة
- ١٠ فرق مشاة

الجيش السادس «فون رايخناو»
- فرقتان مصفّحتان
- ٢٠ فرقة مشاة

مجموعة الجيوش «أ» «فون روندشتاد»

الجيش الرابع «فون كلوغي»
- ١١ فرقة مشاة
- فرقتان مصفّحتان
- فرقة من مشاة الصاعقة

الجيش الثاني عشر «ليست»
- ٥ فرق مصفّحة
- ١٠ فرق مشاة

الجيش السادس عشر «بوش»
١٨ فرقة

مجموعة الجيوش «ج» «فون ليب»

الجيش الأوّل «فون فيتزليبن»
٢٠ فرقة مشاة

الجيش السابع «جيرو»
- فرقة آليّة خفيفة واحدة
- فرقتان مشاة مع آليات
- ٤ فرق مشاة

الحملة البريطانية «غورت»
- ٩ فرق مشاة
- لواء مصفّح

الجيش الأوّل «بلانشار»
- فرقتان آليّتان خفيفتان
- ٣ فرق مشاة مع آليات
- ٧ فرق مشاة

الاحتياطي العام
- فرقة مشاة واحدة مع آليات
- فرقة مشاة واحدة
- ٣ فرق مدرّعة

الجيش التاسع «كوراب»
- فرقة مشاة واحدة مع آليات
- فرقتا خيّالة خفيفتان
- لواء خيّالة
- ٦ فرق مشاة

الجيش الثاني «هونتزيغر»
- فرقتا خيّالة خفيفتان
- لواء خيّالة
- ٦ فرق مشاة

الجيش الثالث «كوندي»
- فرقة خيّالة خفيفة واحدة
- لواء خيّالة المغرب
- ١١ فرقة مشاة
- فرقة مشاة بريطانيّة

الجيش الرابع «روكان»
- ٨ فرق مشاة (منها فرقة بولونيّة)

الجيش الخامس «بوري»
٩ فرق

0 50 100 km

مواقع الجيوش الفرنسيّة والألمانيّة عشيّة الهجوم الذي شُنّ في أيّار ١٩٤٠ .

لهـــا تأثير كبير على سير الحرب . ولدى خروجه من المستشارية عرج على إحـــدى المكتبـات حيث ابتاع دليلاً وانكب على دراسة جغرافية البلاد التي تقرر إيفاده إليها .

في ذلك الوقت كان السوفيات يقضمون قطعة تلو قطعة من برزخ (كاريليا) فبات الفنلنديون ، والحــالة هذه ، على اقتناع تام بأن الموت حتى آخر رجل فنلندي أمر لا يفيد فنلنــدا ولا المصير الفنلندي . وفي ٦ آذار قصد وفد فنلندي الى موسكو ، فيما كان القتال في أوجه ، ولم تلبث أن سقطت (فيبورغ) في ١١ آذار ، وعقب هـــذا السقوط تم توقيع اتفــاق السلم في ١٣ آذار نفسه الذي يقضي بتخلي فنلنــدا عن برزخ (كاريليا) وعن نصف جزيرة الصيادين ، وبتأجير (هنجو) ، وبذلك تكون فنلندا رضخت لشروط أقسى من تلك الشروط التي رفضتها منذ ثلاثة أشهر ، إلا أنهـــا ظلت محتفظة بأثمن ما لديها وهو : الاستقلال .

في فرنسا ألحقت بقوى الحملة البريطانية فرقتان كانتا مخصصتين لـ (نروج) بينما بقيت كتيبة على أهبة الاستعداد لأي طــارىء ، أما القوات الفرنسية نفسها، فلم يتبدل شيء لديها سوى عامل الإلحاح ، وظل الفريقان الفرنسي والبريطاني يتبــادلان الرسائل ويتدارسان الموقف ويصران على تنفيـــذ خططها بالرغم من أن السلام الذي فرضـــه الروس على نروج ينتزع من أيدي الحلفــاء ذريعة النزول في (نرفيك) .

كان من المتوقع تبديـــل الحكومتين الفرنسية والبريطانية . وهكذا تم . وظل (تشامبرلين) و(دالاديه) ، رجلا (ميونيخ) محتفظين بمركزيهما دون أن يتمكنا من تبديل الأشخــاص بمستوى التبدل الذي حصل في الآراء ، ولا هما كانا قادرين على ذلك خاصة وانهما هما اللذان جرا الى الحرب بلاداً طالما كانا يتبجحان بالسهر على أمنها وسلامهــا . وقــد بلغ التنافر في الحكومتين الجديدتين حداً قال معه أحدهما : « في هــذه الحرب الغريبة لم تكن الجيوش وحدها متوقفة عن القتال بل السلطات العامة كذلك » :

هـــذا التنافر أصاب سائر القطاعات الفرنسية . وضع العمال الريفيين بمواجهـــة عمال الصناعة . الفريق الأول اعترض، على ألسنة نوابه ، على امتيازات الطبقـة العاملة في الصناعة، محاولاً اكتساب هذه الامتيازات له ، وشاكياً من أن أبنـاء الريف هم الذين كانوا ، في الحرب السابقة فريسة للمدافع . وكان من شأن هذا التنافر أن تعطلت التعبئة الصناعية في فرنسا ، وحين قال أحد نواب المناطق الريفية في قصر (بوربون) : « ان وزير التسليح مهندس ، وهو لا يعرف أن الموسم الآن هو موسم البـــذار » رد عليه الوزير المسؤول (راوول دوتري) قائلاً : « كل ما أعرفه أنا هو أن الموسم هو موسم القنابل لا أكثر ولا أقل ». ولكن (حصاد)

الوزير كان فيه المضحك والمبكي. وعلى سبيل المثال رفض ٤ آلاف جندي ملحقين في مصنع البارود في (أنغوليم) أن يصنعوا (الميلينيت) بعد إنقاذهم من مخاطر القتال، وذلك بحجة أنها تسبب الصلع! ومثال آخر حصل في (مون لوسون) حيث عطلت إحدى عمليات التخريب ١٢٠ مدفعاً مضاداً للدبابات في مستودع للذخيرة.

وفوق كل هذا التنافر انصرف الحزب الشيوعي، العامل ضمن نطاق من السرية، يحارب من أجل هتلر، داعياً الى التمثل بالاتحاد السوفياتي الذي تعاهد مع الرايخ الثالث على السلام، ومستنكراً هذه الحرب الأمبريالية. ولم يكن الحزب الشيوعي هو الفئة الوحيدة التي تناصر هتلر، بل كانت هناك فئات يمينية ويسارية عديدة أخرى تناصر الزعيم النازي يدفعها الى ذلك إيمانها بنظام الحكم الفردي أو تأثرها بوهج الاشتراكيات الديكتاتورية. وأما الرأي العام الفرنسي عموماً فكان غير قادر على اتخاذ مواقف صريحة بفعل الاعلام الموجه والفاسد الذي كان يوجه اليه، ولعل كل ما كان يسعى اليه هو ألا تتعرض أرض الوطن للاجتياح، وألا تهرق الدماء الغزيرة، ولكنه، في المقابل، لم يكن يدرك أي سبب على الإطلاق لتجميد العمليات العسكرية، لأن التنافر الذي سيطر على جميع القطاعات أدى الى موجة من القلق والاضطراب جرفت الجميع حتى باتوا لا يدركون هل هم في حرب أم في حالة سلم!

ولم يكن البريطانيون بأفضل حالاً من الفرنسيين. لقد جمع بينهما التخاذل الوطني وتسرب التأثير النازي الى الطبقات المهيمنة. فقانون التجنيد الذي صدر متأخراً كان يتضمن جدول إعفاءات طويلا جداً. لم يبق خاضعاً له، بالنتيجة، سوى العزاب الفتيان. أضف الى ذلك أن نقابات العمال، التي كان يترأسها كهل غليظ هو (السير ولتر سترين) كان كل همها ألا تمدد ساعات العمل بسبب الحرب، وكان بعض أعضاء هذه النقابات يذهب الى فرنسا مبشراً بمبدأ الحد من التسلح. يقول (دوثري) في هذا الصدد: «لقد لامني ممثلو النقابات الانكليزية بعنف بسبب استدعاء النساء للعمل وتشغيل الرجال أكثر من ٧ ساعات في اليوم!».

وقد انعكست الروح الانهزامية في بريطانيا حتى على الصحف، فصحيفة (كليفدن ست) لصاحبتها (الليدي أستور) ظلت مسالمة بسبب ميولها اليسارية، بينما ذهبت صحيفة (الدايلي ميل) لصاحبها اللورد (روثر مير) الى أبعد من ذلك فاعتبرت (فتيان النازية الألمان الأشداء حصننا في وجه الشيوعية).

في ١٩ آذار سقط «دالاديبه» في أعقاب تأليف لجنة سرية لدرس أحداث فنلندا، ولكن سقوطه هذا أعتبر نصف هزيمة، لأنه احتفظ بحقيبة وزارة الدفاع

الوطني في حين أسندت رئاسة الوزارة لـ « بول رينو » الذي كان يطلق عليه اسم « تشرشل فرنسا » ويعتبر رمز « القتال حتى الموت » غير أن « رينو » فاز بثقة رخيصة جداً إذ نال ٢٦٨ صوتاً ضد ١٥٦ صوتاً وامتناع ١١١ ، وكان هذا الحدث أفضل دليل على مدى انقسام البلاد وبلبلتها.

في ٥ شباط قررت كل من فرنسا وبريطانيا ، بصورة مبدئية ، إرسال حملة من ثلاث أو أربع فرق الى اسكندينافيا ، وجاء القرار الهتلري المماثل بعد شهر واحد، ولكن التدابير كانت تسير على وتيرتين مختلفتين . وفي ١٥ آذار حدد هتلر خطته بالشكل النهائي بعد أن هدّأ « غورنغ » وعنّف « براوشيتش » لاحتجاجهما على أبعادهما ، وكانت الخطة تقضي باحتلال « الدانمرك » ، والنزول في « أوسلو » و« كريستيانسوند» و «ستافانجر» و «برغن»



رشاشات المانية ثقيلة على ساحل النروج

و« تروندهايم » و« ترفيك ». وفي ١٤ آذار كان هتلر قد استقبل « ريدر » الذي جاءه متراجعاً وعارضاً عليه تأجيل احتلال «نروج» الى ما بعد الانتصار على الفرنسيين» فما كان من هتلر إلا أن صرفه مؤكداً له أن القرار النهائي قد أتخذ ، ولا رجعة عنه على الاطلاق ، ولا مجال حتى لتغيير حرف واحد فيه .

وبعد ثلاثه أيام من هذه المقابلة قصد هتلر الى ممر «برينر» لمقابلة موسوليني ، وكانت ، هي المرة الأولى التي يجتمع فيها الديكتاتوران منذ بدء الحرب ، خاصة وأن الديكتاتور الألماني كان قد أبدى امتعاضه الشديد من التخاذل الايطالي في شهر أيلول ، وقد عبر عن هذا الامتعاض بعدم إرساله جواباً على الرسالة الثانية التي وجهها اليه الديكتاتور الايطالي في ٤ كانون الثاني السابق ينصحه فيها بالتفاوض ومحذراً إياه من التوهم بأنه قادر على تحطيم « فرنسا وانكلترا » . والحقيقة أن هتلر لم يرض الذهاب الى «براينر» إلا ليثبت لحليفه المتردد أن الواقع هو عكس ما يتصور تماماً .

لقد حمل هتلر معه الى الاجتماع ملفاً عسكرياً ضخماً يتضمن خارطة تبين مواقع الـ ٢٠٧ فرق الألمانية سواء التي تألفت منها أو التي هي قيد التأليف وفي محطة الحدود الصغيرة ، الواقعة على علو ١٤٠٠ متر ، وقف القطاران الألماني والايطالي جنباً الى جنب وفي خضم هائل وفسيح من الثلوج بينما راحت حركة السير تتأزم ساعات طويلة .

في تلك اللحظات كان هتلر ، الجالس في صالون قطار « بنيتو » ، يسترسل وحيداً في الكلام ، دون أن يجد موسوليني بدأ من الاستماع الى تفاصيل الحملة البولونية ، والى تحليل الخطط العسكرية الألمانية الجديدة ، وشرح مسهب للإمكانيات الألمانية الهائلة التي تتيح للرايخ الثالث تحقيق نصر سريع على دول غربية يسودها التنافر والتخاذل . ولم يكن يتوقع « لشيانو » ، الذي استمع الى الرواية من قبل ، أن يكون كلام هتلر ذا تأثير على «حميته» بالشكل الذي تم فيه. فالحماسة أخذت من موسوليني كل مأخذ ، واندلعت في صدره حمية الحرب فقال : « ان ايطاليا ليست في حالة تمكنها من خوض حرب طويلة ، ولكنني أشاطرك الاعتقاد بأن مصير فرنسا قد تقرر ، وبأن كل ما قد يحدث غير ذلك ليس بذي أهمية . لقد اتخذت قراري . أتسمع أيها الفوهرر ؟!.»

وللحال انتقل الاثنان من الكلام الى حيز التنفيذ ، وقد قر الرأي على أن تدرس الأركان نقل ٢٠ فرقة ايطالية الى نهر « الراين » استعداداً لهجوم منظم على « ديجون » ! وعن لقاء « برينر » كتب جودل ، فيما بعد ، يقول : « لقد عاد الفوهرر منشرحاً من برينر ، وما لبثت حملة نروج أن عادت تثير اهتمامه وتسيطر على كل تصرفاته .

في ١ نيسان جمع هتلر جميع المسؤولين

عن الحملة في مكتبه في المستشارية للقيـــام بمراجعة عامـــة . وكانت الجدران مغطاة بمجموعة من الخرائط الكبيرة . وبعد وقت قصير انتصب هتلر أمـــام الضباط الذين يقفون أمام قطاعاتهم الخاصة وراح يشرح لهم ويستجوبهم حول مهامهم وطريقة إنجازها ، يجـادل تارة ويوافق تارة أخرى ، ويعدل مرة ثالثة ، كل ذلك دونمـا كلل أو ملل ، وقد استمر على هذا المنوال من الساعة الحادية عشرة حتى الساعة التاسعة عشرة دون أن يتوقف إلا ليطلب بعض السندويشات. وفي نهاية الاجتماع بدا منشرح الصدر وهو يعلن أن نهار التاسع من نيسان هو موعد النزول في نروج ، على أن تؤلف الفرقـــة الثالثة الجبليـــة ، وفرق المشاة رقم ٦٩ و ١٦٩ ، و١٩٦، أول موجة ، ثم يتم تعزيزها بالفرقة الجبلية الثانية وفرق المشاة رقم ١٨١ و٢١٤.

لكن ماذا كان على الجبهـــة الأخرى ، جبهة الحلفـــاء ؟ لقد انعقد مجلس أعلى في لندن في ٢٨ آذار ، تقرر خلاله أن تزرع المياه الاقليمية النروجية في منفذ ممر «نرفيك» الجليدي بالألغام لشل حركة نقل الحديـــد الخام الى المانيـــا ، كما تقرر في الوقت نفسه تنفيذ عمليـــة « رويال مارينز » التي وضع خطوطهـــا الرئيسية تشرشل نفسه ، وكان الهدف منها إلقاء ألغام تائهة في مياه «الرين» غايتها نسف الجسور وعرقلة حركة الملاحة . وحدد يوم ٥ نيسان موعداً للتنفيذ .

ولكن فرنسا لم تبـارك العملية الثانية خشية أن يؤدي تنفيذها الى ضرب المصانع والمدن الرئيسية على يد الألمان ، ولذا لم تقر وزارة الحربية الموافقة التي أعطاهـــا رئيس الحكومة « بول رينو » على العملية ، الأمر الذي جعل « تشامبرلين » يتخذها فرصـــة سانحة لتأجيل العملية الأولى التي أطلق عليها اسم عملية « ولفرد» . وما كان من تشرشل، في هذه الحـــالة ، إلا أن قصد الى باريس للدفاع عن عمليته المفضلة ، لكنه عاد قانعاً بالتخلي عن عمليـــة « رويال مارينز » ، ومكتفياً بعملية « ولفرد » التي حدد يوم ٨ نيسان موعداً لتنفيذها. وفي اجتماع للمحافظين الشبان في اليوم نفسه أطلق « تشامبرلين » عبارته الشهيرة : « لقد فات هتلر القطار».

وفي اللحظات ذاتها التي كان يلقي فيها تشامبرلين كلمته كانت ثلاث مدمرات ألمانية – وهي أولى السفن الالمانية في حملة نروج – قد أبحرت باتجاه « نرفيك» دون أن يتمكن أي جهاز استخبارات من أجهزة الاستخبارات الحليفة من اكتشاف أمرها .

وما كادت السفن الحربية الألمانية تغطي سطح البحر في الأسبوع التـــالي حتى سيطر القلق على برلين بكاملهـــا . فالأوامر المعطاة دقيقة للغـــاية : على السفن أن ترفع الراية البريطانية وأن تكون إجاباتها بالانكليزية ، وأن تعطي تفسيرات مدروسة عن رحلاتها ، وأن تتخذ كل سفينة هوية سفينة بريطانية معينة كأن تتخذ السفينة (كولن) اسم السفينة الملكية (كايرو)، والـ (كونيغسبرغ)

اسم (كالكوتا) وهلم جرا ، بينما يختبىء الجنود الألمان في قعور السفن . وعلى الرغم من كل هذه الأساليب التمويهية كانت هناك فرص عديدة لفضح العملية . فعلى سبيل المثال نسفت الغواصة البولونية (أورزيل) بتاريخ ٨ نيسان ، وفي فترة الظهر بالذات ، الناقلة الألمانية (ريو دي جانيرو) أمام (كريستيانسوند) فعمدت قوارب الصيد الى إنقاذ رجال بالبزات العسكرية أعلنوا بأنهم كانوا متوجهين الى (برغن) للدفاع عنها ضد هجوم انكليزي . ولم تصل المعلومات حول هذه الحادثة الى الأميرالية البريطانية إلا في مطلع الليل حيث ألقيت في سلة القضايا الجارية ، ولم يرها الضابط المسؤول إلا في صبيحة اليوم التالي عند بدء عمله .

وعلى الرغم من ذلك كان يمكن القول أن الانكليز كانوا مستعدين . ففي (كلايد) تجمعت قوافل النقل الى (نرفيك) و(تروندهايم) . وفي (روزيت) شرعت القوات بالاحتشاد منذ ٧ نيسان على متون الطرادات (ديفونشاير) و (بيرويك) و(يورك) و (غلاسكو) التي تستطيع العبور الى (ستافانجر) في مدى ١٢ ساعة، والى (نرفيك) في مدى نهار واحد . إلا أن القرار كان يقضي بأن تسير الأعمال بشكل تدريجي ، ولذا كانوا يكتفون في تلك المرحلة بزرع الألغام حتى اذا ما بدر من الألمان أي عمل كانت ردة فعل الانكليز سريعة ، وخاطفة .

وفي الوقت الذي كانت الجيوش فيه تجتاز الحدود، والسفن تدخل الى المرافىء، في ٩ نيسان ، كان السفيران الألمانيان في كل من (كوبنهاغن) و(أوسلو) يوقظان رئيسي حكومتي البلدين ، ويطلبان منهما التسليم بالأمر الواقع . هذا ما فعله رئيس



جنود المان راجلين يتقدمون خلف دبابات البانزر الى النروج .

الحكومة الدانمركية ، أما رئيس الحكومة النروجية كان يمكن أن يحذو حذو زميله الدانمركي لولا الشروط القاسية التي حملها السفير الألماني (بروير) والتي تقضي بفرض (كويسلنغ) رئيساً للحكومة . أما وقد بودل التصلب بالتصلب فقد تمكن الملك ووزراؤه بعد مقاومة الدفاع الساحلي ، من الفرار الى الغابات ، ومن هناك اتجهوا الى شمالي البلاد على أزيز الطائرات وهدير المصفحات التي كانت تتعقبهم .

وما انتصف النهار حتى كان الألمان يسيطرون على جميع المرافىء النروجية بعد فقدان الطراد الألماني المدرع (بريسلاو) قرب (أوسلو) ، وإصابة الطراد الخفيف



(كونيغسبرغ) ببعض الأضرار قرب (برغن)، واعتصام أحد الضباط داخل حصن قديم في (تروندهايم) ، وفيما عدا ذلك لم تكن هناك أية مقاومة لعمليات الإنزال الألمانية.

ووسط بحر صاخب الأمواج ، سيء الرؤية ، تجتاحه بين الوقت والآخر عواصف ثلجية بدأت الحرب الفعلية . الأسطول الألماني توزع في ست مجموعات تمتد من جزر (لوفوتن) حتى جزر (بلتس) وذلك من أجل حماية سفن النقل البالغ عددها ٢٠٠ سفينة . أما زارعو الألغام الانكليز فكانوا يعملون بحماية سفينة كبيرة واحدة هي الـ (رينون)، وفرقتين من المدمرات . وفي أثناء الإبحار صادفت إحدى هاتين المدمرتين واسمها (غلو - وورم) الطراد الألماني الثقيل (هيبر) فحاولت أن تصدمه بمقدمتها، لكن المدافع الألمانية كانت أسرع منها فوجهت إليها قذائفها الغزيرة حتى أغرقتها، لكن السفينة (رينون) حاولت أن تأخذ بالثأر في اليوم التالي ، فتبادلت إطلاق النيران لمدة عشر دقائق مع السفينتين (شارنهورست) و(غنايزيناو) اللتين ظهرتا بين غابة الأمواج المزبدة ، ولم يكن الثأر بحجم الضربة السابقة فاقتصرت الإصابة على أسلحة (غنايزيناو) الرئيسية فتعطلت، وما لبثت حجب الثلج أن فصلت بين السفن المتقاتلة .

لم يكن لدى الأميرالية البريطانية تبصّر كاف وإدراك كامل ، لاقتناعهم بأن الأسطول البريطاني (سكابا) و(روزيت) سيلتقي بالأسطول الألماني في الأطلسي، وعلى هذا شرعت الطرادات تفرغ الجنود الذين كانوا يقصدون الى نروج ، وانطلقت للقتال، بينما ظل الأميرال (فوربس) القائد الأعلى يمخر عباب البحر، طيلة الليل، باتجاه الشمال وبعودته الى الجنوب كان قد أضاع نهار ٨ نيسان الحاسم بكامله . أما البحارة فكان هاجسهم الوحيد هو سفن الأعداء الكبيرة، والتي برهن تدمير (غلو-وورم) على وجودها في البحر ، فطفقوا يبحثون



قافلة في بحر الشمال . وتبدو إحدى السفن الفرنسية وقد اصطدمت بلغم فانفجر .

عنها في ذلك النهار الشديد العواصف .

وفي صبيحة ٩ نيسان انقشع الجو ، وانقشعت الغشاوة عن عيون البريطانيين . فكر (فوابس) في مهاجمة الألمان في المرافىء خلال عمليات الإنزال ، لكن الأميرالية رفضت هذه الفكرة لأنها لا تستطيع المغامرة بسفن لا تعوض ، في الوقت الذي لم يكن بالإمكان التأكد مما اذا كانت مراكز الدفاع الساحلية باقية في أيدي النروجيين أم لا . وكان من شأن انقشاع الجو أن عاد الطيران الى نشاطه فسارعت تشكيلة من الطائرات الألمانية الى الإحاطة بالبوارج الانكليزية ، لكنها لم تتمكن من إغراق سوى مدمرة واحدة هي المدمرة (غورخا) . ولم يمض ساعات قلائل على هـذه الغارة الجوية حتى أقلع من (أوركاد) سرب المقاتلات الانقضاضية الانكليزية (سكواس) بقيـادة الكابتن (بارترودج) وما أن لاح له الطراد الألمـاني (كونيغسبرغ) الذي كانت بطاريات (برغن) الساحلية قد أصابته، حتى تم الإجهاز عليه، وبذلك يكون هذا الطراد هو أول سفينة حربية كبيرة في تاريخ الحروب يغرقهـا الطيران .

لقد كان لظهور الألمـان في (نرفيك) الواقعة على بعد ألف ميل بحري من جبال (الألب) وقع بالغ الأثر، الى حد أن الحلفاء ظنوا ، أول الأمر ، ان في الأمر إشكالاً بين (نرفيك) و(لرفيك) المرفأ الصغير الحاذي لأوسلو والخاص بصيد الحيتان . إلا أنه "قدّر" بعدئذ ، أن إحدى سفن الشحن هي التي حملت ، خلسة ، مفرزة الى تلك المنطقة الشمالية النائية . وأمام هذا الواقع أعطي القائـد البحري (ووربرتون ــ لي) الأمر بالدخول الى (الأوفوتفيور) بتشكيلته

المؤلفة من المدمرات (هاردي) و(هانتر) و(هافوك) و(هاتسبور) و(هوستيل) للقضـاء على تلك السفينة المنفردة المحتملة، ولاسترجاع (نرفيك) اذا أمكن. لكن توقفه في محطة الإرشاد في (ترانوي) عشية التاسع من نيسان كشف له أن ست سفن حربية ألمانية أكبر من سفنه هي التي غزت مرفأ الحديد، وليست سفينة واحدة، وما كان من القائد إلا أن أبلغ الأميرالية بالأمر، لكن هذه رفضت دعمه بسفينة كبيرة، إلا أنهـا أطلقت له حرية التصرف. وقد أبرقت له قائلة : « بامكانك اتخاذ القرارات المناسبة، ونحن نؤمن لك الحمـاية في كل الحالات ». أما جواب (ووربرتون ـ لي) فكان سريعاً : « سأخوض المعركة حالاً ».

وبالفعل استأنف القائد التقدم بتشكيلته عبر الممرات الصخرية بصعوبة فائقة، لأن الجو، في اليوم التالي، عاد الى سابق رداءته، وعادت العواصف تحمل الثلج والصقيع الى كل الأنحاء ولا سيما قمم (لوفوتن) الجليدية. وكان لا بد أن يثير ظهوره المفاجيء أمام مرفأ (نرفيك) دهشة بالغة، ودون أن يترك للخصم فرصة الصحو من دهشته عاجلت نسافاته المدمرتين الألمانيتين (فلهم هايد كمب) و(أنطون شميدت) بضربات متلاحقة حتى أغرقتها في حين أصابت ثـلاث مدمرات أخرى بأضرار متفاوتة، وعندما عـاود الهجوم تصدت له ثلاث مدمرات ألمانيـة أخرى، فصمد في وجهها، إلا أن مدمرتين ألمانيتين خرجتا اليه أيضاً فأصبح بين نارين، وعندها تبين له أن السفن التي دخلت نرفيك لم تكن ستاً كما قيل له في (ترانوي)، بل كانت عشر سفن صغيرة قوية تنقل في قعورها الضيقة ألف جندي.

هذه المعركة الجديدة انقلب فيهـا الحظ لصالح الألمان الذين تمكنوا من قتل (ووربرتون ـ لي) وهو على أحد جسور (هاردي) التي غرقت للأثر، وتبعتهـا (هانتر). أما (هاتسبور) فقـد أصيبت بأضرار فادحة فخرجت من نطاق المعركة تواكبها زميلتاها السليمتان. ولم يشأ الألمـان الإجهاز على كامل التشكيلة بسبب رداءة الأحوال الجوية من جهة، ومن جهـة أخرى خشية إلتقاء (رينون)، كما لم يشاؤوا إنقاذ (راونيفلز) التي كانت تنقل للمفرزة البرية أسلحتهـا الثقيلة، بل عمدت (هافوك) الى إغراقها، فكان لفقدان شحنتها الأثر السيء على أولئك الجنود التائهين في نرفيك.

ولم تشأ الأميرالية البريطانيـة الاكتفاء بهذين الانتصار والهزيمـة. فبعد ثلاثة أيام أرسلت تسع مدمرات جديدة الى (الأوفوتفيوز) برفقة محارب قديم وقوي هو (وورسبايت) الذي شـارك في معركة (جتلاند) سنة ١٩١٦. ولدى رؤية هذه المدمرات سارعت المدمرات الألمانيـة الى الاختباء ثم ولت الإدبار حتى الحدود الأسوجية، إلا أن ذراع « وورسبايت » كانت طويلة فاستطاعت أن



سفن المانية في خليج نرفيك تصطلي بنار المدافع البريطانيه فـي ١٠ ابريل ١٩٤٠ .

تدرك المدمرات الهاربة وتكيل لها الضربات الساحقة فتجنح . وتشتعل على ضفاف المياه المتجمدة. ولم يفلت من أيدي «وورسبايت» والغواصة « او ٦٤ » التي شاركتها في عملها، سوى المدمرة « نرفيك» التي بقيت في أيدي فرقة جبلية بقيادة الكولونيل « ديتل » ،

ولم يشأ الانكليز اللحاق بها والإجهاز عليها.

وبنتيجة هذه المعركة القاصمة التي خسرت فيها ألمانيا عشر مدمرات في « نرفيك » لم يبق لدى البحرية الألمانية في ١٥ نيسان سوى طرادين خفيفين و ٤ مدمرات ، من أصل ٢٢ مدمرة . ولعل التأثير الأبلغ كان بعد تدمير « بلوخر » و « كارسلو » و« كونيغسبرغ » التي أغرقت في ٩ نيسان. أما «هيبر» و«شارنهورست» و«غنايزيناو» و«لوتزوف» ، التي بقيت عاماً كاملاً قيد الترميم ، فقد أصيبت كلها بأضرار جسيمة .

على الجبهة الفرنسية كانت الدهشة كبيرة والمرارة فائقة بسبب وقوع الانكليز في شرك المفاجأة . أين رجال الأنتلجنس سرفيس ؟ أكانوا نائمين ؟ وبعد مناقشات ومداولات في اجتماع الوزراء العسكريين ورؤساء القيادة العليا صبيحة التاسع من نيسان تقرر أن يكون الرد على غزو «نروج» بالدخول الى بلجيكا ، والتمركز على ترعة « ألبير ». واتجهت الأنظار صوب بلجيكا ، وحاول الفرنسيون إقناع المسؤولين فيها بأن إنشغال قسم كبير من الطيران الألماني في حرب « سكندينافيا » يشكل أفضل فرصة لدخول الحلفاء الى بلجيكا ، لكن الحكومة البلجيكية كانت تنظر الى حرب سكندينافيا من منظار آخر ، إذ تعتبر أن الانشغال الألماني على تلك الجبهة من شأنه تخفيف خطر العدوان على أراضيها ، وهذا ما زادها تمسكاً بحيادها .

وما أن ارفض اجتماع ٩ نيسان حتى توجه « رينو » و« دالاديه » الى لندن بهدف البحث في مسألة احتلال المرافيء النروجية ، لكن تشرشل فضل أن يقتصر الأمر على مرفأ « نرفيك » وحده ، فذهل الفرنسيون لاعتدال تشرشل وتساءلوا: لماذا لا تُسترجع « تروندهايم » كذلك وهي التي تتميز بخليجها الشاسع ، ومرفأها الكبير الذي يشكل عقدة طرق المواصلات بين جنوب نروج وشمالها ؟ ولم يعد المسؤولان الفرنسيان الى باريس إلا وقد ضمنا الموافقة الانكليزية على استرجاع « نرفيك » و« تروندهايم » في آن معاً ، وتحويل الانتصار الألماني الى هزيمة منكرة .

لم يكن الألمان في مرفأ الحديد في وضع مريح ، بل على العكس من ذلك. فـ «ديتل» لم يكن لديه سوى فرقته الجبلية ، وبطاريتين جبليتين صغيرتين كادت قذائفهما أن تنفد . لم يكن باستطاعة هتلر أن يفكر ، بمجرد التفكير ، بمصير هذه الفرقة الصغيرة ، وكلما تصور أنها حشرت في زاوية الاستسلام تملكه الرعب ، ولذا وجه برقية الى « ديتل » يفرض عليه الانسحاب من « تروندهايم » غير أن ضابط ارتباط الجيش في القيادة العليا للجيوش البرية ، الليوتنان - كولونيل « فون لوسبرغ » ، غامر بعدم إرسال البرقية ، بل غامر بأكثر من ذلك عندما قصد الى « كيتل » و«جودل» وراح يلومهما على إصدارهما أوامر من المستحيل تنفيذها ،

فما كان من « كيتل » إلا أن انصرف بانفة ، وهو يردد بأن كرامته لا تسمح له بالتحدث مع شاب يتشاوف عليـه . أما « جودل » فوافق « لوسبرغ » على قناعته ، لكنه كان أعجز من أن يطلع الفوهرر على هذه القناعة، الأمر الذي دفع بـ « لوسبرغ » الى القول بوقاحة أن على مستشاري هتـلر المتخاذلين أن يتركوا مناصبهم لشخصيات أقوى وأكثر جرأة. وللحال تناهى الى خاطر « جودل » أستاذ خبير بشؤون الجبال النروجية ، وهو من « أنشبروك » فقاده الى هتلر ليقنعه بأن التراجع فوق كتل الجليد ، وعلى طول ألف كلم ، أمر غير معقول بتاتاً ، فاقتنع هتلر بوجهة النظر الجديـدة دون أن يعرف بأن الأمر لم يبلغ قط ، ثم أمر «ديتل» بالصمود في مكانه . وكان الناس يعتقدون أن قضية « نرفيك » باتت بحكم المنتهية ، وأن القضية قضية ساعات لا غير .

غير أن اللواء الذي أرسله الانكليز بحراً في ١٢ نيسان ، نزل في مرفأ « هارشتاد » الصغير في جزيرة «هيفوي» بدلاً من الانقضاض مباشرة على « نرفيك » وهي التي يفصلها عن «هارشتاد» ١٠٠ كلم من الجبال الوعرة المسالك . ربما كان هذا قصر نظر ، لكن « تشرشل » كان يمثل البحرية فحسب ، أما القوات البرية فكانت بقيـادة الجنرال « ماكيزي» الخاضع لوزارة الحربية» والذي أصم أذنيه عن كل النصائح التي كان يقدمها اليه زميله البحري . وقد كان للسماء دورها أيضاً إذ أسقطت الثلج بسماكة متر ونصف المتر ، فقال ماكيزي على الأثر : « سأنتظر ذوبان الثلج» لكن « نرفيك » لم تعد تنتظر حملة محلية مفاجئة، بل عملية حربية ضخمة.

على جبهة الحلفاء ظل التنافر هو السيد، سواء في العلاقات الفرنسية-البريطانية ، أو في العلاقات بين الدوائر القيـادية الفرنسية نفسها . وقد أثار ارتجال الحملة النروجيـة حنق « بول رينو » الذي انبرى يعنف « غاملان » في اجتماع المجلس الحربي الذي انعقد في ١٢ الشهر ، الأمر الذي دفـع « دالادييه » الى مغادرة مقعده كنائب لرئيس المجلس ، والجلوس الى جانب غاملان كا المحامي الى جانب موكله . وما أن انتهت الجلسة حتى أعد « غاملان » رسالة ضمنها استقالته» غير أن «دالادييه» أقنعه بالعدول عن ذلك على أساس أن وزارة « بول رينو» صارت أيامها معدودة .

وفي لندن كان يجري الإعداد على قدم وساق للهجوم على (تروندهـايم) بموجب خطة مدروسة يدخل على أساسها أسطول كامل وقوي الى الممر الجليدي بمـا في ذلك السفن الحربية (فاليانت) ، (رينون) ، (غلوريوس)، و(وورسبايت)، بالاضافة الى ٤ طرادات مضادة للطـائرات ، و٢٠ مدمرة وعدد غير قليل من الناقلات ويتوفر لها جميعاً شبكة جوية مؤلفة من ١٠٠ طائرة. وبمقتضى الخطة ينبغي أن ينزل لواء من

الجيش النظامي مباشرة في المدينة فضلا عن كتيبة كندية ولواء فرنسي مساند . ويلتقي مع هـذا الهجوم تحركان تابعان ، الأول ينطلق من (نامسوس) على بعد ١٥٠ كلم الى الشمال ، والثاني من (اندالن) على بعد ٢٠٠ كلم الى الجنوب. وتقتضي الاشارة هنا الى أن الأميرال السير (روجر كيز) الذي سجل التاريخ اسمه عندما شل مرفأ (زيبروج) سنة ١٩١٨ جاء يتوسل قيادة الاسطول وهو الشاب الطافح بالبشر ، ويعد ، كعادته ، بكل ثقة ، بالنصر في (تروندهايم) وكان موعد الهجوم الذي أطلق عليه اسم (هامّر) قد عين في ٢٢ نيسان .

ومـا كادت بعض الطلائع تنزل في ١٥ و١٧ نيسـان الى (نامسوس) و(أندالن) دون أي مقاومـة حتى قرر مجلس الأركان في ١٨ الشهر إعادة النظر في عـدد السفن التي سيضحي بها ، وفي قيمتها ، وفي ضوء إعادة النظرهذه تقرر وقف الهجوم (هامّر) الأمر الذي أثار حزن (كيز) ، فاقترح ، كحل بديـل ، أن يتابع سيره الى (تروندهايم) بأقدم القطع البحرية الحربية والتجارية ، لكن اقتراحـه لم يلق أذناً صاغية ، فتقرر ، عوضاً عن ذلك ، أن يتم الاستيلاء على المدينة بالطريق البري دون سواه ، وذلك بواسطة وصل فكي الكلابة التي تؤلفها (نامسوس) و(أندالن) .

نزول الطلائع في هاتين المدينتين أثار ، بالفعل ، أعصاب هتلر باعتبار أن (تروندهايم) التي يحميهـا ٥ آلاف رجل ، هي مدينة منعزلة عن باقي القوات الألمانية التي نزلت في أوسلو . ووضعها مشابه لوضع (نرفيك). أما وقد أحس هتلر نفسه بأنه أمـام أمر واقع فقد أصدر أوامره باغاثة حاميـة (تروندهايم) بأي ثمن، حتى ولو كلفه ذلك معركة بحرية غير مضمونة بعـد الخسارة الفادحة التي مني بها الأسطول الألماني الحربي، ثم عكف من جهـة أخرى على الانتقام من النروجيين الذين عرقلوا تقدم فرقتي المشاة ١٦٣ و١٩٦ نحو (تروندهايم) بفضل مقاومتهم وتخريبهم في (جود برانسدال) وبعـد أن فشل في استمالتهم بأساليب الحسنى ، ولكي يعبر عن هذه النظرة الجديدة الى النروجيين سارع الى استدعاء سفيره من (نروج) الذي عين بدلاً منه ، حاكماً عسكريـاً شديد البطش هو (تربوفن) .

والحقيقة أن قلق هتلر كان مغرقاً في التشاؤم. في حين أن الواقع كان يفرض غير ذلك ، باعتبـار أن سير الأمور بالنسبة الى الحلفـاء لم يكن كما يشتهي هؤلاء ، أو كما تحتمه مستلزمات النصر . فالمجابهة وجهـاً لوجه كانت الوسيلة الوحيـدة للسيطرة على (تروندهايم) لكن رؤساء الأركان اعتبروا أن في الأمر مجازفة كبيرة. بقي أن الهجوم بطريق البر الطويل عبر مسالك لا يتعدى عرضها ٣ أمتـار وسط الثلوج والأوحال ،

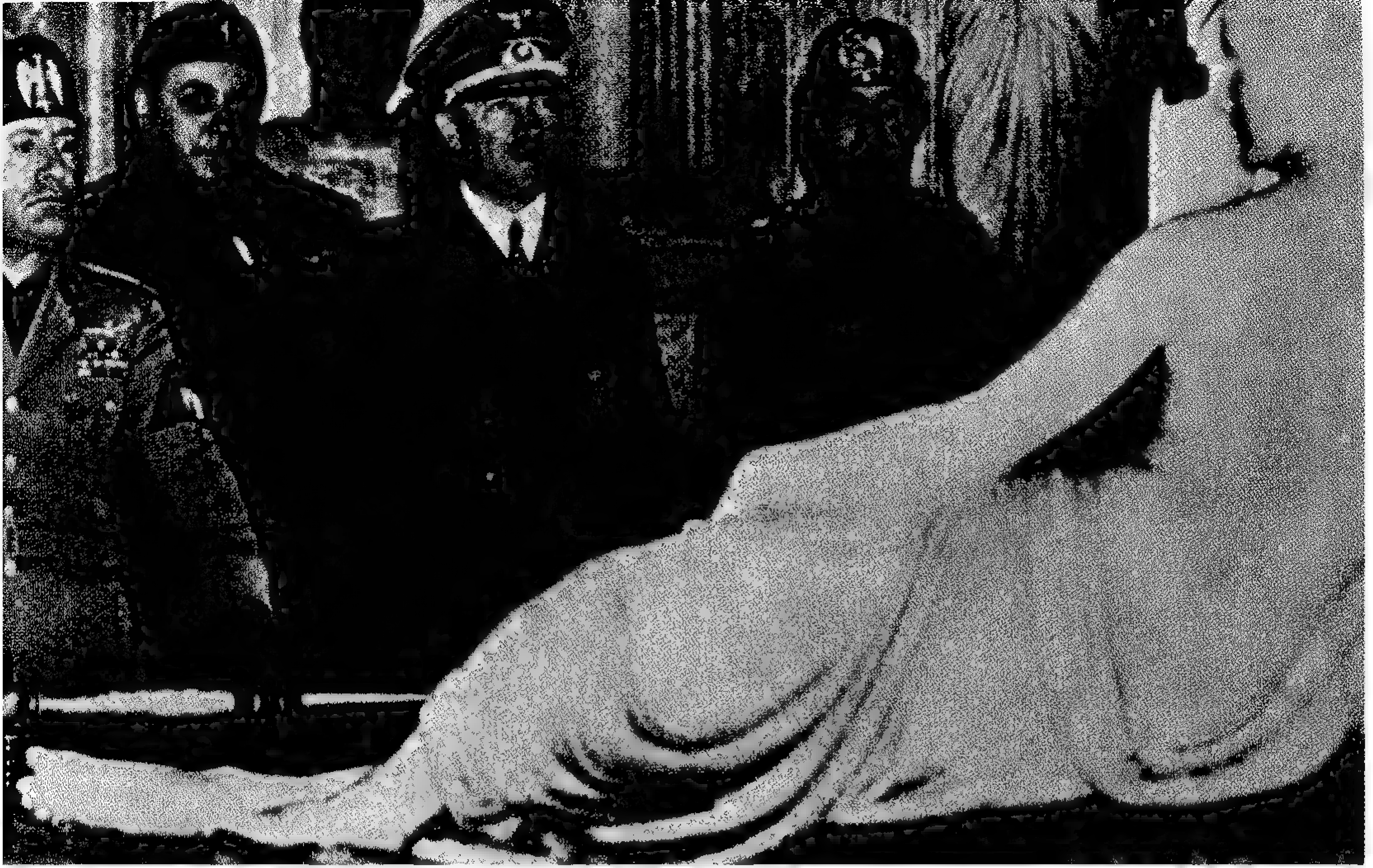


مدافع المانية فـي مواجهـة مقاتلي
الجبال النروجيين .

أمر يعرض الجيوش لطيران العدو المتفوق الذي لم يكن بمقدور قوات الحلفاء صده أو التغلب عليه بما لديها من عتاد فاسد وتدريب ليس في المستوى المطلوب .

(نامسوس) بلدة صغيرة وفيهـا مرفأ صغير جداً للصيد. كان تنظيم الحملة المتوجهة اليها سيئاً لدرجة أن المدفعية المضادة للطائرات كانت موجودة قافلة الخط الثاني، وخصوصاً في سفينة النقل (مدينة الجزائر) التي كان يستحيل عليها ، بسبب غاطسها ، أن تدنو من المرفأ. وكانت خطة الألمان تقضي بافساح المجال أمام نزول القوات المؤلفة من لواءين انكليزيين وفرقة فرنسية خفيفة، ثم انقضاض الطائرات عليها ، وهكذا تم ، وأحرقت المدينة بالقنابل. ومع ذلك فقد تحرك الجنرال (كارتون دي وايرت) بجنوده الانكليز بينما مكث الفرنسيون في البلدة ، أما القوات التي بلغت (ستينكجر) في رأس ممر(تروندهايم) الجليدي فقد عضهـا البرد القارس فعادت أدراجها ، لا أمام مقاومـة الأعداء ، بل أمام جحافل الثلج والصقيع .

أما (أندالن) فهي أصغر من (نامسوس)، والوادي الذي ينتهي عند أقدامهـا وعر المسالك ، وقـد ظن الانكليز ، في أول



الدكتاتوران هتلر وموسوليني فـي
متحف فيللابورجيز فـي روما ــ مايو
١٩٣٨ ــ ٠

الأمر ، وهم ينزلون فيها ، أنهم طائرون الى النصر . وكانوا قد عبروا ممراً جبلياً ارتفاعه ١٥٠٠ متر أفضى بهم الى (جود برنسدال) محور المواصلات النروجية وثروتها . وقبل التفكير بأي لقاء مع الجنرال (كارتون دي وايرت) من خلال سلوك الطريق التي تمتد من (دومباس) الى (تروندهايم) وتفضي الى الجنرال (وايرت) كان من الضروري تقوية الجانب الأيمن بمساندة وحدات الجنرال (روج) النروجية التي تسد (جود برنسدال) في (ليلهامر) . وبالفعل سارع اللواء ٤٨ اليها سالكاً الطرق والسكك الحديدية وتبعه اللواء ١٥ القادم من فرنسا بقيادة الجنرال (باجي)، لكن الاصطدام بالقوات الألمانية جعل اللواء ٤٨ يخلف بين أيدي العدو قائده ووثائقه ويثبت بأن هتلر سبق الانكليز في (نروج) ٠ كما اضطر الجنرال (باجي) للعودة الى (أندالن) بما تبقى لديه من رجال وعتاد . وقد كان هـذا الاصطدام بمثابة الصدمة العنيفة التي أيقظت الحلفاء من حلم استعادة (أوسلو) الذي ظنوا أنـه بات قريب التحقيق .

وبعد هذا الانتصار تابع هتلر مطاردته

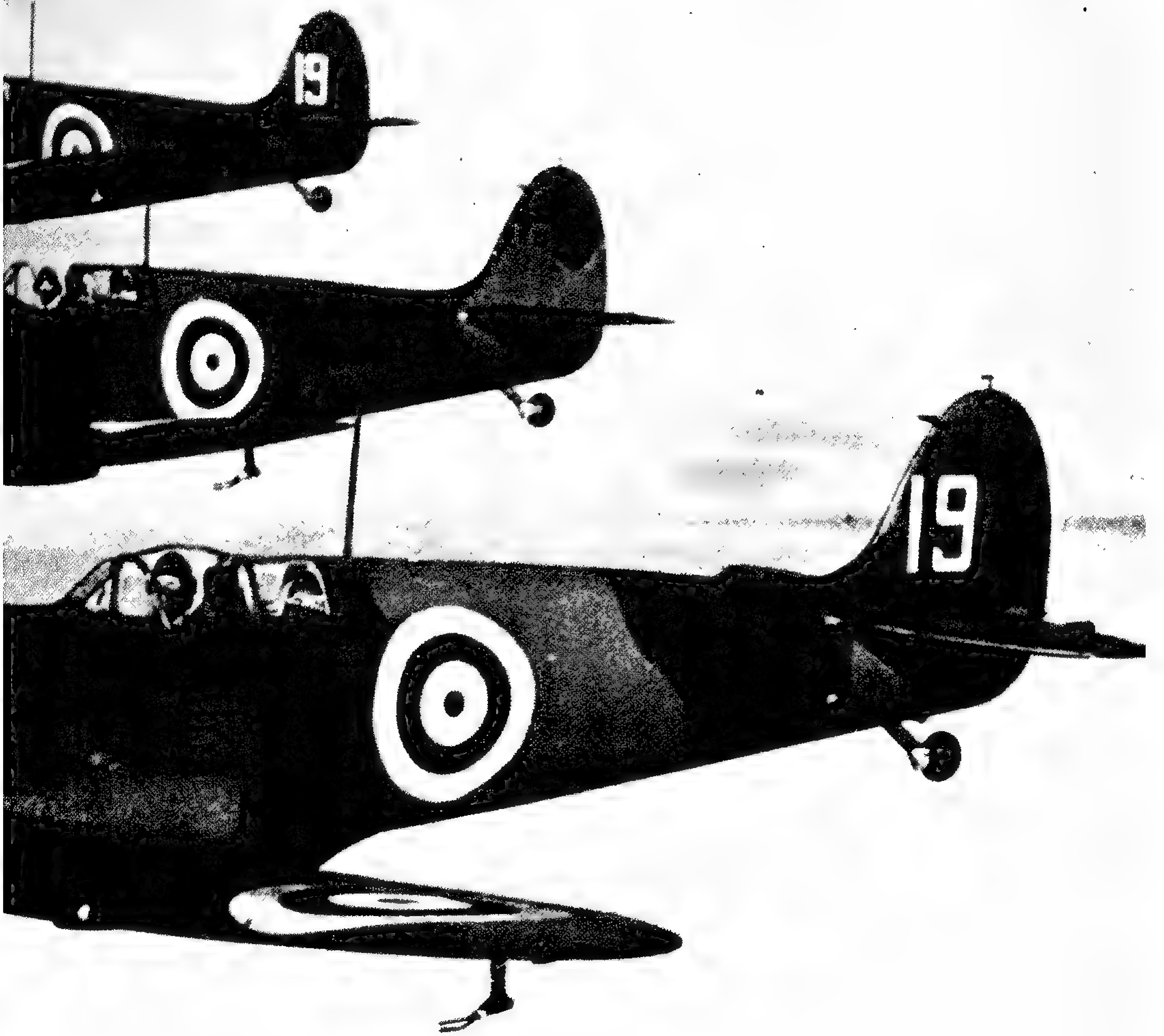
لكل مشاعر القلق والخوف التي انتابته في الفترة السابقة ، وقد بلغ ذروة سعادته في ٣٠ نيسان عندما تمكنت قواته الكائنة في (جود برنسدال) من تحقيق الاتصال مع حامية (تروندهايم) ، وكان من شأن هذا الاتصال أن أخلى (نروج الوسطى) بكاملها من الفرنسيين والانكليز الذين اضطروا للرحيل خلال يومين اثنين فقط ، وتحت وطأة القصف العنيف تخلفين وراءهم كميات كبيرة من الأسلحة، وأعداد كبيرة من الخسائر البشرية والمادية ، مبرهنين للملأ أن سيادة البحر لا معنى لها دون سيادة الجو .

في (نرفيك) كان الثلج ما يزال يغطي الأرض . والاستعدادات الضخمة قائمة على قدم وساق . (تشرشل) توصل الى وضع الجنرال الخجول (ماكيزي) تحت إمرة الأميرال (كورك) النشط . أما الفرقة الفرنسية التي كان يقودها الجنرال الشاب الحازم (بيتوار) فقد غادرت فرنسا مع أربع كتائب بولونية ، وكتيبتين من الفرقة الأجنبية وصلتا من (سيدي بلعباس) ، وكان جنود هذه الفرقة الأجنبية جميعهم من المتطوعين ، وبعضهم من الألمان . إلا أنهم منحوا هويات تثبت أنهم من مواطني (بروتانيا) في فرنسا أملا في نجاتهم من الاعدام في حال وقوعهم في أسر مواطنيهم . وكانت خطة الهجوم الجاهزة والمحددة بيوم ١٢ أيار تقضي بالنزول في (بجيرفيك) ويتم احتلال (نرفيك) خلال عبور (رومباكسجفيور).

الألمان من ناحيتهم سعوا الى تعزيز فريق (ديتل). هتلر فكر بخرق الحياد الأسوجي، وكاد يفعل ذلك لولا (غورنغ) الذي صرفه عن عزمه بعد أن تلقى رسالة شخصية من (غوستاف الخامس) ساهمت الى حد كبير في صرف نظر هتلر عن الفكرة ، مقابل أن يصرف الأسوجيون النظر عن بعض الامدادات المموهة ، سواء عن طريق البر أو الجو، الى القوات المتواجدة في(تروندهايم) و(نرفيك) والفرقة الجبلية الثالثة . وكان هم القوات البرية الأول هو تحقيق اتصال بين (تروندهايم) و(نرفيك) ، ولذا أقيمت بعض مراكز التموين في الجبال ، إلا أن العملية ، على حد قول القائد الأعلى (فالكنهورست) ، كانت عبارة عن حملة في جبال عالية أكثر منها عملية عسكرية . ومما قاله أيضاً : (ان العمل الذي ينبغي لمفرزاتنا أن تقوم به شبيه بتسلق (نانجاباربات) .)

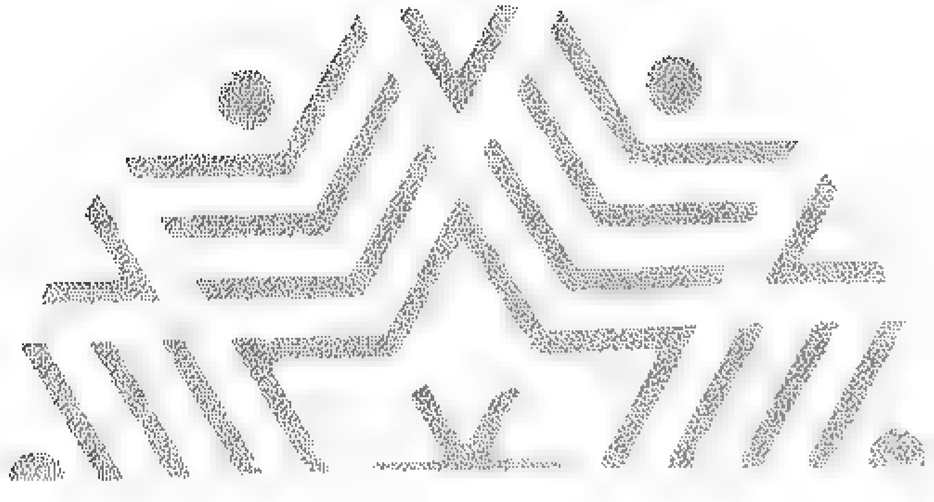
يتبين من كل ما تقدم أن معركة (طريق الحديد) قد أعد لها كل شيء. (بول رينو) صرح في فرنسا بأن هذه الطريق قد قطعت . (ونستون تشرشل) أعلن في انكلترا أن (حملة نروج) ستفضي الى النصر اذا ما تمكن الحلفاء من السيطرة على(نرفيك) والاحتفاظ بها .

لكن إطلالة شهر أيار من عام ١٩٤٠ أظهرت بأن مسرح العمليات السكندينافي تافه .



طائـرات بريطانيـة تبحـث عـن طريدة

مأساة "سيدان" والحرب الصاعقة





يوم ٢٧ أيار ١٩٤٠ كان يوم الحساب في مجلس العموم البريطاني الهائج من الغضب بسبب هزيمة « نروج » . و« تشامبرلين » ، عجوز « ميونيخ » ، كان هو المتهم ، وقد انصب عليه الحنق من العديدين ، ولا سيما من «كيز» و« اميري»، و« داف » و« كوبر» و « لويد جورج » ، والنائب « أرنولد ولسون » ، الذي لم يكن معروفاً بعد وهو الذي كان يعمل رامي رشاش في ذيل احدى قاذفات القنابل .

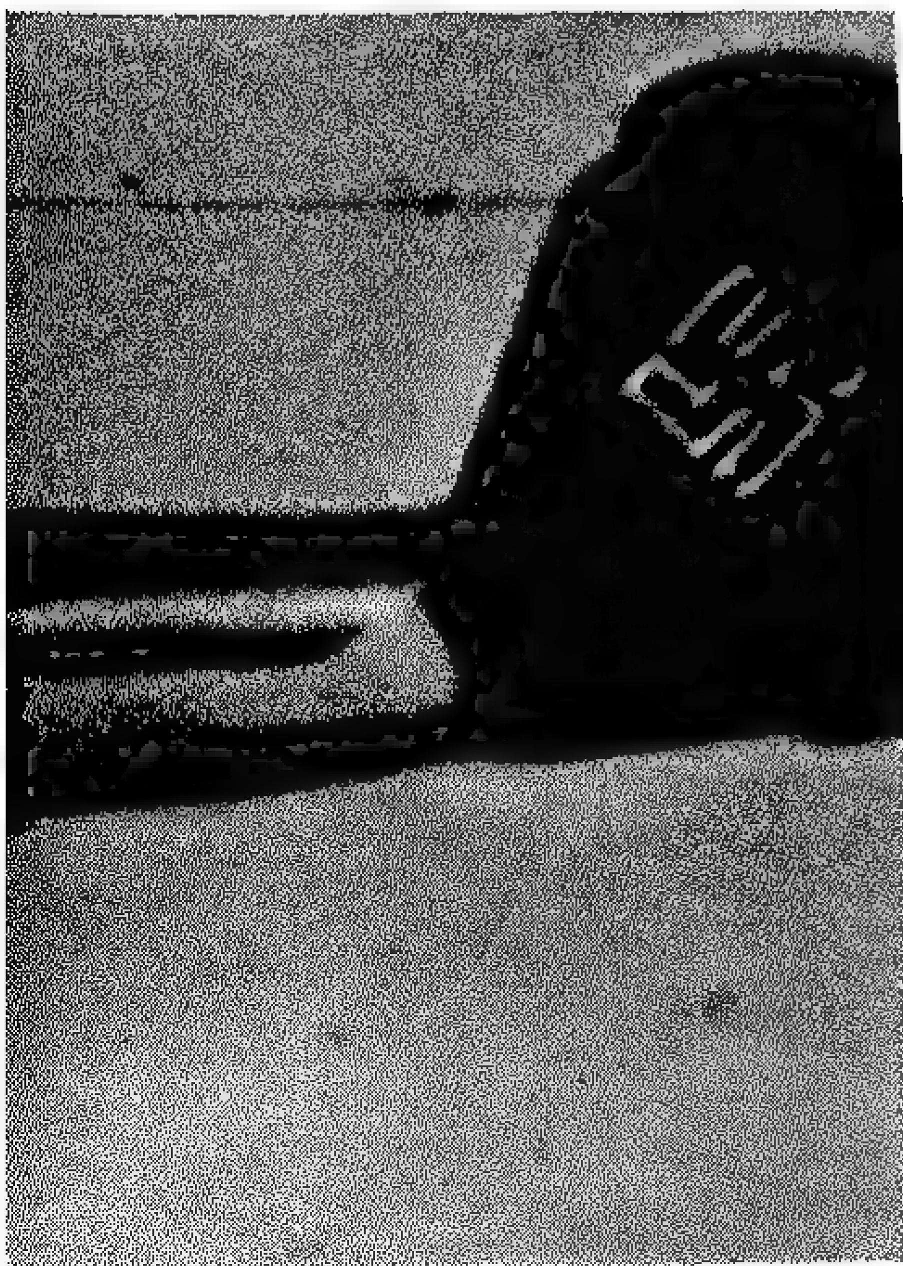
لم ير « تشامبرلين » بدأ من الدفاع عن نفسه الدفاع المستميت ، ولكن ، لا دفاعه عن نفسه ، ولا النداء الذي وجهه الى المحافظين في تلك الظروف القاسية، استطاعا أن ينقذاه من المصير المحتم : لقد انضم ٣٠

محافظاً الى المعارضة في أثنـاء الاقتراع على الثقة ، فضـلا عن امتناع ٦٠ منهم عن الإدلاء بأصواتهم ، وكان من نتيجة ذلك أن تدنت الأكثرية النيابيـة من ٢٠٠ الى ٨٠ صوتاً. ولعل أعنف الذين انتقدوا تشامبرلين كان « ليو اميري » الذي قورن خطابه الملتهب بخطاب « كرومويل » في المجلس ، قبل حله ، عام ١٦٥٣ . ومما قاله اميري : « لقد بقيت هنا ، يا تشامبرلين ، أكثر مما هو ضروري بالقياس الى ما أديته من خدمة. ولذا أقول لك : ارحل بربك ! انصرف عنا !! » . وكان جواب « تشامبرلين » سريعاً فخرج من القاعة متعثراً ، وملقياً على المجلس نظرة طافحة بالمرارة والحقد .

لكنه ما لبث أن تمالك نفسه خارج المجلس ، واستمر في عناده ، وأول ما فعله هو السعي الى تأييد العمال له بعد أن استحال عليه الحكم كرئيس محافظ ، لكن العمال رفضوا تلبية ندائه ، فلم يبق أمامه ، والحالة هذه ، إلا أن يسعى من أجل تعيين رئيس جديد خلفاً له لعله يوفق في إبعاد «تشرشل» عن المنصب . وقد وقع اختياره على اللورد (هاليفاكس) ، لكن هذا لم يكن يحق له دخول مجلس العموم بسبب نص دستوري يحظر دخول اللوردات الى هـذا المجلس . وهنا انصب الاهتمام على (تشرشل) .

بيد أن قسماً كبيراً من البريطانيين كانوا يرون في هذا الرجل الجندي الثائر ، ورجل (الدردنيل) العنيف، ووزير المالية الفاشل عام ١٩٢٣ ، والمسؤول الرئيسي عن الكارثة النروجيـة . أليس بسبب تقاعسه وإهماله ظهرت عشر قوافل ألمانية في وقت واحـد في جميع مرافىء (النروج) من (أوسلو) الى (نرفيك) ؟ في الحقيقة لم يتهرب (تشرشل) من المسؤولية، بل أعلن أنه يتحمل وزر ما حدث . ومقابل الذين كانوا ينتقدونه ويسعون الى إقصائه ، كان هناك فريق كبير من المتحمسين له (كلويد جورج) العجوز الأشيب الذي قال : « لا ينبغي لهذا السيد الجليل أن يحوّل نفسه الى ملجأ يقي زملاءه شظايا الغارات » . وكان هؤلاء المتحمسون يرون فيه ، عن قناعة متزايدة ، الديناميكية التي كانت انكلترا بسيس الحاجة اليها .

وكما في لندن كذلك في باريس . فقد حصلت أزمة شبيهة بالأزمـة الانكليزية ، ولكنها أشد خطورة، لأنها تتعلق بالحكومة

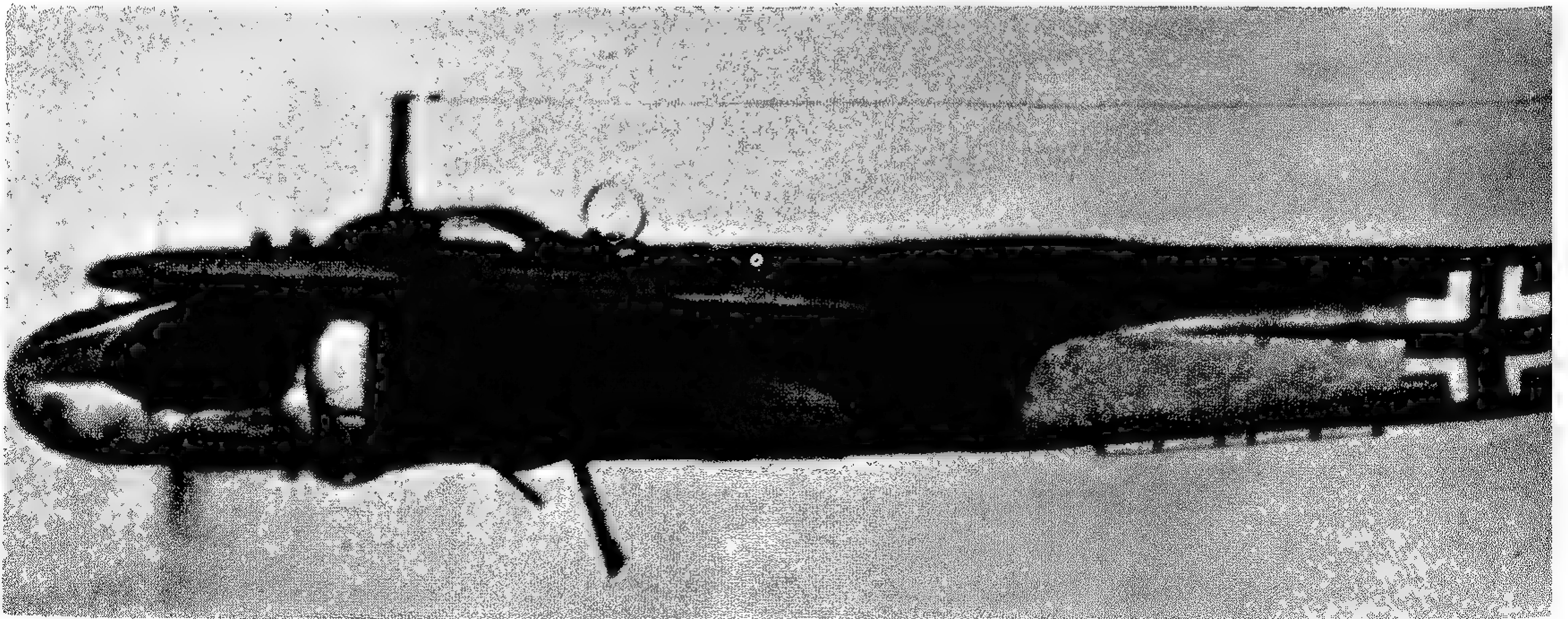


« القلم الطائر » اسم لطائرة المانية استخدمت ضد المدن البريطانية .

والقيادة معاً . فـ (بول رينو) تلقى رسالة من الكولونيل (ديغول) متخطياً اعتبارات التراتبية العسكرية شجعته على رفض وجود (غاملان) . ومما جاء في الرسالة : « ان الجهاز العسكري لا يمكنه ، بسبب إنقياده الطبيعي للتقاليد، أن يصلح نفسه بنفسه .. ان اصلاحه وقف على رجل دولة ، فينبغي لك أن تتكفل أنت به وأنا لا أهدف إلا لخدمتك في هذه المهمة الأساسية ... »

غير أن (دالاديه) رفض إبعاد (غاملان) عن منصبه في جلسة مجلس الوزراء المنعقدة بتاريخ ٩ أيار ، لأنه كان متفاهماً معه ، ويرى فيه مثال الرجل العبقري الهادىء ، وتعبيراً عن ذلك الرفض أقدم (دالاديه) على إعلان استقالة الوزارة طالباً من زملائه الإبقاء على هذا الأمر طي الكتمان حتى الغد ، وهو يوم الجمعة ١٠ أيار ١٩٤٠ .

في هذه الأثناء كان هتلر ما يزال مشغولاً بالحملة النروجية، ولكنه ما أن شارفت هذه الحملة على نهايتها حتى عاد الى الكلام عن (الخطة الصفراء) فأعلن أمام (كيتل) و(جودل) ، في ٢٧ نيسان ، أنه قرر مهاجمة فرنسا بين الأول والسابع من أيار ، وأنه أعد العدة كاملة لهذا الغرض . علماً بأن الخطة العامة كان قد تم التوقيع عليها في ٢٤ شباط . ولم يكن هناك من تضارب نيات على الإطلاق بين القيادة الحربية العليا والقيادة العليا لجيش البر ، أي بين هتلر من جهة، وقواده من جهة أخرى. وهذا التفاهم والتناغم هما اللذان أخرجا الوثيقة في إطار من الوضوح والاتزان الكاملين . وكانت الخطة تقضي بأن تتولى مجموعة الجيوش (ج) المؤلفة من ١٩ فرقة بقيادة (فون ليب) مهمة المحافظة على الجبهة بين (سويسرا) و(لوكسمبورغ)، على أن تتولى المجموعتان الأخريان (ب) بقيادة العناصر السريعة الأخرى من مجموعة الجيوش فقد فرض عليها



التوغل نحو (سيدان) على ثلاث دفعات نظراً لقلة الطرقات . وكانت هذه الفئة من المجموعة تتألف من الفيلق التاسع عشر بقيادة (غوديريان) والذي يضم فرق الدبابات الأولى والثانية والعاشرة ، ومن الفيلق الواحد والأربعين بقيادة (راينهارد) والذي يضم فرقتي الدبابات السادسة والثامنة وفرقة المشاة الآلية الثانية ، ومن الفيلق الرابع عشر بقيادة (فيترشايم) والذي يتألف من الفرقتين الآليتين الثالثة عشرة



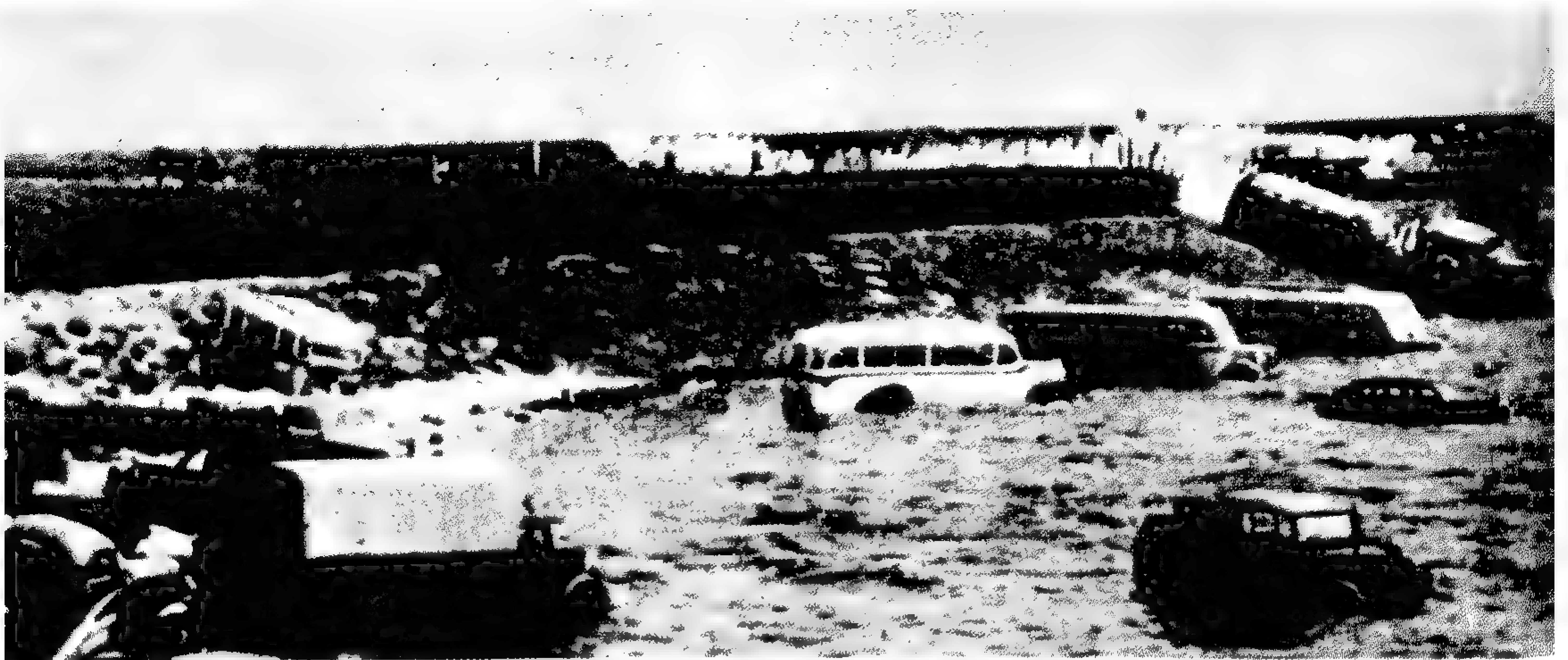
« كويسلنغ » : اسم علم بات رمزاً للخيانة !



وجّه الرايخ الثالث قيادته العسكريّة وجهة جديدة . فبات القوّاد يقودون جيوشهم شخصياً . والصورة تمثّل « غوديريان » قائد الفيلق المصفّح التاسع عشر يقود الهجوم باتّجاه « سيدان » .

والتاسعة والعشرون . ووضعت هـذه (الزاوية المصفحة)، كما أطلق عليها، بقيادة الكولونيل ـ جنرال (فون كلايست) . وفي ظل هـذا التوزيع العسكري أمكن القول أن الميل الى تجزئة الجيش الألماني الى جيش سريع وبطيء، ثوري وتقليدي، الذي برز في بولونيا قد تحقق بشكل منظم في (سيدان) .

وفي خلال شهور أربعة تمكن (هتلر) بما له من حدس وبصيرة من وضع خطة





عُهد إلى «جيفي» إلى «نامور» . الجنرال «كوراب» بنقل الجناح الأيسر من جيشه ...

جمعت بين البساطة والجرأة ووصفت على أنها الخطـــة الأكثر دقة عبر التاريخ ، إلا أن التأجيلات العديــدة التي حصلت كادت أن تقضي على صبر هتــلر . فمن ٣ أيار تأجل موعد التنفيذ الى ٨ منه بسبب سؤ الأحوال الجوية . وفي ٧ تأجل أيضـــاً الى ٩ منه للسبب نفسه وبناء لطلب (براوشيتش) .

وقد أوكلت الخطة أمر الهجوم الأساسي لـ (روندشتاد) ولذلك فقد زود بكل ما تفرضه المهمة الخطيرة ، ووضع تحت تصرفه ٤٥ فرقة بينها سبع فرق مصفحة ، ورسمت تحركاته بالشكل التالي : اقتحام ممر (الموز) بين (دينان) و (سيــدان) بأقصى سرعة ممكنة . ثم التوغل بسرعة أيضاً ، وبكل ما يتوافر من إمكانات ، باتجــاه مصب (السوم) بهـدف السيطرة من الوراء على المنطقة المحصنة في شمالي فرنسا . وقد وزعت هذه الخطة على جيوش ثلاثـة هي : الجيش الرابع بقيادة (فون كلوغي) الذي أوكل اليه أمر الهجوم على جبهة واسعـة تمتد بين (أوبين) وشمالي (لوكسمبورغ) ، والجيش الثاني عشر بقيــادة (ليست) الذي أوكل اليه أمر الهجوم على جبهـة ضيقة جداً في إتجاه (سيدان) ، وأخيراً الجيش السادس عشر بقيادة (بوش) الذي أوكل اليه أمر حماية أطراف الجيش الزاحف من كل محاولة فرنسية قد تأتي من الجنوب وبذلك يكون (روندشتــاد) هو المطرقة و (بوك) هو السندان .

ولعل ما تتميز به مجموعة (روندشتاد) هو قدرتها على بلبلة صفوف العدو ، فـ (كلوغي) كان الوحيد الذي احتفظ بقيادة مصفحاته مباشرة ، هذه المصفحات التي كانت تشكل الفيلق المصفح الخامس عشر بقيادة الجنرال (هوث) المؤلف بدوره من فرقتين للدبابات هما الفرقة الخامسة والفرقــة السابعة . أما (فون بوك) و (أ) بقيادة (فون روندشتاد) الدور العملي .

مهمة المجموعة (ب) هو تنفيذ « هجوم التمركز» وقد حددته الخطة بما يلي: « يجب أن تحتل هذه المجموعة « هولندا » بسرعة، وأن تقف حائلاً دون الاتصال بين القوات الهولندية من جهـــة ، والقوات الانـكليزية والبلجيكية من جهة أخرى ، وأن تسحق خطوط الدفاع في الجبهة البلجيكية بأقصى سرعة ممكنة . وقــد تألفت هذه المجموعة من ٢٩ فرقة وجيشين همـــا : جيش الـ ١٥ بقيادة « فون كوخلر » ، والجيش السادس بقيادة « فون رايخناو » . واذا كانت هذه القوات تفتقر نسبياً الى الوحدات المصفحة الكبيرة ، فإنهـــا تتميز بشيء جديد فيه الكثير من الطرافة وهو : مشاة الجو» بمعنى أن مظليي الجنرال « شتودنت » يهبطون من طائرات الجنرال « الكونت شبونيك » الشراعية في المطارات .وعلى الأوتوستر ادات بهدف الاستيلاء على جسور «الموز» و«الرين» الكبرى . ثم يقومون بمهاجمـة التحصينات بموجب الأساليب الثورية التي أعدها هتلر ،

والتي كان يهدف من ورائها الى توجيه اهتمام الخصم الى شمالي المعركة ، وبالتالي توجيه قواته في هذا الاتجاه ، وعندئذ يصبح بإمكان المجموعة الألمانية أن تهاجم الجبهة الحليفة في بلجيكا الذي دفع هتلر الى القول : « ها انني أذعن للمرة الأخيرة» ولن يكون هناك تأجيل جديد » . وقد قوبل الأمر الصادر عن القيادة الحربية العليا صبيحة التاسع من أيار بنفس المشاعر التي قوبلت بها المواعيد السابقة ، أي بمزيج من الشك والسخرية ، لكن الأمر ، هذه المرة ، لم يكن مرفقاً بعبارة « تأجل الهجوم » وهو يحمل توقيع «كيتل » ، رئيس القيادة الحربية العليا .

في ذلك اليوم ، وعند الساعة ١٦,٤٨ كان الظلام ما يزال مخيماً على «أوسكيرشن» وتلفها موجة من الرطوبة والبرد عندما توقف أحد القطارات العسكرية لينزل منها الفوهرر وضباطه الأربعة عشر الذين قدموا من « برلين – فنكنبرغ » . وفيما كان بعض سكان المدينة يعبرون طرقاتها وشوارعها بهدوء كلي كان الفوهرر وصحبه يصعدون باتجاه « فيلسنست »، أحد مراكز القيادة الأربعة التي جهزت للديكتاتور الألماني ، وهي كناية عن مجموعة من الأبنية المنثورة في الغابة . وما كادت الشمس تتسلل عبر أمواج الضباب حتى كان الهجوم الغربي قد انطلق .



في فجر اليوم الأول من الهجوم كان المظليون الألمان يطبقون على « لاهاي » و« روتردام » ، بالاضافة الى جزيرة «دوردرخشت» القريبة من مرفأ «مورديجك» الكبير . فكان لذلك وقع الانقلاب ، وقد أدى في الدقائق الأولى للهجوم الى سقوط « هولندا – القلعة » بعد أن قلع الهولنديون عن فكرة الدفاع عن حدودهم ، واكتفوا بتركيز جهودهم على مثلث (أمستردام – لاهاي – روتردام) ، وذلك بعد محاولات يائسة قاموا بها خلال فصل الشتاء لتنظيم دفاع مشترك بينهم وبين البلجيكيين .

والحليف الوحيد الذي استنجد به الهولنديون في الدفاع عن مثلثهم هو الحليف الطبيعي : الفيضان . وكان في نيتهم إنشاء جزيرة اصطناعية أمام الغزاة بمساعدة الانكليز وإيصالها بالمراكز العامة للحلف بواسطة قوات فرنسية تستقدم من (أنفير) ، إلا أن عملية مد الفيضان كانت تتطلب مهلة أربعة أيام . وكسباً للوقت قام الهولنديون بحشد فرقهم العشر على أن يقوم الفيلقان الثاني والرابع بمهمة الدوران البطيء حول (أرنهيم) ، في الشمال ، وأن يقوم الفيلق الثالث ، بمعاونة فرقة متخصصة ، بمهمة الدفاع المستميت عن الموقع الواقع على امتداد مستنقع (بيل) ، وأن يقوم الفيلق الأول الذي كان نطاق عمله يمتد من (الرين) الى (الزيدرزي) باستقبال العناصر المنسحبة وضمان حرمة المعقل الوطني . ولكن المفاجأة المذهلة هبطت من السماء مع هبوط المظليين الذي لم يكن ليخطر في بال !

لم يستسلم الهولنديون للأمر الواقع ، بل دافعوا الدفاع المستميت واستطاعوا الصمود في مواقع عدة ، إلا أنهم فشلوا في استعادة مطاراتهم ، وتطهير وسط البلاد ، لا سيما وان النداءات التي وجهوها الى الطيرانين الفرنسي والانكليزي لم تلق الأذن الصاغية ، في الوقت الذي كانت أسراب (كسلرنغ) تزرع الجو رهبة وأزيزاً ، وبعد أن أنزلت الطائرات ٤ آلاف رجل من الفرقة السابعة بقيادة (فليفر) استمرت في تزويدهم بالمؤن والذخيرة اللازمة ، كما استمرت في قصفها المستمر لمواقع الخصم محدثة المزيد من البلبلة والفوضى . وفي هذا الجو المأساوي كان الهولنديون يعلنون أكثر من مرة عن استعادة بعض المواقع ؛ ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك ، فيضطرون ، بعد وقت قصير ، الى الاعلان عن اتساع رقعة الزيت الألمانية .

المسرحية الهولندية الدراماتيكية هي نفسها كانت تمثل أيضاً على الأرض البلجيكية . فعلى مسافة كيلومترات غربي (ماستريخت) تقع ترعة (ألبير) التي يبلغ عرضها ٦٠ متراً وتقع بين ضفتين عاموديتين ، وتعتبر من أمنع الخنادق المضادة للدبابات في أوروبا . وأما جسرا (فيلدويزيلت) و (فروونهوفن) اللذان يمتدان فوقها فقد زرعا بالألغام . ولم

يكن يفصل الأراضي الألمانيـــة عن مواقع الدفاع البلجيكية سوى ٣٠ كيلومتراً من الأراضي الهولندية وفي فجر العاشر من أيار، وهو يوم إطلاق الإنـذار ، ظن فوج المشاة الثامن عشر أنه في استطاعته صد أي هجوم، ولكن الظن شيء والحقيقة شيء آخر ، إذ ما أن مضت أربع ساعـــات حتى كانت القوات الألمانيـــة تعبر الجسرين المذكورين اللذين لم تنفجر ألغامها .

بد ألتمهيد للعملية بقصف جوي شديد بدّد المدافعين مما سهل هبوط الفصائل المنقولة جواً خلف الترعة، فسارعت هذه في الهجوم على الجسرين من الوراء ، بعد أن تم القضاء على قسم كبير من حرس الحدود، وأسر قسم آخر، ووقوع الارتباك في صفوف المسؤولين عن جهاز تفجير الألغام. ووسط هذا الهجوم الصاعق قام المشاة الذين نقلتهم الطـائرات بالإجهاز على كل جيب للمقاومة ، وراحوا ينتظرون الفرق القادمة من (ماستريخت).

الأمل الوحيد الذي بقي أمـام البلجيكيين لسد معابر الترعة أمام الغزاة الألمان كان حصن (ايبن ـ ايمايل) الذي كان يضم ٨ مدافع من عيار ٧٥ ومدفعين من عيار ١٢٠ يوجهان القذائف في كل اتجاه . لكن هذه المدافع بقيت ساكتة والسبب هو أن المظليين الألمان التابعين لليوتنان ـ كولونيل (ميكوش) قد استطاعوا الدخـول الى الحصن ونسف مراكز المراقبة والرماية خلال ١٧ دقيقة . ويجمع القواد على أن هذه العملية كانت من تصميم وإخراج هتلر نفسه .

الجيش البلجيكي كان مؤلفاً من ٢٣ فرقة، وخط المعركة الأولى يمتـد على (الموز) من (جيفي) الى (لياج)، وعلى ترعة (ألبير) من (لـيـاج) الى (أنفير) ، وكانت في هذا الخط ثلاثة مواقع حصينة هي : (نامور)، (لياج) ، و(أنفير) . تركز الحشد قبالة (هولندا) اعتقاداً من البلجيكيين أن الخطر آت من (تيلبورغ) و(بريدا) أكثر مما



حواجز مضادّة للدبّابات في « بلجيكا » .

هو آت من (ايكس لاشابيل) و (ماستريخت). وعلى الترعة تمركزت إحدى عشرة فرقة معرضة للخطر ؛ ومع ذلك تنقصها القوة الدفاعية الضرورية . وكانت الفرق العشر الأخرى تهتم بالدفاع عن قطاعات على امتداد عشرة كيلومترات تقريباً ، تحتل الفرقة السابعة وحدها ضعف هذه المسافة . وكان الاعتقاد السائد ان هذه الفرقة يحميها موقع (لياج) وحصن (ايبن ـ ايمايل) ونهر (الموز) ، وبالأخص خندق الترعة الشديد الوعورة. ولم يكن ليدور في خلد البلجيكيين أن الألمان سيعمدون الى نسف مفاصل هذه



الجبهة دفعة واحدة . وحصلت الحقيقة المرة. وتكررت مناورة (سيدان) في (ايبن ـ ايمايل) ، ولم تنفع جميع المحــاولات التي جرت لإنقاذ الحصن واستعادة الجسور. ففي الساعة ١٧ بدأ عبور (أفضل خندق مضاد للدبابات في أوروبا) على يد الجنرال (ستيفر) وفرقته على الرغم من تأخرها في (ماستريخت) حيث نسفت جسور (الموز) ولم تنفع في انقاذها ثلاث محاولات بلجيكية، وانكليزية وفرنسية، الأمر الذي قاد (ايبن ـ ايمايل) الى المصير المحتم ، وهو الاستسلام، وكان من شأن هذا الاستسلام ان زاد الثغرة اتساعاً ، ودفع بالملك (ليوبولد الثالث) القائد الأعلى، والجنرال (ميكيبلز) رئيس الأركان الجديد، ورئيس الوزراء الجنرال (أوفير ستراتن) الى عقد اجتماع في الساعة ١١ من ١١ أيار ، وذلك في قلعـة (بروندونك) القديمـة ، الواقعة بين (أنفير) و(بروكسل) اتفق الرأي خـلاله على حصول تبدل جذري في وضع تغطية ترعة (ألبير)، ولم يبق سوى إصدار أمر التراجع العاجل الى موقع المقاومة الرئيسي ، وكان من المتوقع القيام بمثل هذه الخطوة بعـد أسبوع ، فإذا بهم يضطرون لاتخاذها في صبيحة اليوم التـالي ، مع العلم أنه كان من المتفق عليه أن تأتي الجيوش الفرنسية والانكليزية وتصطف الى جـانب الجيش البلجيكي في الموقع المذكور القائم أمام بروكسل والذي أنشأ فيه البلجيكيون عدداً من الحصون . فهل تصل تلك الجيوش في الوقت المتفق عليه ؟

كان من حسنات الهجوم الألمــاني في انكلترا أن حل الأزمـة الوزارية فيها ، كما جمد الأزمة الوزارية أيضاً في فرنسا . وجاء حل الأزمـــة الوزارية الانكليزية بإعلان تشرشل في صبيحة ١٠ أيار تشكيل وزارته



دبابات الجنرال رومل التابعة للفرقة السابعة المدرعة تتقـدم نحـو المـدن الفرنسية

التاريخية التي أطلق عليها اسم وزارة النصر التي تضم : (اتلي) ، (هاليفاكس) ، (بيفن) ، (ايــدن) و(بيفربروك) وغيرهم . لكن (بينو) عدل عن استقالته ورافق هذا العدول تبـادل بعض العبارات الطنانة مع خصمه « غاملان » .

في الساعة ٧,٣٠ بوشر بتنفيذ عمليـة « ديل » ، وقد دخلت طلائع الجيش الفرنسي بالفعل الى بلجيكا على الرغم من أن المسؤولين عن تنفيذ هذه العملية لم يكونوا على قدر كاف من الاقتناع بجدواها ، الأمر الذي دفع بـ « بريو » قائد فيلق الخيالة ، و« بلانشار » ، قائد الجيش الأول الى المطالبـة باللجوء الى عملية أخرى اسمهـا « أسكو » ، إلا أن « بيتوت » و« غامـلان » لم يوافقا عليها ، لا سيا وان أوانها قد فات .

كانت قلعة « جيفي — سور — موز » الصغيرة القديمة محور تحركات الجيشين الفرنسي والبريطاني اللذين قطعا بمليون رجل مساحات شاسعة من السهول التي حفلت بأسماء أشهر المعـارك .

كان الجيش السابع يشكل الجناح الأيسر الموضوع في الاحتيـاط والمؤهل لصد أي هجوم مضاد . وكان تحرك هذا الجيش سريعاً للغـاية بموجب المخطط الدقيق الذي وضعه الجنرال « جيرو » . وأول خطوة نفذها هذا الجيش هو دخول الفرقـة الآلية الخفيفة في عشية العاشر من الشهر الى هولندا ، تبعتها فرقة المشاة الآلية الخامسة والعشرون التي اقتربت من « بريدا » ، بينما تمركزت فرق اللورد « غورث » التسع بين « لوفان » و« فافـر » ، والى يمين « جيرو » بالذات محيطـة بالبلجيكيين الذي كان من المفترض أن تمتد جبهتهم حتى « أنفير » . والى يمين الجيش الانكليزي تحـرك أفضل الجيوش الفرنسية على الإطلاق ، وهو الجيش الفرنسي الأول المؤلف من ٨ فرق مشـاة وفرقتين خفيفتين آليتين ، والذي كان موكلاً اليه أمر المناوشة في « ســان تروند » ، بينما تستقر القوات الباقيـة عبر ثغرة « جمبلو » التي تعتبر طريق الغزوات التقليدية . وكان الفرنسيون يتوقعون الصدمة الرئيسية في هذه الثغرة بالذات ، وأوضح دليل على ذلك نوعية الفرق التي تم اختيارها والتي كانت كل واحدة منها مزودة بالمدفعية والأسلحـة المضادة للدبابات ، والمكلفة بحماية جبهـة لا تتجاوز ٥ أو ٦ كيلومترات ، وكانت هذه الفرق موزعة بحيث أن الفرق الخفيفة الآلية في المقدمـة ، وفرق المصفحات السريعة القوية في المؤخرة . أما القائــد ، الجنرال « بلانشار » فكان ينظر اليه على أنه الضابط المفكر العالم الذي يوصف دوماً بـ « الذكي ، والمتشائم » .

وبموازاة « بلانشار » كان هناك قائـد من نوع آخر هو « كوراب » الذي ظفر بأسر الأمير « عبد الكريم » بعدمـا تعقبه في الريف المغربي ، وكان لهذا الانتصار

وقعه الحسن في أوساط القيادة ، لا سيا وان الجيش الذي كان يقوده « كوراب » لم يكن في مطلع الحرب سوى مفرزة جيش « الأردين » ، ولم يتلق سوى إمدادات شحيحة للغاية إبان معاركه وكان مناطاً بفرق الخط الأول الخمس التي يقودها مهمة المحافظة على « الموز » ابتداء من « نامور » حتى جوار « سيدان» فتستقر فرقتان داخل التحصينات بينا تتخذ الثلاث الأخرى مراكز لها في الأراضي البلجيكية . والى جانب إتساع الجبهات التي فرضت على كل فرقة أن تدافع عن ١٥ أو ٢٠ كيلومتراً من الأراضي لم تكن المعدات كاملة ، وعلى سبيل المثال نذكر أن فرقة المشاة الواحدة والستون لم تكن مزودة إلا بـ ١٢ مدفعاً من عيار ٢٥ بدلاً من ٤٨ . والفرقة ١٠٢ التي كانت مسؤولة عن جبهة بطول ٤٥ كلم لم يتوافر لها سوى ٧٢ مدفعاً في حين كان يقتضي لها ١٠١ مدفع . ولم يهمل «كوراب» لا هذا النقص في المعدات ، ولا النقص في نوعيتها ، بل طالب أكثر من مرة ، ولكن مطالبته المتكررة كانت نوعاً من الصيحات في الأودية ، بل أكثر من ذلك كادت تكلفه قيادته بالذات إذ أن الخطأ الذي ارتكبه هذا القائد هو عدم إدراكه بأن الجبهة المسؤول عنها هي جبهة « سلبية » تتألف من الشقوق العميقة الأغوار ، والأحراج الغضة والصخور الضخمة العالية، والطرقات الصغيرة الوعرة، ولكن هذا لم يكن ليحول دون القيام بعمليات عسكرية في هذا القطاع ، ولا سيا في « دينان » التي مر بها عام ١٩١٤ ، أو في « ميزيير » التي تشكل مفترق طرقات هاماً . ولكن كل عملية تتم تفترض مدة ١٥ يوماً لحشد الطاقات البشرية والعسكرية، ولذا يكتفي «كوراب » غالباً بفرقتين احتياطيتين وفرقة خيالة تنضم اليه بعد إتمام مهمتها كي يصد أي هجوم يتعرض له . اما اذا كان الهجوم كبيراً ، وهذا احتمال مستبعد ، فالقيادة هي التي تواجه الظرف بما يناسبه .

الجيش الثاني بقيادة « هونتزيغر » تمتد جبهته من ترعة «الأردين» حتى «لونغويون»، وكان لها رأس جسر صغير في « سيدان » قالت وثائق الأركان العامة أنه « مضمون الحماية بفضل أحراج «مارفي» المحيطة بها »، فإذا ما أطلت دبابات العدو من غابة «سيدان» صعب عليها النزول الى الوادي إلا عبر طرقات صغيرة ضيقة مكشوفة للنيران التي توجه اليها من مرتفعات الضفة الشمالية. وفي سبيل توفير المقومات الأساسية للدفاع الأولي وحماية ضفتي النهر ، نشئت البيوت المحصنة والملاجيء والحصون ، لكن اللجنة البرلمانية التي عرضت هذه المنشآت برئاسة الضابط في الحرب الأولى الليوتنان « بيار تتنجر » اعتبرت هذه التحصينات بدائية وقللت من أهمية « الأردين » و « الموز » كحواجز طبيعية . ومما قاله « تتنجر » : (ان ويلات كثيرة تنتظرنا في تلك الأراضي ، وفي سبيل

دفن الذكريات المؤلمـــة التي أحيتها زيارة « سيدان » ينبغي الإسراع في اتخـــاذ الاجراءات الحاسمة .) ، لكن قائد الجيش الثاني كان قد أمر أركانه بتحضير «جواب ساخر اللهجة » ، ومما قاله (هونتزيغر) في رده على (تتنجر) : (لا أرى دافعاً لاتخاذ اجراءات سريعة لتدعيم قطاع (سيدان) ، فنحن لم ننتظر قدومك كي نقوم بواجبنا) .

والواقع أن (هونتزيغر) لم يكن يتحمل أي مسؤولية بالنسبة لتوزيع القوى المتوافرة له . فـ (غاملان) عرض هـذه القوات ، وكان بالغ الارتياح ، والقيادة العليا علمت بواقع التوزيع ولم تعارضه ، أمـا التعليمات السرية التي زودت (هونتزيغر) بها فكانت تفرض عليه المحافظة على حرمـــة (خط ماجينو) والحؤول دون التفاف العدو حوله. ولهذا السبب أقام القائد في الجناح الأيمن ، عند رأس جسر (مونميدي) أفضل أربع فرق لديهـــا وأصلبها وهي : فرقة المشاة الواحدة والأربعين، وفرقة مشاة المستعمرات الثالثة ، وفرقـــة المشاة الافريقية الشمالية الثالثـة ، وأقام في الخط الثاني فرقة مشاة المستعمرات الأولى ، أما الفرقتان الأخريان الـ ٥٥ والـ ٢٧١ فقد أقامها في الميسرة في منفذ (سيدان) ، وكان جنود هـاتين الفرقتين من الاحتياطيين القـدامى المفتقرين الى التسليح الجيد والتدريب والمعنويات العالية .

وأما الأمل الذي تحول ، في فرنسا ، الى خيبة أمل فهو تحول خط (ماجينو) الى اسفنجة تمتص العتاد والأعـداد في حين كان الهدف منه هو عكس ذلك تماماً. لقد سحب هـــذا الخط خيرة الفرق الفرنسية وجعل منها أشلاء عاجزة ، بل لقد ضرب بالمنطق الستراتيجي ، وحتى بالمنطق البسيط العادي ، عرض الحـائط ، إذ أن الهدف الأساسي كان إقامة صلة وثيقة بين الجيوش المتحركة والجيوش الجامـدة على أساس أن

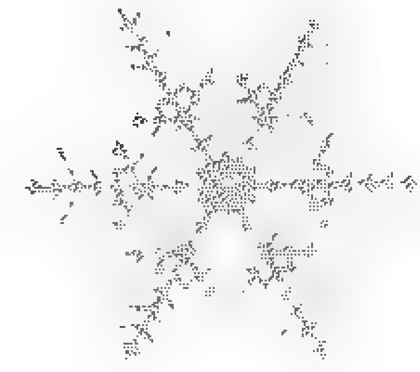
في الساعة الخامسة والنصف من صباح ١٤ حزيران بلغت الطلائع الألمانيّة باب « فييت » وتوغّلت في شارع « الفلاندر » ، وتبعتها على الأثر عدّة أرتال . وعند العشاء تدفّقت الجيوش عبر جادّة « الشانزيليزيه » ودارت حول قوس النصر المجلّل بالعلم الألمانيّ .

في الصورة فوق هذا الكلام : الجنرال « فون بريسن » يعرض جيوشه .

تكون بلجيكا هي المفصل المتين لكن قاتل الله الوهم ، فإذا هو استبدّ بالعقول وغشى الأبصار عن رؤية الصواب؛ وهذا ما حصل بالفعل (لهونتزيغر) الذي كان من المفروض أن يصب اهتمامـــه على الميسرة ، فإذا هو يصبها على الميمنة ، ويصب من الإسمنت في قطاع (مونميدي) المحصن أكثر بكثير مما فعل في قطاع (سيدان) الضعيف التحصين . ومما زاد الطين بلة أن أحـــداً لم يتدخل لإصلاح هـذا الخطأ المستمر والمتادي ، فلا (جورج) ولا (غـاملان) فعلا شيئاً من ذلك ، وربما نسيا أنهما لاحظا، قبيل الحرب بأشهر قليلة، أنه لا يستحيل أمام المصفحات عبور (الأردين) كما لاحظا أنه باستطاعة ثماني فرق من فرق العدو بلوغ (الموز) في ثلاثة أيام . ويبدو أنه وراء هـذا النسيان كان يكمن اعتقاد لدى (جورج) و(غاملان) باحتمال نشوب معركتين منفصلتين، إحداهما



كُتب في أسفل هذه الصورة الألمانيّة : « معارك لا نهاية لها ملأت على الجنود أيامهم ولياليهم ، تخلّلها سير حثيث مضنٍ . أمّا وقد بلغ جنودنا عاصمة « فرنسا » فإنّهم يتوقّفون في عجالتهم لينالوا قسطاً من راحة » . وإنّ هذين الجنديّين الألمانيّين المتهالكين على تلك العربة العسكريّة العتيقة ليحملان إلى المخيّلة صور « السنة الرهيبة » في حرب ١٨٧٠ . التاريخ يعيد نفسه !



في السهول البلجيكية ، والثانية عند خط (ماجينو) ، تقوم على حماية المنطقة الفاصلة بينهما فرق متوسطة ، باعتبار أنها ستكون منطقة هادئة .

الخطأ الذي حصل في (سيدان) حصل مثيلاً له في (الألزاس) و(اللورين) . فوراء خط (ماجينو) تكدست القوات وانتظمت صفوفاً من (لونغويون) حتى سويسرا . وهي قوات الجيوش الأربعة ٣ و٤ و٥ و٨ والتي تشكل بمجموعها أربعين فرقة . وكانت القيادة الفرنسية على علم تام بأن القوات الفرنسية تتفوق عددياً على

القوات الألمانية في الجهة المقابلة بمعدل ٢ ونصف مقابل واحد، لكن المقارنة بالنسبة للمجالات الأخرى كانت في غير صالح الفرنسيين .

يوم ١٢ أيار كان أحد العنصرة . كان عيداً بالنسبة للبعض وجحيماً بالنسبة للبعض الآخر . كان عيداً في فرنسا والمانيا حيث غصت المدن والأرياف بالصغار المقبلين على (المناولة الأولى) بثيابهم البيضاء الضاحكة، وكان جحيماً في هولندا وبلجيكا حيث تحجب غيوم الحرب وجه السماء .

وبين هذه الأتراح وتلك الأفراح تقرر بأن فك الحصار عن هولندا - القلعة بات مستحيلاً . لقد امتنع (جيرو) ، بعد تقدمه المباغت ، عن المضي في المجازفة والتقدم بقواته في شمالي (الاسكو) قاصراً تحركاته على إرسال الفرقة الآلية الخفيفة الأولى نحو (بريدا) ترافقها مجموعات استطلاعية تابعة لفرقتيه الآليتين . لم يشأ الطيران الألماني التدخل ، في بادىء الأمر ، بل تعمد غض الطرف عن الأرتال الفرنسية المتقدمة نحو الشمال ، الى أن حل العاشر والحادي عشر من شهر أيار فأخذت الطائرات الألمانية تزمجر في الجو ، وتلقي بحممها على القوات ، فيموت من يموت ، ويحترق من العتاد ما يحترق ، وتتصاعد ألسنة الدخان الى جانب ألسنة اللهب منسية الفرنسيين مسيرة الأمس الظافرة . ولم ينفع الصمود الذي جوبهت به الطائرات الألمانية ، كما لم يعد هناك أي جدوى من التوغل الفرنسي ، وما كاد النهار يمسي حتى صدر أمر التراجع الى ما وراء (الاسكو) .

كان هذا الهجوم التعس سبباً من جملة الأسباب التي دعت الى عقد مؤتمر انكليزي- فرنسي - بلجيكي في ١٢ أيار ، وذلك في قصر (كستو) الواقع بالقرب من (مونس). لم يرافق القواد الكبار الى هذا الاجتماع سوى مشاهد الحرب الناطقة بالصور ، في هولندا كما في بلجيكا حيث تحول انتصار الأمس الى مأساة مذهلة تتمثل في العديد من القرى التي ارتفعت فيها ألسنة اللهب والكثير من الطرقات التي زرعها الألمان رصاصاً وقنابل ، كما زرعوها موتاً ودماراً .

الوفد الفرنسي الى الاجتماع كان برئاسة (دالاديه) الذي يرافقه ثلاث جنرالات هم : (جورج)، (بيّوت)، و(كمبون). وممثل انكلترا كان موفد اللورد (غورث)، أما الممثل البلجيكي فكان الملك بالذات . لقد كان هذا الاجتماع فرصة مناسبة لتبادل التأنيب والتذمر ، فالفرنسيون أبدوا استغرابهم الشديد حيال تخلي البلجيكيين عن ترعة (ألبير) بهذه السهولة رغم اقتناعهم بتفوق سلاح الطيران الألماني ، كما أبدوا استغرابهم لتجهيز موقع (ديل) الذي كانوا يتمنون أن يروه أفضل مما هو عليه بكثير . وكان من نتائج هذا الاجتماع أن قبل الملك (ليوبولد) بسلطة الجنرال (بيّوت)



هؤلاء السعاة الذين يتلمسون طريقهم لن يروا في العاصمة الفرنسيّة إلا مواتاً : فقد لفّها كفَن من دخان ، دخان خزّانات الوَقود التي أمر الحاكم العسكريّ الجنرال «هيرنغ» بإحراقها .

المكلف بتنسيق عمل الجيوش الحليفة في الجناح الأيمن رغم اعتقاده بأن (الأمل في النجاح يبدو لي محدوداً) على حد قوله لـ (أوفر ستراتن) في السيارة التي كانت تقله الى مقر القيادة . وهذا القبول من قبل الملك البلجيكي أتاح المجال أمام توحيد القيادة ،

التي لن تقوى ، بأي حال ، على الصمود ومجابهة الصعاب .

ما أن ارفضّ الاجتماع حتى كان فيلق الخيالة يهرع الى التمركز أمام (جمبلو) ، وكانت مهمة فرقتيه الآليتين الخفيفتين صد العدو ، وإيقاف تقدمه لمدة أربعة أيام ، وكانت الأخبار الأولى عن الاشتباكات القاسية مرضية ، وجاءت الأحداث تثبت صحة التوقعات الفرنسية التي كانت تتصور تطور الأمور على الشكل التالي : اصطدام بعض الطلائع جنوبي (لياج) يليه تمركز في مواقع (أنفير – نامور) لكن شراسة الزحف الألماني كانت أكبر من الحجم الذي توقعته القيادة الفرنسية .

كل الأنظار متجهة نحو (جمبلو) . (اللورين) و(الرين) جبهتان هادئتان ، بعكس (الأردين) التي تراجعت فيها فرق الخيالة الخمس الخفيفة التي كانت تتقدم الجيشين التاسع والثاني . جسر (السوموا) كانت تلوح عليه بعض الوحدات الألمانية المصفحة التي لم تثر قلق القيادة الفرنسية . فـ (هونتزيغر) تمركز في المواقع المعدة سابقاً ، وجناح (كوراب) الأيسر بلغ (الموز) بين (جيفي) و(نامور) . ومع ذلك ظل الفرنسيون على اعتقادهم السائد بأن العدو لن يعطي منطقة « الأردين » الوعرة أهمية بالغة .

وفجأة سمع أزيز طائرات في سماء

المناوشات المتفرقة تؤخّر الزحف الألمانيّ في ضواحي « باريس » . وتمثّل الصورة إلى هذا الكلام انفجار قنبلة وسط مفرزة من الجنود الألمان .



« بويون » مساء ١٢ أيار. فإذا هي طائرات حليفة راحت تقذف فندق « بانوراما » بالقنابل فتخلع نوافذه ، وتحطم زجاجه ، وتبعثر محتوياته . وفي أحد أركان الفندق كان هناك ضابط ينكب على إحدى الخرائط فإذا برأس خنزير يسقط على الطاولة أمامه نتيجة القصف الذي أصاب أيضاً قافلة ذخائر في خارج الفندق ، وراحت الانفجارات تتوالى بشكل رهيب .

لم يكن الرجل المنكب على دراسة الخارطة الذي ارتطم رأس الخنزير على طاولته سوى الجنرال «غوديريان» الذي بادر الى الانتفاض، ثم ما لبث أن ضحك وقال لرئيس أركان

حربه الكولونيل « نهرنغ » الذي كان قد اتخذ من هــذا الفندق مقراً لقيادة فيلق المصفحات : « الأفضل أن ننتقل الى مكان آخر » يا « نهرنغ » ، فلا يليق بنا أن نلقى حتفنا اليوم ... » . وقعت هـذه الحادثة ولما يمض على وجود غوديريان في فنــدق « بانوراما » سوى نصف ساعة فقط .

مدينة « بويون » البلجيكية الصغيرة لم تكن تبعد عن الحدود الفرنسية سوى ٥ كيلومترات ، وكانت قد عبرتها طلائع فرقة الدبابات الأولى في الساعة ٩,٣٠ صباحاً ثم توغلت للحال في غابة « سيدان » بعد أن اتخذت تلك الفرقة من الدبابات الخفيفة ورقة السنديان شعاراً لها . وفي أثناء هذا التوغل أطلت القوات الفرنسية من تلة « ايلي » على الميدان الشهير الذي أشرف منه « غليوم » ملك بروسيا في ١ أيلول ١٨٧٠ ، على الهجوم اليائس الذي شنه قناصــة « غاليفة » الأفريقيون ، ومن مواقعها في الضفة الشمالية لنهر « الموز » راحت المدفعيـــة الفرنسية تمطر العدو بنارها اللاهبة ، إلا أن « سيدان » الملتهبة لم تكن تتوفر لها الحماية على ما يبدو .

لم يكن التقدم سهلاً أبداً . فالبلجيكيون أقدموا على نسف بعض المنشآت التي من شأنها إعاقة الزحف ، والخيـالة الفرنسيون أدوا مهمة تأخيرية بحتة ، وعانوا من ذلك معاناة شديدة . ولم تتمكن من الحفاظ على التوقيت المفروض سوى فرقة واحدة من الفرق الثلاث المصفحة التابعة للفيلق ١٩ ، وهي الفرقـــة الأولى . أما العاشرة فقد دخلت الى « بازيل » خلال الليل بصعوبة ، فيما تأخرت الفرقة الثانية على نهر « السوموا » .

كانت طـائرة ألمانية صغيرة تحط في قرية « نوار فونتين » بالقرب من مركز القيادة الجديد ، يهبط منها شخص ويتجه الى « غوديريان » ليبلغـه الأمر المتعلق ببرنامج اليوم التالي . بعد نصف ساعة كان غوديريان يستمع الى الكولونيل جنرال « فون كلايست » آمر المجموعة المصفحـة غير مصدق بأن ثمة من الرجال من هو أجرأ منه .. لقد كان كلايست ينقل اليـــه أمراً بضرورة عبور « الموز » عن جانبي « سيدان » في ١٣ أيار ١٩٤٠ ، وبالتحديـد في الساعة السادسة ، واستيلائـه على المرتفع ٢٤٧ وعلى قرية « فاديلنكور » بهدف تأمين رأس جسر . جواب غوديريان لم يكن بالإيجـاب ، وقد برر معارضته لهذه الخطة بأن قواته لم تتجمع بعد ، فهناك فرقة ما تزال متخلفة ، وفوج الانقضاض ، المسمى « المانيا الكبرى » ، لم يعبر « بويون » حتى الساعة . لكن « كلايست » عاد وكرر على مسامعه أن الأمر هو أمر أدولف هتلر بالذات ، لا أمر « كلايست » ، ولا أمر « فون روندشتاد » ولا أمر « فون براوشيتش » . فمعركة الفوهرر سائرة على ما يرام ، وهـذا ما أكده نجاح العمليات في هولندا وبلجيكا على أكثر من



مشاة آليّة فرنسيّة في «سيدان» : «اليوم بات على الطائرة أن تحتلّ»



وسط الضباب المشمس، صبيحة يوم جميل من أيّام الربيع : تدفّق زوارق الاحتلال .

صعيد لا سيما لناحية توجيه الاهتمام الفرنسي صوب (لياج) و(روتردام) لإبعاده عن (دينان) و(سيدان) ، وهذا هو أحد أبرز الأهداف التي كان يسعى هتلر الى تحقيقها ، وقد بلغ به الاهتمام بهذا الهدف حد إجبار مديحي البلاغات الرسمية على إبراز هذه الأهداف بقصد التعتيم على زحف المصفحات عبر (الأردين). كان كل هم هتلر

أن تتجمع القوات الفرنسية في بلجيكا بأكبر عدد ممكن ، وهذا ما حصل فعلاً ، وما دفع هتلر الى القول : « لم يكتشف العدو بعد الهدف الأساسي من تحركاتنا ، تحركات مجموعة الجيوش الأولى فهو ما يزال يحشد قوات ضخمة ناحية خط (أنفير ـ نامور)، مهملاً الخط المواجه للمجموعة الأولى » .

في مساء ١٢ أيار لم تكن الظروف ملائمة للتوغل عبر طرق (سيدان) الوعرة . و(غوديريان) طلب التمهل ، ولو لبضع ساعات ، ريثما يستطيع حشد قواته ، ولم يكن رؤساؤه المباشرون ليعارضونه في الرأي، إلا أنهم كانوا أعجز من أن يتحملوا مسؤولية تعديل التوقيت الذي عينه هتلر .

وفيما كانت طائرة (غوديريان) عائدة به الى مركز قيادته تاهت عن خطها فوق المواقع الفرنسية التي أصلتها ناراً حامية ومركزة ، الأمر الذي أوجد قناعة بأن اقتحام موقع كموقع (سيدان) تحميه مثل هذه المدفعية ، يفترض وجود سلاح مضاد فعال ، وهذا ما لم يتأمن (لغوديريان) في اليوم التالي ، إلا أن ما طمأنه هو الوعد الذي قطعه له « شبيرل » قائد الأسطول الجوي الثالث ، الذي كان يحضر حديثه مع « كلايست » بتقديم أكبر عون يمكن أن يحلم به جيش

قبل الساعة الحادية عشرة بقليل كان الجنرال « غرانسار » قائد الفيلق العاشر يخاطب مساعده الجنرال « لافونتين » قائد فرقة المشاة الـ ٥٥ بالقول : « طالما رددت على مسامعك أن أي هجوم ألماني لا بد أن يستغرق إعداده أسابيع أو أشهراً فنحن ما نزال في مرحلة الاتصال ، وأمامكم ٨ أيام بأدنى حد كفترة استراحة » .

لكن تشاؤم هذا المحارب المخضرم لم يكن لها ما يبررها لا سيما وان وعد «شبيرل» قد بدأ يتحقق ابتداء من الساعة الحادية عشرة بالذات .

إذا كان المبدأ الفرنسي يقول ان القتال لا يعنف إلا في الجبهة الرئيسية فمعنى ذلك أن كل ما جرى في الأيام الثلاثة الأخيرة لم يكن سوى تمهيد ، على الرغم من أن الألمان قد وصلوا الى الموز بسرعة مذهلة ، وهذا ما أقلق القيادة الحليفة التي أمرت بنسف جسر الاكلوز ، وهو الجسر الاخير على الموز ، في الساعة التاسعة من مساء اليوم السابق بعد أن تم نسف جسور عديدة أخري ، كما أمرت القيادة بتوجيه بعض الوحدات الاحتياطية العامة نحو سيدان كفوجي المدفعية ٣١٤ و٣٦٩ اللذين انضما الى الفيلق العاشر ، بالاضافة الى زرع المرتفعات الواقعة غربي سيدان بـ ٢٠٠ مدفع تراوح عياراتها بين ٧٥ و١٥٥ . ومن جملة الوحدات الاحتياطية التي التحقت بالفيلق العاشر فرقة المشاة ٧١ التي أحدث

تمركزها العسير نوعاً من الاضطراب في الفرق المجانبة ، بحيث وجدت هذه الفرق نفسها مضطرة الى ضم صفوفها لإتاحة الرماية أمام عناصر الفرقة في المناورة المعدة لما قبل ليل ١٤ - ١٥ والتي ستساهم في تضييق جبهة فرقة المشاة ٥٥ . كانت فرقـــة المشاة ٧١ تشكو من علل صارخة في وحدات مجموعة ب ، وكان عليها أن تحارب على علاتها هذه ، علماً بأن القتال في ميدان أعد سلفاً يؤدي ، ولا شك ، الى تفوق ملموس .

لم يكن مركز قيادة الفرقة في (فونداغو) يبعد أكثر من ١٠ كيلومترات عن الخطوط الأمامية ، وكان قائد اللواء (٥٨ عاماً) الكث الشاربين هنري جان لافونتين يخالف غونسار معتقداً بأن الألمان سيلجأون الى نفس الأسلوب الذي لجأوا اليه في بولونيا وهو أسلوب الهجوم السريع، ومعتقداً كذلك بأن الموز لا يشكل حاجزاً في وجه جيش عبّر نهري البوغ والفيستول وقـــد ترسخ هذا الاعتقاد لديه بعدما شرح له الجنرال موس الملحق العسكري السابق في فرصوفيا حملة بولونيا . وقد دفعه هذا الاعتقاد الى إبلاغ هونتزيغر برأيه حين تسلم قيـــادة فرقته ، لكن هونتزيغر سرعان ما بادره بهز الكتفين قائلاً : بولونيا هي بولونيا ، أما هنا فنحن في فرنسا ، أيها الجنرال !

كانت فرقة المشاة ٥٥ ترابط على مرتفعات الضفة اليسرى لنهر الموز التي تطل أبراج مراقبتها على غابة الأردين . مدعمة بكتيبة رشاشات ، وبعض عناصر مشاة القلاع بعد أن بتر منها الفوج ٢١٣ . وكان الى يسار هذه الفرقة الجيش التاسع التابع للجنرال « كوراب » ، والى يمينها فرقة المشاة ٧١ بقيـــادة الجنرال « بوديه » . أما القوات الألمانية فكانت تتغلغل في غابة « الأردين » عبر طرقات ملتوية مروراً بـ « سان-مونج » و« جيفون ». وفي المدن القريبة كـ «بازيل» و« دونشيري » وشبه جزيرة « ايج ». كانت المراعي تنبسط على فسحات واسعة ، أما مدينة « سيدان » فكان (سكانها) مجموعة من ألسنة اللهب . وجـــاء هجر شبه جزيرة « ايج »، خطوة ناجحة أولاً لصعوبة الدفاع عنها بسبب شكلها البالوني وثانياً من أجل نقل المقاومة الى الترعـة التي تمتد على طول ١٥٠٠ متر . والواقع أن الاهتمام الأبرز كان ينصب على « الموز »، وذلك بتسليط حاجز ناري كثيف على مجراه ، بحيث لا يبقى هناك شبر واحد تخطئه النيران، وقد أنشئت لهذا الغرض خمسون كتلة من الباطون المسلح جهز كل منها بمدفع رشاش ومدفع من عيار ٢٥ أو ٤٧ .

كان القطاع بشكل قوس، وكانت غابة « مارفي » الصغيرة الواقعـــة بين « الموز » و« البار » بمثابة الوتر . لم يكن بلوغه من السهولة، بالاضافة الى أن سفحه الشمالي يوفر لحلقة « سيدان » حقول رماية رائعة . وفي ذلك المكان بالذات تم اختيار نقطة التوقف

أو بالحري خط التوقف، لكن مبدأ الدفاع التقليدي كان يصر على وجوب الاقتراب أكبر قدر ممكن من مجرى الماء، وهو الخط الطبيعي المؤهل لصد تقدم الدبابات .

هذا القطاع بالذات ، قطاع فرقة المشاة ٥٥ التعسة الحظ، هو الذي اختاره الطيران الألماني من دون سائر فرق الجيوش الفرنسية ليكون هدفاً لغاراته في مساء ١٣ أيار ، تلك الغارات التي جاءت تنفيذاً لوعد (شبيرل) والتي شملت جميع أنحاء القطاع ، وقد ترتب على هذا القصف العنيف سحق القوى الأمامية ، والتركيز على المؤخرات ، ومرابض المدفعية ، ومفارق الطرقات ، فضلاً عن نسف بعض السراديب ، وقصف قرى عديدة .

لقد كانت الطائرات الألمانية تعمل دون كلل أو تباطؤ وبشكل مجموعات تضم المجموعة الواحدة منها ٣٠ طائرة ، فتُغير الغارة تلو الغارة قاذفة بقنابل (الشتوكا) التي أرعبت حتى الألمان أنفسهم الذين كانوا يسعون لتضييق الخناق باتجاه (الموز) ، وكادت أن تثير فيهم مشاعر الشفقة ، كما يستدل من كلام الكومندان (فون كيلمانسغ) في الميدان : « لا ريب أن نتيجة هذا القصف مرعبة ! فالمدفعية الفرنسية قد صمتت ! »

غير أن الطيران الفرنسي قام في ١٠ و١١ أيار بطلعات ناجحة الى حد ما إذ استطاعت في ١٣ إسقاط ثلاث طائرات فوق (الموز) وبعد ساعات قليلة استطاعت أن تسقط طائرتين من دورية فاجأتها في الجو مؤلفة من ٨٠ طائرة (مسر شميت) تواكبها ٥٠ قاذفة قنابل ، وكانت هذه الدورية قد أسقطت هي بدورها طائرة فرنسية ، ولكن بسقوط هذه الطائرة توقف الطيران الفرنسي نهائياً عن التحليق .

في ذلك الوقت كان الحر يلهب المهاجمين الذين يحتشدون على طرقات (الأردين) في وهدة (سيدان) ، والعطش يحرق قلوبهم . كانوا ينتظرون الساعة ١٦ ، وهو الموعد النهائي الذي حدده الفوهرر وأصر عليه . وكان هذا الموعد يفترض السرعة الهائلة ، مما دفع بفوج (المانيا الكبرى) المكلف بالدور الأهم والذي كان لا يزال في الأرض البلجيكية على بعد ٤٠ كلم من نقطة انطلاقه، الى قذف رجاله نحو غابة (سيدان) على أن يجتازوا ٧ كيلومترات سيراً على الأقدام حاملين القوارب المطاطية والعتاد على ظهورهم . وكان عليهم أن يجتازوا سفوح (فلووينغ) وسط ألسنة النار التي لا تزال ترتفع في الجو نتيجة القصف المدفعي الفرنسي في اليوم السابق ، وما لبثوا أن أطلوا على (الموز) في الساعة ١٥ ، وهذا يعني أنه بقي أمامهم ساعة واحدة ينبغي لهم أن ينفذوا إحدى أصعب العمليات العسكرية المتمثلة في اجتياز نهر مقابل عدو قوي التحصين ، وفي هذا الصدد عبّر أحد المحاربين الفرنسيين القدامى ،

وهو الكابتن (لوثار جترمان) عن عدم اطمئنانه بالقول : « اننا نحن المحاربين القدامى ندرك ما يتميز به الجيش الفرنسي من تفان وإتقان في التخطيط ، ومع ذلك فلا نشعر بالإطمئنان الكافي، إلا أن ضباطنا وجنودنا الشبان مقتنعون إقتناعاً تاماً بتفوقهم » .

والواقع أن ما حشده (غوديريان) من معدات توافرت لديه ، وما جمعه في الكيلومترين الفاصلين بين (سيدان) وشبه جزيرة (ايج) من مدافع تابعة لفرقة الدبابات الأولى ، أي مدافع مصفحات ، ومدافع ذات تحرك ذاتي ، ومدافع مضادة للطائرات ومدافع مضادة للمصفحات .. ان كل هذا الذي كان يجري تحت أنظار الضباط والجنود الشبان كان يدعم إقتناعهم، ولكن الإعصار الجوي والطيران الألماني شلا حركة المقاومين ، لأن مبدأ : « المدفعية تجتاح، والمشاة يحتلون» قد تبدل مع دخول الطيران ساحة المعركة ، إذ بات هو العنصر الحاسم ، وما عداه لا يعدو كونه عرضياً .

في الساعة ١٦ بالضبط بدأ الزحف . (الموز) تم عبوره في لحظات . لكن نشاط المقاومين لم يخمد كلياً، بل ظلت بعض المواقع تقاوم بشراسة ، وقد تمكن أحدها من (تجميد) المهاجمين بالقرب من قصر (بلفو)، لكن هؤلاء تمكنوا من التسلل وتطويق الحامية والقضاء عليها قضاء كاملاً بواسطة مدفع من عيار ٨٨ . وبعد ثلاث ساعات من الموعد المضروب وصل فوج (المانيا الكبرى) الى الهدف المحدد له وهو المرتفع ٢٤٧ ، ولم يتباطأ في اجتيازه متوغلا في غاب (مارفي) . لكن المقاومة العنيفة التي واجهت فرقة الدبابات العاشرة جنوبي (سيدان) أخرت عبور الليوتنان (همبور) والفيلد (فيل روبرت) التابعين لفوج القناصة رقم ٨٦ ، الى الضفة اليسرى الى الساعة الخامسة ، أي بعد عبور ٤٠ جندياً من نخبة فوج (المانيا الكبرى) بأربعين دقيقة ، وما أن انتقل الخبر الى المراجع الفرنسية حتى أسرع (غوديريان) في العبور باتجاه الضفة اليسرى حيث قابل الليوتنان كولونيل (بالك) مبادراً إياه : « ملاحة التسلية على (الموز) ممنوعة » ..

وعلى صعيد الجانب الفرنسي ، ففور تلقيه نبأ عبور الأربعين المانياً سارع الجنرال (هونتزيغر) الى مغادرة مقر قيادته في (سينوك) التي تبعد ٥٠ كلم عن الجبهة ، قاصداً الى مركز قيادة الفيلق العاشر في (برليير) على بعد ٢٥ كلم. وفي ١٩ انكفأ راجعاً الى (سينوك) حيث قدم له العشاء خدم يلبسون القفازات الناعمة البيضاء .. وهذا يكفي كي يظهر الفارق الكبير بين المفهومين الفرنسي والألماني في القيادة . فالمفهوم الأخير يقضي بأن يكون القائد في مقدمة الجيش ، يستقل طائرة اذا اضطر للرؤية الواضحة ، أو شاحنة مزودة بجهاز

إرسال اذا أراد إصدار الأوامر ، ولا يحجم عن التدخل مباشرة في توجيهه كلما اقتضت الضرورة . أما المفهوم الأول ، وهو مفهوم قديم ، فيقضي بأن يدير القائد معركته عن بعد ، فيكون بذلك قائداً نظرياً لا تتأثر أوامره بظروف المعركة وتطوراتها ، ولعل هذا المفهوم هو ما جعل قيادة (سينوك) تستقبل خبر عبور الأربعين المانيـاً ببرودة دفعت أحدهم الى مخاطبة الجنرال (هونتزيغر) بالقول : « حسناً ! ان ذلك فرصة للحصول على ٤٠ أسيراً » .

ان عبور نهر (الموز)» وبالعدد القليل الذي أشرنا اليه لا يعني في حد ذاته أمراً خطيراً ، لكن الذعر الذي خلفه في صفوف القوات المدافعة أدى الى انهيار معنوي شامل ، والى انهيار جناح الجيش الثاني دفعة واحدة ، وهما الانهياران اللذان كانا مؤشراً لانهيـار الأمة .

لقد انطلق الذعر كالهشيم ابتداء من قرية (بلسون) الصغيرة الهـاجعة في ظل غاب (مارفي) ، والتي لا يتعدى عـــدد سكانها المائة نسمة ، وتضم بعض المزارع التي تنتشر مزابلها على الطرقات ، وكان بعض رجال المدفعية قد تمركز في اهرائها لتسعة أشهر خلت ، وعلى الرغم مما لديهم من مدافع عيار ١٠٥ موجهة نحو منافذ غابة (سيدان) فإنهم قد فقدوا الأمل كليـاً بإمكان إطلاق أي قذيفة على الأعداء . وفقدان الأمل هذا كان يرافقه سأم ينهش فرقاً بكاملها فقد ضباطها طعم القيادة ، كما فقد رجالها نظام الطاعة . أما بالنسبة للجياد فكان الأمر على اسوأ ما يكون ، إذ كانت تموت بأعداد كبيرة دون التوصل الى معرفة السبب في تلك المنطقة الموحلة ، المظلمة ، وذلك الطقس القارس . كان رجال المدفعية ينظرون الى الأمر نظرتهم الى أي شيء خارج عن المألوف ، ولم يفقدوا المعنويات في ١٢ أيار الى أن بدأت طائرات (شتوكا) في اليوم التـالي تغير على البطاريات الأمر الذي اضطرهم الى إخـــلاء مواقعهم والتخلي عن مدافعهم ، والتشتت عبر الغاب . وفيما كان القصف الألماني يشتد كانت القوات البرية الألمانيـــة تتقدم نحو (الموز) بينما كان الجنرال (لافونتين) المتربع في مقر القيادة يتأمل مشهد الدبابات المتقدمة على الهضبة القائمة فوق النهر معللاً نفسه بإمكان القضاء عليها لأنهـا مكشوفة للرمي المدفعي .. ولكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه .. فالمدفعية الفرنسية أصبحت أشبه بقطع الحديد المعد للكسر ، والمهمولة هنا وهناك ، ولكن ذلك لم يمنع بعض البطاريات من العودة الى العمل بعـد زوال العـاصفة ، حيث تمكنت بضعة مدافع من عيار ١٥٥ من تدمير خمس دبابات ألمانية . ويجمع الخبراء العسكريون على أمر مهم وهو لو أن رجال المدفعية عادوا جميعاً الى مواقعهم ، ولموا شتاتهم لكان تغير وجه المعركة ولكان أمكن عزل تلك الفئـة القليلة الطائشة التي عبرت (الموز) دون أن تكون أية دبابة

بعد قد عبرت مع المشاة . ولكن أنى للمذعورين أن يعودوا الى رشدهم ، وأنى للمدفعية الصامتة المهجورة أن تتحرك . لقد كانت طرقات (بلسون - ميزنسيل) ، و (بلسون - شومري) تضج برجال المدفعية التابعين للأفواج ٤٥ و٩٩ و١١٠ و١٤٥ ، و٣١٠ ، والهاربين من جحيم المعركة جارفين في تيارهم جنود المؤخرات فضلاً عن جنود الجر والمرضين وعمال الهاتف . أما في الوادي فكانت المعركة لا تزال محتدمة، وما فتىء بعض المواقع صامداً ، وما برحت شلة من الضباط في مقر القيادة تبدي المقاومة، لكن صورة (الدبابات الألمانية في بلسون!) ألهبت مشاعر الذعر ، وقد بلغ صراخ الجنود مقر الأركان ، وهو بدوره عمم الخبر المفجع ، وفي هذه الأثناء كان بعض ضباط القيادة يحزم حقائبه على عجل ، في حين كانت بعض الأفواج تتخلى عن سلاحها ، وتغادر تحصيناتها علماً بأن أحداً منها لم يصب بشظية واحدة ، وكان من بين هذه الأفواج ما اشتهر بكفاءته كأفواج فرقة المشاة الـ ٧١، ومن بين الضباط الفارين كان هناك ضباط معروفون ببسالتهم إبان الحرب الماضية وسنرى أن أحدهم أقدم فيما بعد على الانتحار دفعاً لعار التخاذل . وقد التبس الأمر على بعض الوحدات الانضباطية ، فظنت نفسها وهي تتراجع مع معداتها وكأنها تنفذ أوامر تكتيكية . وما كاد النهار أن يمسي حتى احتجبت الطائرات التي كانت تزرع الجو أزيزاً ، والأرض قنابل ، وحتى ساد هدوء دراماتيكي على منحدرات غاب (مارفي) . في حين كان الجيش الفرنسي، الذي خرجت وحداته ، ودباباته ومدافعه سالمة ، لا يزال تحت وطأة الصدمة، صدمة الهرب والهزيمة، وأن كل الجهود التي بذلها لم تكن سوى طفرات الموت .

وفي هذا الجو من الكد والانقباض علت بعض الصيحات المستنكرة كما فعل كولونيل الدرك (سوران) الذي صعقته الصدمة علماً بأن رجال الدرك والخيالة قد لعبوا دوراً مهماً في الحرب الأخيرة إذ كانوا ينصبون الحواجز في مؤخرات الجيوش منعاً للهرب وإعادة الهاربين الى ساحة المعركة تحت طائلة المحاكمة في المجلس الحربي . ولكن شتان ما بين حرب الأمس وحرب اليوم ، فالمجلس الحربي الذي كان ثابت الوجود في الحرب الأخيرة تبدد خلال الحرب الحالية ، مع العلم بأن الظروف هذه المرة كانت تستدعي وجوده أكثر من السابق .

ومنذ أن زود الجيش بالمعدات والآليات أصبحت الطريق منطقة عسكرية من الدرجة الأولى ، ومن الواجب مصادرتها وحراستها والمحافظة عليها من أجل تنقلات الجند ، وعربات التموين ، وبالقوة والارهاب اذا اقتضى الأمر ولكن ما حصل كان العكس إذ أبيحت طريق الإنقاذ هذه الى المدنيين الهاربين في عرباتهم الأردينية التي تجرها





إنّ الحـــاضر أشبه بالماضي من الماء بالماء ! هذا الذي يحصل اليوم قد حصل عام ١٨٧٠، وعام ١٩١٤، ولكنّه اليوم أقرب إلى الهجرة الجماعيّـة .

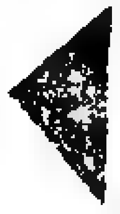
« أضحى الجيش جماعات من الجند منهوكة القوى ، فاقدة العدّة احياناً . وكان الناس يرون إلى هؤلاء الجنود الذين يجرّرون أقدامهم في انهزامهم وهم متجمّعون أحياناً في ما يشبه الزّمر » .

(الكولونيل « دوباردينْ » في كتابه « حملة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ») .

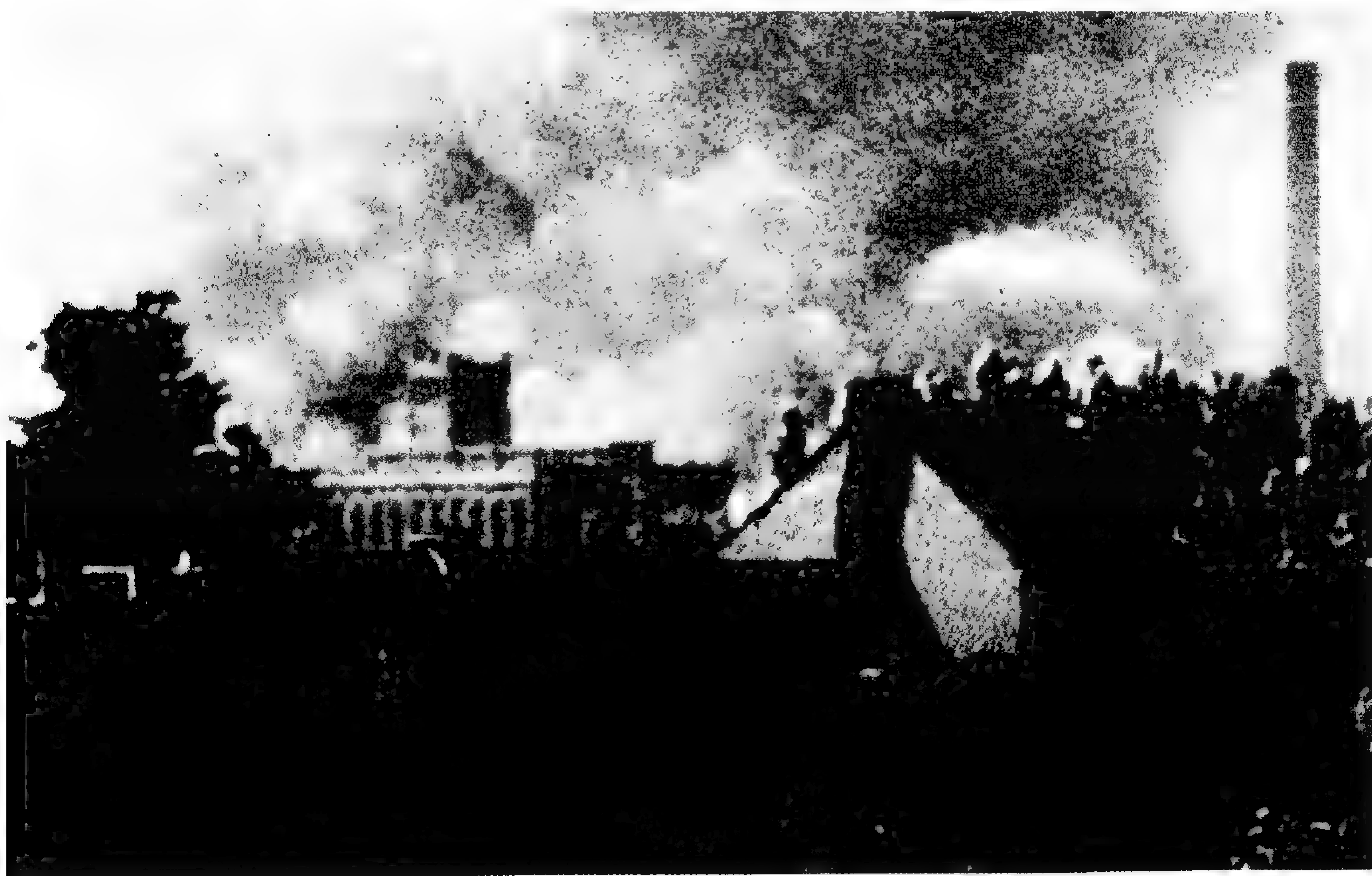


ليست الشجرة سوى ملجإ وهميّ يتّقي به هذا البائس طائرات « شتوكا » !

« سيدان » ، تلك البائسة التي أصابها التاريخ بحدثانه .







"دينان" تحت أقدام رومل

لقد كان (رومل) أسرع من (غوديريان) فبدأت طلائع فرقة دباباته السابعة تصل الى (الموز) في (دينان) منذ الساعة ١٦ من اليوم الثاني عشر ، وكاد الجسر يقع تحت الاحتلال دون أن يمسه ضرر ، لولا تفجره لدى بلوغ المصفحات إليه ، في حين أن (دينان) ، البلدة الصغيرة المتخفية بين الصخور على ضفة النهر اليمنى قد تم الإطباق عليها دون معركة .

وعلى بعد خمسة كيلومترات من هذه القرية ، وفي مجرى النهر بالذات تقوم شريحة مستطيلة من الأرض الحرجية بطول ١١٠٠ متر وعرض ٥٠ متراً ، هي جزيرة (هو) التي يقوم الى جانبها حوض عميق يسببه تباعد الجروف . وكان يصل هذه الجزيرة بالضفة الشرقية ، المؤلفة من منحدرات وعرة وصخور شاهقة العلو ، السد رقم ٥ الذي لم ينسفه الفرنسيون كي لا يؤدي انخفاض مستوى المياه الى نقص في فعالية الدفاع على جبهة (الموز) العليا ، ولم يحصنوه ، بل اكتفوا بوضع الحواجز الشبكية وتركيز رشاش خفيف لمنع الوصول اليه لا أكثر .

وفي الوقت الذي كانت فرقة الدبابات الألمانية السابعة تتقدم كان الجناح الأيسر لجيش (كوراب) يتمركز في الجهة المقابلة ، وهذا الجناح مؤلف من فرقة المشاة الآلية الخامسة ، ومن فرقة المشاة الثامنة عشرة . وخلال هذا الوقت بالذات كانت فرقة المشاة الآلية الأولى قد أصبحت قاب قوسين من مراكزها جنوبي (نامور) ، وفرقة المشاة الثانية كانت تجهد في اجتياز الطرقات ، وكانت عناصر هذه الفرقة من العناصر التي يركن إليها لولا انعدام الحماسة لديهم ، فهي حسب التقارير الرسمية ، عناصر تتحلى بالانضباط والخلقية .

لقد كان على عناصر هذه الفرقة — التي تنوء بأكياسها ! — أن تقطع مسافة ١٠٠ كيلومتر لبلوغ المواقع المقررة لها ، وهي المسافة نفسها التي كان يقتضي على (رومل) اجتيازها بعناصر فرقته الآلية . ومع ذلك فإن (رومل) قد عبر الى بلجيكا منذ الفجر في حين لم تعبر فرقة المشاة الفرنسية الثامنة عشرة الحدود إلا مع نهاية النهار ، فضلاً عن أن قسماً غير يسير من عناصرها ظل متخلفاً

عن الصفوف لحصولهم على الإجازات المتراكمة منذ فصل الشتاء . حتى الجنرال (دوفي) نفسه ، لم ينضم الى فرقته إلا في الغد ، وقد أمضى اليوم بكامله في منزله الكائن في (بيزانسون) .

وسط التناقض المؤلم كان كل شيء يوحي بأن المعركة ستكون قاسية وسريعة ، ومع ذلك فإن المسؤولين في الأركان العامة الفرنسية، رغم أنها تضم الجنرال (دومنيك)، صاحب خطة تموين معركة (فردان) بواسطة شاحنات « الطريق المقدسة » (أطلق هذا الاسم على طريق التموين الوحيدة من «بار ـ لو ـ دوك » الى « فردان » عام ١٩١٦) ، قد أهملوا ، خلال فصل الشتاء ، التخطيط من أجل تسريع حملة بلجيكا بالشكل الذي يتناسب مع مقتضيات العصر، وأوضح دليل على ذلك الأمر الذي كان يوجب على فرقة المشاة الثامنة عشرة أن تقطع يومياً بين ٣٠ و٤٠ كيلومتراً في اليوم، عبر الطريق البري، لبلوغ ساحة المعركة في ثلاثة أيام .

ومما زاد الطين بلة أن الطيران قد عطل محطة التموين في (هيرسون) مما جعل التموين غاية في الصعوبة ، وأعاد القطارات النظامية فارغة، وقد دفع ذلك بالجنود الى استخدام أساليب ملتوية في الحصول على أودهم ، ثم سرعان ما تبين للقادة أن التقدم في مثل هذه البقاع المنبسطة الجرداء مستحيل دون غطاء جوي ، ومدفعية مضادة للطائرات ذات فعالية ، كما تبين لهم أن الجيش الذي أعد للحرب الراكدة ، لا يمكنه خوض معركة متحركة، ولكن هذه (الاكتشافات) جاءت متأخرة .

كان على الجيش الفرنسي أن يلهي العدو ريثما يتمركز المشاة على (الموز) ، وقد أرسلت لهذه الغاية فرقتا خيالة خفيفتان تتألفان من فبيسفاء من الوحدات الهزيلة ، ثم ألحقت بهما كتيبتان من فوجي المشاة ٦٦ و٧٧، من أجل التغطية والدعم ، وبعد ذلك وصل الجنرال (دوفي) لتواجهه الصعوبات على اختلافها . فإذا ما تمركز في المنحدر غاب قعر الوادي الوعر عن أنظار مراقبيه، ولما عاد بإمكان أسلحته الأوتوماتيكية أن تصيب سطح الماء. أما اذا تمركز على الضفاف، فإنه سيكون، حتماً ، مكشوفاً لنار العدو. وبعد دراسة على الطبيعة تبين أن إحكام القبضة على القطاع ، ومراقبة مسالك الضفة اليمنى ، وتوجيه النار بشكل دائم على المنعرجات المتعددة ، تتطلب إمكانات تفوق إمكانات فرقة مشاة عادية ، على اعتبار أن الغابات الكثيفة ، والمنحدرات الصعبة ، والتعرجات الكثيرة التي كانت تجعل من وهدة (الموز) موقعاً دفاعياً ممتازاً ، في الظاهر ، إنما كانت تخدم المهاجم أكثر مما تخدم المدافع. ولعل أبرز صعوبة واجهت (دوفي) هي كون العدو قد وصل الى المكان ، قبل أربعة أيام ، مما كان يقدره الفرنسيون ، وحيال

ذلك لم يعد بإمكان (دوفي) أن يعطي جنوده فترة من الراحة ، كما كان يأمل . كما لم يعد لديه متسع من الوقت لوضع مخطط القتال .

لقد سقطت كل حسابات (دوفي) ، وكل رهاناته على أعمال التدمير البلجيكية ، وقتال قناصة (الأردين) في تراجعهم ، وعمليات التأخير التي ولجت بها فرقتا الخيالة الخفيفتان . فلا أعمال التدمير البلجيكية كانت فعالة ، والقناصة كانوا في مكان آخر، أما الفرقتان الخفيفتان فولتا الإدبار ، كل ذلك وضع الجنرال (دوفي) أمام خيار صعب يقضي بأن يحمي بكتيبتيه الناقصتين جبهة تترامى على مسافة ٢٠ كيلومتراً الى أن تصل الى (الموز) كتائبه السبع الأخرى الخائرة القوى . وما كان من (دوفي) إلا أن يطلب العون ، فجاءه عن طريق الاحتفاظ بفرقة الخيالة الأولى الخفيفة في القطاع لتسهم في أعمال الدفاع عنه ، وعن طريق إعارته كتيبة واحدة تابعة لفرقة المشاة الآلية الخامسة . ومع حلول مساء اليوم الثاني عشر بدأ التنظيم يأخذ طريقه الى الورق خلف ركام الجسور : ففي الجنوب تمركزت بعض سريات القناصة وخيالة الهجوم . وفي الوسط ، وفي مقابل (دينان) بالتحديد ، تمركزت كتيبتا الفوجين ٧٧ و ٦٦ . وفي الشمال الكتيبة المعارة والفرقة الثانية من فوج المشاة ٣٩ .

وفي الوقت الذي كان الجنرال (دوفي) يستسلم لقسط من الراحة بعد أن اعتقد بأنه أدى قسطه من الواجب ، كان (رومل)،



ما من أحد يعرف حقّ المعرفة ما جرى في « سيدان » ، إذ أنّ الذي يعرفه الناس هو أنّ هنالك خيانة قد حصلت فأورثت ضياعاً وهلاكاً

في الجهة المقابلة ، يأخذ قسطه هو الآخر من الراحة عند المخافر الأمامية . وما أن أزفت الساعة الرابعة من صباح الثالث عشر من أيار حتى تسلل عبر طريق ضيق يرافقه ضابط واحد ، وراح ، عبر حرج صغير ، يراقب رماة الفوج السابع وهم يهمون باجتياز (الموز) على عوامات مطاطية ، ولكن نيران الفرنسيين كانت تنهال بغزارة على هذه العوامات وتوقع الإصابات الى حد أن أحد الجرحى الألمان قد جرفه الماء نحو قائده وما لبث أن فارق الحياة تحت أنظاره.
وفي محاولة لمواجهة الستار الناري الفرنسي أمر رومل بإحراق بعض المنازل لإخفاء ستار من الدخان ، ثم ما لبث أن اعتلى إحدى المصفحات وراح يحث على الإسراع في الهجوم، وقد استطاعت سرية من النزول الى الضفة اليسرى في «لف» حاملة جرحاها، لكن كثافة النار الفرنسية جمدتها في مكانها وألحقت بها خسائر فادحة . ولولا وجود جزيرة « هو » لكان يمكن أن تكون بداية النهار سيئة . أما في الناحية الفرنسية فقد تصدع السد وبدأت المياه في التسرب .

وما حصل بالتفصيل هو أن حافة السد رقم ٥ لم تكن محروسة باعتبار أن كتيبة فوج المشاة التاسع والثلاثين لم تكن قد تمركزت في مواقعها بعد. والحقيقة أن أحداً لم يتنبه لهذه الثغرة باستثناء كتيبة الدراجات النارية الألمانية السابعة . وما أن بسط الليل جناحيه حتى كان أفراد هذه الكتيبة يعبرون « الموز » فرادى على حافة السد ، وتشير بعض الروايات الى أن أحد الفرنسيين قد تنبه لهذا التسلل (في حين تنفي روايات أخرى) ، ويعطون دليلاً على ذلك الأمر بإطلاق نيران المدفعية لصد هذا التسلل ، والواقع أنه قد سقطت على جنوبي الجزيرة ١٢٠٠ قذيفة ، لكنها لم تؤد الى النتيجة المتوخاة ، باعتبار أن المهاجمين كانوا قد تسلقوا ، مع مطلع النهار ، منحدرات الحوض الحرجية ، وبددوا بعض الفصائل المتناثرة ، وأطبقوا على قرية « غرانج » ، وتوغلوا في غابة « سورانفو » الصغيرة ، واستمروا في التوغل غرباً في ظل مساندة من مجموعات من الرماة، وفي ضعف العمليات الجوية ، وفي غياب المقاومة الفعالة .

وفي محاولة منه لتطهير الضفة اليسرى عزم الجنرال « دوفي » على شن ثلاث هجمات معاكسة متتالية . لكن عناصر الهجومين الأولين لم تتوفر لها فرصة التجمع ؛ بينما انطلق الهجوم الثالث متأخراً ، وكان انطلاقه عند الساعة ٢٠، وقد اشتركت فيه كتيبة من فوج المشاة التاسع والثلاثين ، وسرية دبابات تدعمها ثلاث مجموعات من المدفعية . وكانت الغاية من هذا الهجوم هي القضاء على عدو لم يتسن له بعد الحصول على آلياته اللازمة ، لكن « رومل » ، الذي كان قد عبر حافة السد في جزيرة « هو »،

والذي كان يعيش المعركة بكل جوارحه ، سارع الى إعطاء الأوامر بتوجيه نيران آلياته كافة نحو دبابات « دوفي » ، لكن هذه النيران ، على كثافتها ، لم تحل دون تقدم الدبابات الفرنسية التي استطاعت الوصول الى « الموز » ولكن دون أن يلحق بها المشاة لسبب بقي طي الكتمان ، وحيال هذا الوضع الحرج رأى المتقدمون أن خير ما يفعلوه هو التراجع ، وهكذا ظل رأس جسر « هو » في أيدي الألمان ، بل أكثر من ذلك فقد أقامت فرقة الدبابات الألمانية السادسة التابعة لفيلق « زراينهارت » رأس جسر ثالث بين « جيفي » و« ميزيير » وهو مكان يتميز بالوعورة والوحشة ، وسط أحراج كثيفة للغاية .

بدأ راكبوا الدراجات النارية الألمان يصلون تباعاً عن طريق « جيفي » وهم يتقدمون سيارات الرشاشات ، ويتعرضون لنيران المدفعية الفرنسية البعيدة المدى . ثم هبطوا الوادي حيث سيطروا على بلدة « مونترمي » الصناعية في حين راحت الطائرات الألمانية تقصف السرية الوحيدة المتمركزة وراء النهر ، والمؤلفة بالتساوي من جنود « مدغشقر » وجنود فرنسيين ، والتابعة للواء الثاني والأربعين الذي يضم رماة المستعمرات ، فتشل حركتها وتتيح للجنود الألمان اجتياز النهر فوق الجسر المدمر جزئياً، ثم تمركزهم في منعطف الوادي



كبار قوّاد الجيش الفرنسيّ في شارع من شوارع « فردان » .
ويبدو الجنرال « جيرو » إلى اليسار قرب الجنرال « هونتزيغر » .

بعد أن أبادوا حاميته .

لم تكن الأنباء التي تلقتها مراكز القيادات العامة ذلك النهار بحجم الأحداث الجارية . وحده القائد « كوراب » اغتـاظ من عدم تنفيذ هجوم «هو» المضاد . أما «هونتزيغر» المتمركز في «سينوك» فلم يكن القلق شديداً لديه ، وفي مقر قيادة «جورج» في « فرتي» انتظروا الساعـة ٢٣،٤٥ للتأكد من مدى « جدية الحوادث الحاصلة في نواحي سيدان» ، أما مقر قيادة « غاملان » في « فنسين » فقد



تلقى النبأ على الشكل نفسه مع إضافة عبارة أخرى وهي : « أننا هادئون ومطمئنون هنا » . ولكن أي هدوء كان هذا الهدوء وأي اطمئنان كان !؟ إذ ما عتم الأمر حتى تبددت بعض مجموعات الجند ، فاتجه سير المعركة وجهة لا تتناسب مع الآمال والأمنيات .. وتسهيلاً لمهمة « بيّوت » قرر « جورج» أن يضع «هونتزيغر» تحت أمرته المباشرة باعتبار أنه لم يكن قلقاً على مجموعة الجيوش الأولى ، رغم أنها بدأت تشعر بأن طرق مواصلاتها مهددة فعلاً ، بل كان قلقاً على خط «ماجينو» وقد أوكل الى «هونتزيغر» أمر الدفاع عن هذا الخط ومنع احتلاله مهما اقتضى ذلك من تضحيات وصمود ، خاتماً تعليماته اليه بالقول : « أن مصير الحرب متوقف على هذا العمل » .

لقد تبين أن هذا الهاجس كان في غير موضعه، لأن الالتفاف الذي يخشى «جورج» منه سيموت حتماً ، ولكن في زمن آخر ، وبشكل يختلف عما تصوره . وفي الوقت الراهن لم يكن خط ماجينو ليستأثر باهتمام القيادة الألمانية أكثر مما تستأثر « رواندا أوروندي » به ! وهكذا انحصرت أعمال القائد الأعلى في عمليات الاحتياطي ، لكن هذا الاحتياطي هزيل لسبب واحد هو أن التحرك باتجاه نهر « ديل » قد استوعب الجيش السابع بأكمله ، فضلاً عن معظم



في ١٠ أيّار تدفقت سيول الرجال والدبّابات عبر طرق « الأردين » إلى وهدة « سيدان » .

الفرق السريعة ، دون أن يبقى في متناول « جورج » سوى ١٧ فرقة مشاة ، إضافة الى الفرق المدرعة الثلاث ، كان عليه أن يواجه بها مفاجأة تكتيكية وتقنية وستراتيجية، كما كان عليه أن يحاول استعادة التوازن على الأقل ، وهذا ، دون ريب ، يصعب على أي قائد أن يأتيه بمفرده .

ومن جهة أخرى لم تكن التدابير المتخذة في ليل ١٣ - ١٤ متناسبة مع خطورة ما جرى في « سيدان » . ولم يكن الجيش التاسع بما هو عليه من هزال ، والقوات المتصدية له بما هي عليه من قوة ليسببا قلقاً

طريق المصفحات الألمانية من ١٠ إلى ٢٤ أيار

مواقع الجيوش الحليفة
١٢ أيار
١٨ أيار
٢٥ أيار
٢٧ أيار

الجبهة في ٥ حزيران

٢٧ - ٤ حزيران معقل «دنكرك»

هولندا

فرقة المصفحات التاسعة

الفيلق المدرع السادس عشر فرقتا المصفحات الثالثة والرابعة «هوبنر»

الفيلق المدرع التاسع والثلاثون فرقتا المصفحات الخامسة والسابعة «شميت - هوث»

الفيلق المدرع الواحد والأربعون فرقتا المصفحات السادسة والثامنة «راينهارت»

الفيلق المدرع التاسع عشر فرق المصفحات الأولى والثانية والعاشرة «غودريان»

اللوكسمبورغ

الجيش العاشر «التمايز»

خط فيغاند

الجيش السابع «فرير»

هجوم «ديغول» المعاكس

الجيش السادس «توشون»

الجيش الرابع «روكان»

الجيش الثاني «هونتزيغر»

الجيش الثالث «كونديه»

الجيش البلجيكي

البلجيكيون

البريطانيون

تراجع الانكليز

الجيش الفرنسي الاول

الجيش التاسع

يذكر حتى الساعة ، علماً بأن خطر حادثة « سيدان » على خط « ماجينو » أحدث اضطراباً بالغاً . لقد انضم الى « هونتزيغر » كل من الفيلق الواحد والعشرين ، وفرقة المشاة السادسة، وفرقة المشاة الآلية الثالثة، والفرقة المدرعة السريعة الثالثة ، وراحت القيادة العليا تحرك كل هذه الوحدات الكبرى، وكانت تعتبر أن « كوراب » لم يصبه ما أصابه ، وأنه يعتمد على فرقتين احتياطيتين هما فرقة المشاة الثالثة والخمسين ، وفرقة المشاة الشمالية الرابعة ، وهي إحدى أبرز الفرق الفرنسية، وقد بلغ الأمر بـ « بيوت» أن وجه كلامه لـ « كوراب » قائلاً : « أنا لست قلقاً على مصيرك ، وإنما أنا قلق على مصير هونتزيغر » .

لقد كانت الفرق المدرعة الثلاث المكلفة باعادة التنسيق الكامل بين الجبهات تشكل النواة الصلبة لقوى الاحتياط العامة . فالفرقتان الأوليان اللتان ألحقتا بالجيش الأول ، كانت مهمتها الدفاع عن ثغرة (جمبلو) ، وكانت إحداهما ، وهي فرقة فيلق الاحتياط الأول ، قد وصلت الى مواقعها المحددة في (شارلروا) بعد أن تحركت منذ الأمس . أما الثانية ، وهي فرقة فيلق الاحتياط الثانية ؛ فكانت سيئة المصير ، إذ ما أن تحركت من (شالون) حتى وجدت نفسها مشتتة بسبب قواعد النقل المعتمدة ، والمثيرة للاستغراب . وقد اعتمد في ذلك طريقتان ، الأولى النقل بواسطة السكك الحديدية للمجنزرات ، والثانية النقل على الطرقات بواسطة الشاحنات الصهاريج للعناصر ذات العجلات ، وقد استوحيت هذه الازدواجية في النقل من حرب ١٤ ـ ١٨ حين كان الطيران في أول عهده ، وحين كان اتصال الجبهات وبطء العمليات الهجومية يؤمنان سلامة المؤخرات. أما في حرب ١٩٤٠ فكل القواعد تغيرت. إذ أصبح كل ما يتحرك على الأرض هدفاً محتماً للطائرات الألمانية .

وحتى مساء الثالث عشر لم تتلق سوى الفرقة المدرعة الثالثة الأمر بشن هجوم مضاد لسد ثغرة « سيدان » ولم يكن قد مرّ على ولادة هذه الفرقة سوى خمسين يوماً فقط . أما بالنسبة للفرقتين المدرعتين السريعتين الأولى والثانية فلم يتغير شيء حتى التاريخ المشار اليه في حين أن الوحدات المصفحة الكبرى التي شهدت مخاضاً عسيراً ، لم تكن جاهزة ، ولا كاملة العدة . فعدد الدبابات الفرنسية كان أقل بكثير من عدد الدبابات الألمانية (١٢٠ مقابل ٣٢٤ كحد أقصى) ، وهي من وزن أخف ، وبعضها مزود بمدافع يعود عهدها الى الحرب السابقة ، مع العلم بأن المصانع الحربية لم تكن قد سلمت بعد المدافع ذات قوة الخرق الكبيرة التي تتيح للدبابة مواجهة نظيرتها . هذا الى جانب تلف أجهزة الإرسال وتعطل دور الراديو بسبب الحظر التافه على الإرسال اللاسلكي ، فضلاً عن النقص في المدفعية المضادة

للطائرات ، وفساد وسائل التموين . أضف الى ذلك كله عدم وجود تعاون أو تنسيق بين سلاح الطيران والفرق المدرعة السريعة، وإذعان الوحدات إذعاناً تاماً لرؤساء بعيدين بعد الثرى عن الثريا عن معركة المصفحات ؛ ولقواد يغلب على تصرفاتهم الارتجال والعشوائية ، والبرودة ، والتقليد الفاشل ، أمثال (بروكار) و(بروشي) و (برونو)، في حين كان القواد الألمان، أمثال (رومل) و (غوديريان) يتصفون ببعد النظر ، والخبرة ، والحيوية ، والمبادرة .

والحقيقة أن المسؤولين الفرنسيين قد ارتكبوا خطأين فادحين ، أحدهما عندما أنشأوا الفرق المدرعة السريعة ، بشكل مناقض تماماً لما كان يطالب به أمثال (ديغول) و (استيان) و(هيرينغ) ، وكان هؤلاء يطالبون بإنشاء فيلق مدرع ذي إرادة مستقلة ، ويتصف بالانسجام

مواقع الجيوش جنوبي « سيدان » وغربيّها في ١٣ و١٤ أيّار ١٩٤٠ .

وسرعة الحركة ، وقيادة ذات رؤيا ، والخطأ الثاني هو عندما رفض المسؤولون تكوينها في الوقت المناسب . ويؤكد الخبراء العسكريون لو أن كتائب الدبابات التابعة للفرق المدرعة التي أنشئت متأخرة وغير صالحة ، بقيت في نطاق المشاة ، كما كان عام ١٩١٨ ، لما جاءت النتائج اسوأ حالاً على الأقل ..

وقد أطل يوم الرابع عشر من أيار على جلبة في المعسكر الألمـــاني حيث كانت

دبّابة تنفجر لدى اصطدامها بلغم .



كانسو الألغام الألمان على أهبة الاستعداد لمواجهة إحدى الغارات الجوّية .

الأرتال الألمانية تعبر (الأردين) على ضوء المصابيح ، وحيث كان (غوديريان) و(رومل) و(شال) و(ستيفر) على ضفة (الموز) يشرفون بأنفسهم ، وبعيون لا تعرف النعاس ، وأعصاب لا تعرف الهدوء ، على إقامة الجسور التي ستعبر فوقها الدبابات في فجر اليوم التالي الى الضفة الثانية .

على الجبهة الفرنسية كانت كل الدلائل توحي بالخوف والاضطراب . فرقة المشاة الافريقية الشمالية الموجودة في بلجيكا توجهت الى ميدان القتال عبر طريق يزدحم بالهاربين ، الأمر الذي سبب لعناصر الفرقة المدرعة السريعة الثالثة ، المعروفين بنظرهم الثاقب وخبرتهم ، صعوبة فائقة في شق طريقهم . وقد حاولت شرطة الجيش التابعة للفرقة وقف هذه الموجة من التشتت والضياع ، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، خصوصاً عندما جوبهت بتشكيلة مدفعية بضباطها وجنودها كانت تتقدم فلول الفارين . ومما زاد الطين بلة أن الخيول لم تكن تجر المدافع لأن رباطات الجر الأمامية كانت قد تقطعت .. فيا لعار تلك الليلة على فرنسا والفرنسيين !

واذا عدنا الى وثائق القيادة العامة لوجدنا أن أحداث يوم ١٣ أيار مدونة فيها على الشكل الآتي : من « نامور » الى « ميزيير » (حيث الجيش التاسع) استطاع العدو إقامة رأسي جسر صغيرين ، أولهما في (هو) شمالي



هذه الصورة التي تمثل « هتلر » وسماعة التلفون إلى أذنه نشرتها أجهزة الدعاية والإعلام في أيار ١٩٤٠ . وكانت الغاية من نشرها أن تطبع في الأذهان صورة الفوهرر وهو يقود جيوشه بنفسه .

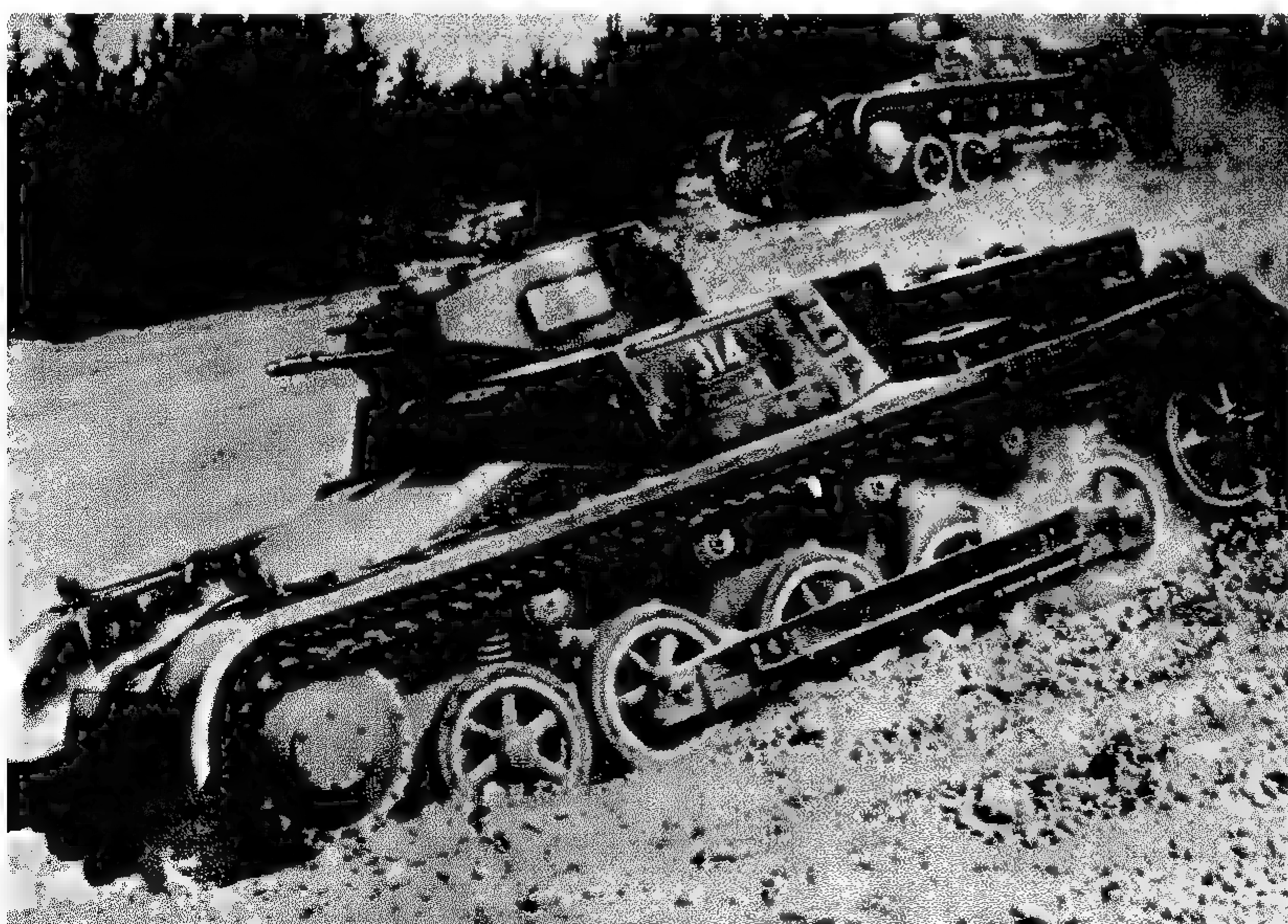


(دينان) ، وثانيهما في (مونترمي) . والجسر الثالث الأكثر أهمية الذي أقامه العدو فكان في غاب (مارفي) بالقرب من « سيدان » (حيث يرابط الجيش الثاني) . وقد صدرت الأوامر بشن هجومين مضادين لإلقاء العدو في (الموز) ... »

زحف مصفّحات « رومل » في منطقة الجيش الفرنسيّ التاسع .

حواجز المانية مضادة للدبابات على نهر « الرين » بين « لوتربورغ » والحدود السويسرية .




314

الدبابات "خيالات صحراء"



مناورات عامّة تهدف إلى تركيز الهجوم المقبل باتّجاه الغرب . أمّا سلاح الدبّابات الألمانيّ الكاسح فقد أتى « ثورة في عالم المصفّحات » في مفهوم الفنّ الحربيّ .

حرب الحركة التي تنبّأ بها « شارل ديغول » .

ما أن أشرقت شمس ١٤ أيار حتى كان الجيش الهولندي يلقي سلاحه تحت ضغط الغارات العنيفة التي أمر بها (كسلرنغ) على (روتردام) . الجنرال (جورج) من جهته استدعى فرق الجيش التاسع السريعة . الأمر الذي حال دون نجاح محاولة إنقاذ (أنفير). وفي قطاع البلجيكيين والانكليز لم تكن المعركة بالعنف الذي كانت عليه المعركة في ثغرة (جمبلو) ، الأمر الذي اضطر الفرق الخفيفة الآلية للانكفاء خلف خطوط الجيش الأول لتنظيم المقاومة .

وعلى الطرف الآخر من الجبهة وقفت الجيوش الثامنة والخامسة والرابعة بلا حراك، ودون أن تطلق ولو رصاصة واحدة. وحده الجيش الثالث واجه هجوماً ضعيفاً اضطره لإخلاء بعض مواقعه بهدف (عصر) جبهته

قدر الإمكان . أما الجناح الأيسر للجيش الثاني، المتلطي وراء رأس جسر (مونميدي) فقد كان خالي البال . لقد اقتصرت المأساة على (الموز) ، وبالتحديد في مكان يمتد بين جدول (الأيموئانس) الصغير وأسوار (تامور) القديمة .

ان ردة الفعل الفرنسية تجسدت في ثلاثة أوامر وجهتها القيادة . الأمر الأول يقضي بإنشاء جبهة دفاعية على ترعة (الأردين) وعلى نهر (بار) مفتوحة على الشرق . والأمر الثاني يقضي بشن هجوم مضاد باتجاه الشمال إنطلاقاً من الغابة الصغيرة المسماة (جبل الله) . والأمر الثالث يقضي باستخدام الطائرات في قصف المعابر التي أنشأها الألمان على (الموز) قصفاً عنيفاً وحاسماً . وكانت الغاية من هذه الأوامر الثلاثة، التي لا تتجزأ، صد الزحف بالدرجة الأولى ، وتعمية الثغرة التي فتحت بالأمس ، ثم القضاء على العناصر التي اجتازت النهر والحؤول دون تثبيت أقدام الألمان على الضفة الشمالية .

صحيح ان هذه الخطة كانت ممتازة ، ولكن شتان ما بين النظريات والتطبيق ، خصوصاً، وأن الخصم يدرك حقيقة الموقف، وقد تأكد ذلك عندما عقد (غوديريان) العزم على الانتقال بسرعة الى ما وراء (الموز) والسير نحو (اميان) وتفشيل ردة الفعل الفرنسية ، وبالفعل سرعان ما عكف (غوديريان) على تنظيم عبور فرقة الدبابات الأولى بشكل خاطف ، وتوجيه الأوامر ، لرئيسها الجنرال (كيرشنر) بشن هجوم سريع وفوري باتجاه الغرب مباشرة في حين كانت فرقة الدبابات العاشرة تتجه نحو الجنوب بعد أن عبرت مصفحاتها (الموز) من ناحية (سيدان) العليا ، وكانت الغاية من اتجاهها على هذا الشكل مقابل (جبل الله) و(ستون) هي حماية جناح رفيقتها . وعندما أدرك (غوديريان) بأن فرقة الدبابات الثانية قد تأخرت على (السوموا) هبّ اليها على جناح السرعة دون أن تكون لديه فكرة واضحة عن المهمة التي سيوكلها الى هذه الوحدة .

وبموجب أوامر القيادة الفرنسية الثلاث الآنفة الذكر قامت تشكيلات الطيران الفرنسي ـ البريطاني المشتركة بقصف الجسور قصفاً عنيفاً ، لكن مدفعية الكولونيل (فون هيبل) المضادة للطائرات أبدت نجاحاً لاقى الإعجاب الشديد إذ تمكنت في ذلك النهار الملتهب من إسقاط مائة طائرة ، فضلاً عن حؤولها دون تمكين الطائرات المغيرة من إصابة أهدافها، ووسط هذا الجو المحموم لحق قائد جيوش (روندشتاد) الهرم بـ (غوديريان) على مدخل جسر (دونشيري) ، وما أن أقبل عليه حتى بادره بالقول : « أهكذا تفعلون كل يوم يا (غوديريان) ؟ » فأجابه هذا الأخير : « أجل ، يا سيدي الجنرال .. » !

لقد كان على (غوديريان) بعد انصراف القائد الأعلى ، أن يتدبر أمر فرقة الدبابات الثانية ، وأمر قائدها (فايل) الذي جاءه لتلقي الأوامر . أي مهمة ستوكل الى هذه الفرقة المصفحة ؟ ألمساندة الجبهة الغربيـــة للتعجيل في انتصار فرقـــة الدبابات الأولى التي احتلت لتوها (شيميري) وركزت على مهاجمة الترعـــة ؟ أم لدعم فرقة الدبابات العاشرة في الجنوب في مواجهـة الدبابات الفرنسية التي ذكـر أنها تحتشد في منطقة (جبل الله) ؟ ولم يقطع حيرة (غوديريان) هذه إلا كلام الميجور (فنك) رداً على طلب مشورته : « لتكن ضربتكم قاضية ، إياكم والضرب الخفيف ! » . وقـد فعلت هذه الكلمات فعلها في نفس (غوديريان) فرجحت



ليوبولد ملك بلجيكا .

فيها كفة الإقدام مما دفعه الى توجيه الأوامر الى فرقة الدبابات الثانية بالاتجاه نحو الغرب بقيادة قائدها (فايل) .

ويشاء القدر أن تبلغ الفرقـة الفرنسية المدرعة السريعة الثالثة مواقعها منذ السادسة صباحاً ، سالمة من أي أذى ، وقد حالت الأرض المتعرجة التي واجهت مجموعـــات الاستكشـــاف التي تقدمت حتى أطراف (جبل الله) دون رؤية قرية (شيميري) التي احتلتها فرقـة الدبابات الألمانية الأولى وهي تدير ظهرها للفرقة المدرعة المذكورة. وأمام الاسترخاء الألماني ، كان بإمكان أي قائد فرنسي أن يغتنم الفرصة السانحة ويطبق على خصم لم يلتئم شمله بعد ، معتمـــداً في ذلك على نجدات من فرقـة المشاة الفرنسية الآلية الثالثة . ولكن النظرية العسكرية الفرنسية التي تعتمـد على وجود القواد في المؤخرة حالت دون الاستفادة من هـــذه الفرصة الذهبية . فـ (بروكار) قائد الفرقة المدرعة السريعة الثالثة كان لا يزال في (بوتيك ارمواز) التي تبعد ١٢ كيلومتراً عن (جبل الله) ، في حوار جـــدلي مع رئيسه ، قائد الفيلق الواحـــد والعشرين الجنرال (فلافينيي) ففي حين كان هذا الأخير يلح في الهجوم الفوري والسريـع كان (بروكار) يصر على موقفه بضرورة إعطائه مهلة عشر ساعات لاستكمال العناصر اللازمة للهجوم ، وأخيراً غلبت إرادة (بروكار) رغم التهديد والوعيـد .. ولكن الساعات

العشر التي أصر عليها كانت كافية لتدفق المصفحات الألمانية عبر (الموز) بأعداد كبيرة.

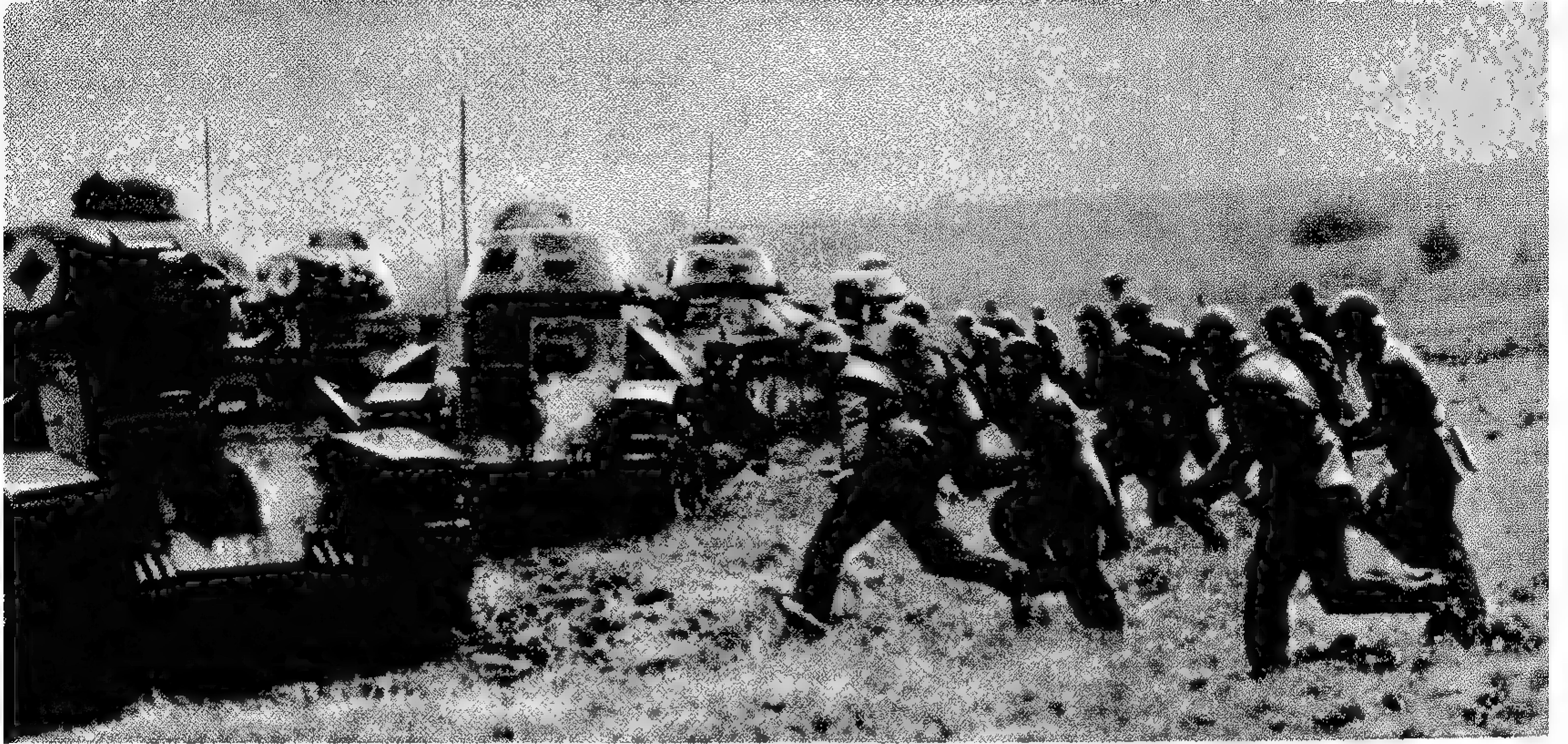
وأمام هذه النتيجة المرة التي فرضها عناد (بروكار) أمر (فلافينيي) بوقف تقدم الفرقة المدرعة الثالثة، وحولها الى خط دفاعي يمتد على طول ٢٠ كيلومتراً يبدأ من مستنقع (بايرون) وينتهي عند (ستون). ثم جزأ الفرقة أجزاء مختلطة، بحيث تحولت الدبابات من (وسائل نصر) الى (خيالات صحراء) تنتصب على طرقات الغابة .

ومن جراء هذا التدبير انتهى دور الجيش الثاني في معركة (الموز) ، وصار بإمكانه حصر اهتمامه بحماية خط (ماجينو) حتى شهر حزيران ، خصوصاً بعد أن وجه الألمان ضغط دباباتهم نحو اتجاه آخر . وما أن هدأت طبول الحرب حتى كان قائد الجيش الثاني يمثل أمام لجنة تحقيق بتهمة التلكؤ وعدم الانضباطية .

وبالانتقال الى نهر (البار) نرى أن القتال كان عنيفاً ، وقد تمكن الألمان من فتح ثغرة عبر فرقتي المشاة الخامسة والخمسين والواحدة والسبعين، وعبثاً حاول الفرنسيون وقف توسيع هذه الثغرة . أما الزاوية التي يؤلفها نهرا (الموز) و(البار) فكانت لا تزال تحت سيطرة فرقة المشاة الفرنسية الـ ١٤٨ بينما كان فرسان فرقة الخيالة الخفيفة الخامسة ولواء الخيالة الثالث ، ولواء فرسان شمالي أفريقيا الثالث مسؤولين عن حماية الترعة ، ومهتمين بإعادة الصلة مع الجيش الثاني في ناحية قرية (لاكاسين) . ولدى وصول فرقة المشاة الثالثة والخمسين من معسكر (سيسون) للتدريب ، بقيادة الجنرال (أتشبير يغاري) أمرت للحال بالتوجه الى المنطقة الحرجية القائمة بين نهري (البار) و(الفانس) ، ومما زاد في تشوشها وانهيار قواها السيل من الأوامر والأوامر المضادة الذي جوبهت به لدى وصولها الى المواقع المقررة لها ، مما دفع كتائبها الى الاسترخاء في غمرة الظلام ، في منطقة تبلغ مساحتها ٤٠٠ كيلومتر مربع ، ولعل من الانصاف القول ان بعض هذه الوحدة الكبيرة التي تعتبر آخر احتياطي للجيش التاسع ، قد أبلى البلاء الحسن فيما بعد ، في حين أن البعض الآخر أقعدته الصدمة الأولى .

في يوم ١٤ أيار كانت فرقتا الدبابات الألمانيتان الأولى والثانية تتقدم وتجبر الوحدات الفرنسية القليلة على التراجع حتى أعماق المنطقة الحرجية ، وعلى سفح (شارلومان) وفي قرى (مالمي) و(فاندريس) و(أوميكور) . وبوصول (غوديريان) بالقرب من (الفانس) وجد أن طريق (اميان) ليست مفتوحة كلياً أمامه ، خصوصاً وأن الفرنسيين قد أنشأوا خط مقاومة جديد في تلك المنطقة .

ولم يكن هذا الخط بكافٍ وحده ،



« ليس للدبّابة أن تشكل خطراً وهي التي تجري بلا هـوادة كاليهـودي التائه » .
(الجنرال شوفينو)

فقد ارتؤي تدعيم هـذه الجبهة التي ينصب عليها الضغط الألماني الآتي مع الزاحفين من (سيدان) . ولكن أنى يأتي هـذا الدعم ووحدات الاحتياط العام قد أمرت بالتوجه الى مناطق أخرى ، في حين أن فرقة المشاة الرابعة عشرة كانت وحيدة بقيـادة (دو لاتردي تاسينيي) . وفي حين أن جيش (توشون) السادس ، المولج بإعادة الصلة بين الجيشين الثاني والتاسع ، كان مجرد سلطة قيادية لا أكثر . وهكذا لم يكن من طريقة للدعم سوى توجيه كتيبة من فوج المشاة الـ ١٥٢ نحو (الفانس) ، دون أن يعول عليها ، أو تبنى عليها كبار الآمال .

والأمل الوحيد الذي كان ممكناً في تلك الأثناء هو الاعتماد على الفرقة المدرعة السريعة الثانية التي كانت تتميز بالفعالية والسرعـة القتالية ، وقد أمرت هذه الفرقة ، بالفعل في الساعة التاسعة من صباح اليوم نفسه من الانسلاخ عن الجيش الأول ، وضمهـا الى الجيش التاسع ، ثم أمرت مرة ثانية بالتوجه الى (سينيي لابي). وكانت الخطة المرسومة لها لا غبار عليها ، وهي تقضي بأن تظهر فجـأة وسط دبابات (غوديريان) وتلتحم معها التحاماً لم تخلق ، هي أساساً ، إلا له. كما تقضي الخطة بعرقلة الزحف الألماني واتاحة الوقت اللازم أمام القيادة الفرنسية لإعادة تنظيم القوات وتغيير مسار المعركة . ولكن تبين ، للمرة الثانية ، وربمـا الأكثر ، بأن التطبيق على الأرض هو غير الرسم على الورق.

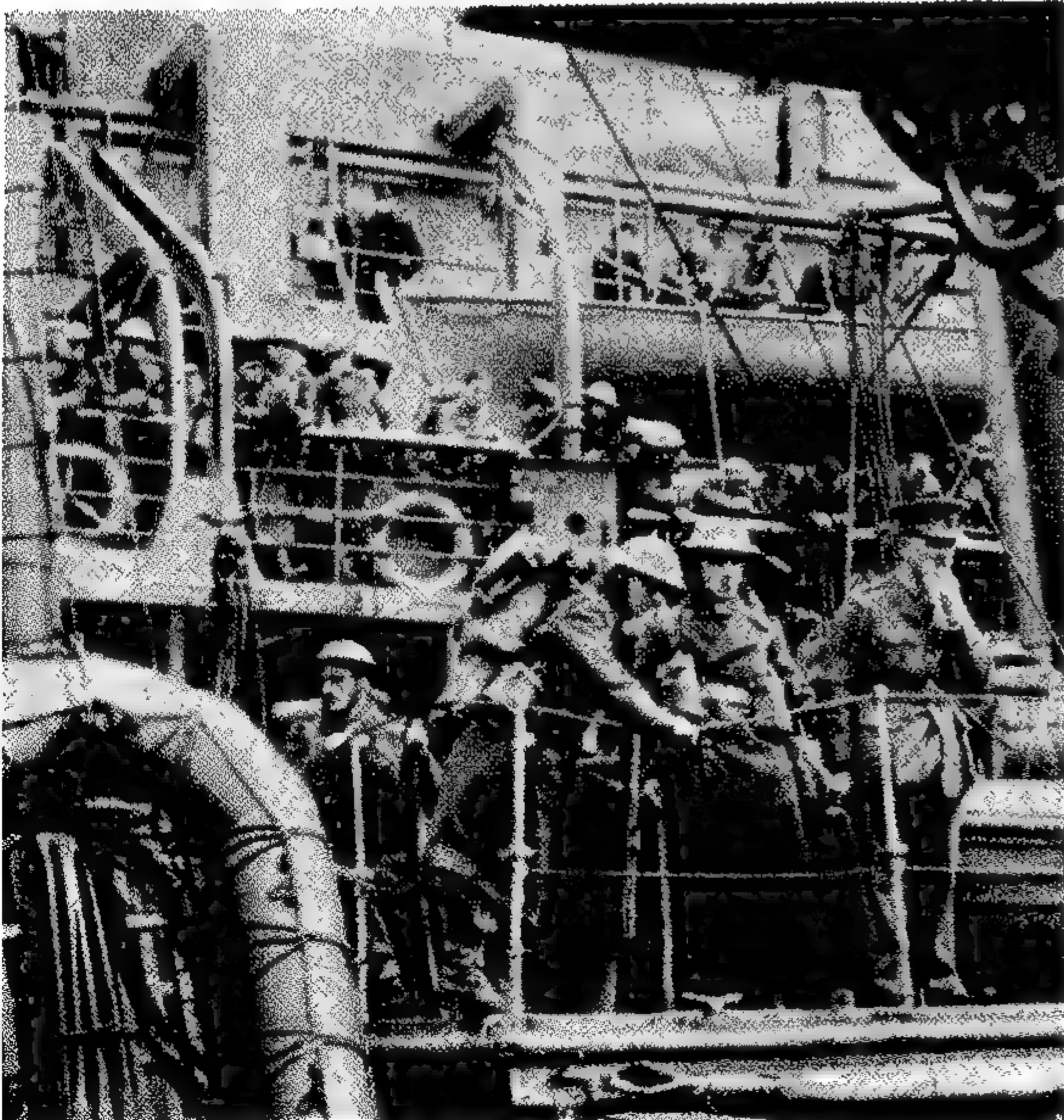
وهذا ما تأكد عندما بوشر بنقل الدبابات التابعة للفرقة المدرعة السريعة الثانية ، ولسوء الحظ ، كانت أرصفة السكك الحديدية مفقودة ، فأنزلت الدبابات في (هيرسون) على بعد ٦٠ كيلومتراً من منطقة التجمع المحددة للفرقة ، الأمر الذي أدى الى بلبلتها ، وتشتتها عبر الطرقات والمعابر الحرجية ، وبوصولها الى (سينيي) بعد أن نال منها التعب كل منال ، أيقنت أنها تقترب من العدو ، لا من الوحدات الفرنسية المقاتلة التي تنتظر نجدتها على أحر من الجمر ، وكان من شأن تيهان هذه الفرقة النشطة أن يحرم القوات الفرنسية من الوقود اللازم لتحركها، وأن ينهي أسطورة الفرقة، وهذا ما اعترف به قائدها نفسه (بروستي) عندما قال : « بإمكاني القول أن الفرقة المدرعة الثانية قد زالت من الوجود ظهر يوم ١٤ أيار . وما تبقى منها ليست سوى وحدات متفرقة راح القادة المحليون يتنازعونها .. »

وكان هناك أمل آخر بإمكان تحسين الموقف الفرنسي، وهذا الأمل يتعلق بالعدو، هذه المرة ، وهو الخلاف الذي نشب بين (كلايست)، قائد المجموعة المصفحة الألمانية، و(غوديريان) بسبب الأمر الذي أعطي لـ (غوديريان) كي يتوقف عند رأس جسر (سيدان) والتحصن ريثما تنضم فرق المشاة الى الدبابات ، فرفض هذا الأخير أوامر (كلايست) ورفع الأمر الى مقر القيادة مهدداً من خطر ضياع كل المكاسب ، فكان جواب (كلايست) له ، بأنه ، اذا استمر في تقدمه العشوائي عبر سهول شمالي فرنسا فستصيبه الكارثة ، بالتأكيد ، ويتعرض لهجوم خلفي يمزق قواته شر تمزيق. ولكن (غوديريان) أبى أن يأخذ بهذا التعليل ، وعاد الى فيلقه يتابع الزحف ، مما دفع بـ (كلايست) الى إعفائه من منصبه ، فعلم (هتلر) بالأمر ، وما كان منه الى أن أعاده للتو . وكانت الساعات الثلاث التي استغرقها هذا الخلاف هي الأمل الممكن للقوات الفرنسية . ولكن تبأ لقصر النظر!

وفيما استمرت المقاومة على (الفانس) وحيدة طوال اليوم الخامس عشر ، كانت الدبابات الألمانية تجهد في تعقب المدافعين ، تساندها طائرات (شتوكا) في قصف مركز لجيوب المقاومة . ففي (لاهورن) استمرت كتيبة الفرسان الجزائريين الثانية ، وكتيبة الفرسان المغاربة الثانية ، اللتان لا تمتلكان سوى مدفع واحد من عيار ٢٥ ، تدافعان حتى الساعة السابعة عشرة . وفي « شانيي » ، التي تلتهمها ألسنة اللهب ، استمرت كتيبة القناصة الثامنة في المقاومة حتى الساعة التاسعة عشرة. وفي «بالونس» و« بو فيلمون » بقيت المقاومة حتى منتصف الليل . بل أكثر من ذلك ، فقد تمكنت فلول فوج المشاة الـ ١٥٢ من فتح ثغرة في

خطوط العدو استطاعت أن تتسلل منها للحاق بالكتيبة المدرعة الحادية عشرة التي ظلت تمتشق سلاحها في وجه الزاحفين. والحقيقة، كم كان التناقض واضحاً وصارخاً بين ما يجري على « الفانس » ، وما يجري على « الموز » فهنا تلكؤ وانهزام ، وهناك مقاومة وتشبث واستشهاد .

وما أن بزغت شمس السادس عشر حتى استأنف « غودبريان » طريقه عبر الثغرة التي أحدثها قبلاً ، وبخاصة بعد أن قضى على كل مقاومة منظمة . وكان الزحف الألماني سريعاً بحيث بلغت سرعته ٨٠ كيلومتراً في الساعة ، وقد أتاحت لهم هذه السرعة الإطباق على فلول عديدة من الهاربين، وسحقهم تحت « جنازير » الدبابات بعد نزع أسلحتهم منهم ، وإرسال بعضهم الى أماكن الأسر . ومنذ تلك الفترة تحولت الحرب بالنسبة للألمان الى سياحة عسكرية، فكانوا يتنقلون فوق دباباتهم وهم مكشوفو الصدور ويعزفون الموسيقى تعبيراً عن نشوة النصر التي تخدر أعماق أعماق قلوبهم. وبعد مضي ربع قرن على تلك الأحداث ، كنت تجد من عاصرها يحدثك عنها بكثير من الاعتزاز والفخار ويقول لك أن الألمان لم يعرفوا رفاهية كتلك التي عاشوها بكل جوارحهم عام ١٩٤٠ . ولكن منطق التاريخ هو هو ، فلا بد بعد كل طلوع من نزول، وكذلك لا بد بعد كل رفاهية من تعاسة.



الجلاء عن « نامسوس » : سفينة فرنسيّة مكتظّة بالجنود الانكليز والفرنسيّين تستعدّ للإقلاع إلى « انكلترا » .



القناصة الفرنسيون

إنهم هنا وكأنهم في بلادهم : ثلج ، وبرد ، وشجيرات يعلوها الجليد ، وقاذورات مترامية الأطراف تتكسر في أرجائها أصداء الطلقات النارية ...



الجنرال « فيغان » خارجاً من « الإيليزيه » .

الجيش التاسع يتفتت

يوم الرابع عشر من أيار كان يوماً غريباً على (الموز) ، شمالي (سيدان) . كانت المصفحات تبلغ النهر على دفعات . وما أن تحط الفرقة رحالها هناك حتى تشن هجومها حيثما تستطيع وكيفما تستطيع . يستقل رجالها القوارب المطاطية ، أو يرتمون على ألواح خشبية فوق الماء، أو على رزم القش، أو يسبح منهم من يجيد السباحة. ثمة قطاعات كثيرة ظل الهدوء سيداً فيها ، خصوصاً قطاع فرقة المشاة الفرنسية السادسة المتمركزة الى جانبي (فومي) . أما القطاعات الأخرى فقد تمكنت الدبابات الألمانية من اقتحامها ، وإحداث ثغرات ضيقة فيها يساعدها في

ذلك قصف جوي عنيف . وعلى الرغم من عبور فرقة الدبابات الخامسة (الموز) في (ايفوار) ضمن قطاع فرقة المشاة الآلية الخامسة الفرنسية ، وعلى الرغم كذلك من عبور فرقة الدبابات السادسة في (شوز) بالقرب من (جيفي) في قطاع فرقة المشاة الثانية والعشرين ، فإن الفرنسيين ، الذين كانوا يتوقعون هجوماً عنيفاً و(مدروساً كفاية)، تمكنوا من تصديع الجبهة بضربات مرتجلة متتالية .

وعندما حاول (رومل) في صباح اليوم التالي أن يستأنف القتال عند رأس الجسر الذي أقامه عجز عن نقل أكثر من ١٥ دبابة الى الضفة الشرقية ، وكل ما كان بإمكانه أن يفعله هو أن يقوم بعملية إلهاء عند حوض (هو) ريثما تصله النجدات . ومن حسن حظه أن ردة الفعل الفرنسية كانت مرتجلة ومتقطعة ، بحيث أن العديد من الوحدات الفرنسية التي كانت تبلغ ساحة القتال ، كانت منهكة القوى فيسهل تشتيتها. وأكثر من ذلك ، فعندما وصلت سريتا المصفحات (ه ٣٥). المرسلتان للقيام بالهجوم المضاد الذي أوعز به أمس للمرة الثانية ، ولم تلقيا أي أثر لجيش المشاة الذي يفترض فيه أن تكون الى جانبه ، عادت أدراجها ، ثم استخدمت من جديد (خيالات صحراء) لحماية الطريق بين (فيلينفيل)، و(دينان) !

وأمام هذا التضعضع الفرنسي كان الضغط الألماني يشتد ، لا سيما وأن النجدات كانت قد بدأت تصل الى (رومل) تباعاً فالكولونيل (فون بسمارك) ، قائد فوج الرماة السابع احتل (أونهيه) ، وسرعان ما هب الكولونيل (روثنبورغ) قائد فوج الدبابات ٢٥ ، لدعمه . وهنا حصلت حادثة كادت أن تودي بحياة (رومل) الشجاع إذ بينما كان يستقل دبابة (ب ز . ك ٣) أصابتها قذيفة فتدهورت ، ولكن (رومل) تمكن من الخروج منها زحفاً بعد أن أصابته شظية في خده . وفي هذا الوقت بالذات



ملات الطائرات الألمانيـــة السماء زئيراً ثم أفرغت جام غضبها على طريق (دينان ـ فيليبفيل) المزدحمة بعربات المدفعية فأحدثت ذعراً هائلاً بين الجيـاد المقرونة فأفلتت من أعنتها ، وراحت تهيم في كل الأرجاء .

ومرة أخرى يتعرض (روميل) للخطر الداهم. والخطر هذه المرة من فرقة المصفحات الفرنسية الأولى التي كانت تتقدم بسرعة بعد أن أمرت في أثنـــاء الليل بمساندة الجيش التاسع في (فلورين) . وكانت المهمة الموكلة اليها إلقاء المصفحات الألمانيـة في (الموز) الذي عبرته . ولم تكن المسافة (٣٠ كلم) التي تفصل فرقة المصفحات الفرنسية الأولى عن هدفها بذات بال ، ولو أن قائد الدبابات (برونو) كان من المدرسة العسكرية الحديثة لأمكنه، بواسطة عنصر المفاجأة ، من ترجيح كفة المعركة التي لم تكن واضحة النتائج بعد. ولكن لسؤ الحظ ، سؤ حظ (برونو) ، وسؤ حظ القوات الفرنسية ، أن هذا القائد كان يؤمن كسائر زملائه من العسكريين القدامى، بأن أي هجوم معاكس ينبغي أن يدرس ملياً، وفي مقر القيادة بالذات . وعلى هذا الأساس راح يبحث عن الجنرال (مارتان) قائد الفيلق الحادي عشر ليضع نفسه تحت أمرته ، كما راح يبحث عن هـاتف الجنرال (كوراب) ليرجوه تعديل أوامر (مارتان)، ومرة ثانية راح يبحث عن هذا الأخير الذي كان قد غادر مركز القيادة في (فلورين) الى جهة مجهولة . وفيما هو على هذا الانشغال الهامشي وصلت كتائب الدبابات التابعـة له الى النقطة المرسومة لها على قسط كبير من كمال العتـاد ، وقوة المعنويات . أما الشيء الوحيـــد الذي كانت تشكو منه هو قلة الوقود في خزاناتها ، والغريب في الأمر أن أحداً لم يهتد الى مراكز الشاحنات الصهاريج، لا خلال المعركة، ولا بعدها رغم التحقيقات التي فتحت حول هذا الموضوع . والأغرب من ذلك هو كيف أن قائـــداً يأمر فرق المصفحات بشن هجوم دون أن يؤمن الوقود اللازم .

لم ينفك (برونو) عن البحث عن (مارتان) عبثـاً رغم حلول الظلام . كان رجـاله على اطمئنان ، ولذلك فقد استسلم بعضهم للنوم عند أقدام الدبابات المتخفية في الغابات . وفيما كانت جلبـة المعركة تميل الى الخفوت كان بعض قادة الوحـدات يهتدون الى وقود (مدني) رغـــم أن (القوانين المقدسة) كانت تحظر على الدبابات استعمال غير وقود الطائرات ، بينما كان الضباط الذين أرسـلوا للحصول على الوقود يعودون بخفي حنين . وفي هذا الجو المشحون بأزمة الوقود شن (روميل) هجومـه الصاعق ، واستطاع أن يسجل نصراً مبيناً على الرغم من أنه كان يواجه ٧ آلاف رجل من نخبة القوات الفرنسية و٥ آلاف طن من الفولاذ !

الساعة التاسعة عشرة كانت ساعة رهيبة

بالنسبة لقائد الفيلق ، الذي كان يتلقى الأخبار السيئة ، بأعصاب متلفة للغاية . فالثغرات التي أحدثها الألمان مزقت الوحدات الفرنسية. ففرقة المشاة الثامنة عشرة أصابها التفكك ، والفرقة الثانية والعشرون أسلم عناصرها أرجلهم للريح مقتفين آثار رئيسهم. والمؤخرات أشلاء هنا وهناك : عربات مدفعية محطمة ، سيارات إسعاف متعطلة ، وعناصر تحث الخطى في الاتجاه العكسي . وفي هذا الجو من الهزيمة المنكرة لم ير (مارتان) بدأ ، لإنقاذ فيلقه، إلا الإدبار، وبالفعل ما لبث أن أصدر أوامره بالتراجع الى خط (فلورين ـ فيليبفيل ـ مارينبورغ)، فكان هذا التراجع بمثابة الضربة القاضية إذ لو تشبث المقاتلون بالأرض ، وفيهم من كان يفعل ذلك أو مؤهلاً لأن يفعل ذلك ، لكان ذلك الفرصة الوحيدة لإنقاذ ما تبقى من الفوج الحادي عشر .. ولكن هذا هو منطق الحرب : فمن يخطىء أكثر ينهزم أكثر . والأخطاء الفرنسية قد كلفت غالياً إذ أبيدت فرقتا المشاة الثامنة عشرة والثانية والعشرون ، كما أبيدت في (سيدان) بالأمس القريب الفرقتان الخامسة والخمسون والواحدة والسبعون .. وكم كان طعم الهزيمة مراً عندما عاد الجنرال (مارتان) الى باريس ليقول للمسؤولين أنه هو الوحيد الحي الباقي من أصل فرقة قوامها ١٥ ألف رجل ، وقد بلغ الأمر ببعض القواد حد الانتحار غسلاً للعار ، كما فعل (بوفه) قائد الفوج الثاني ،



مثلا ، أو كـ (تييري درخبليو) ، و (أوجيرو) ، قائد القوات الجوية الذي كان لانتحاره قصة يجدر أن تروى ، إذ ما أن فقد آخر طائرة له حتى انضم الى المحاربين واستشهد في الدفاع عن مركز بلدية (الكاتلة) والبندقية في يده .

لقد أحدث تراجع الفيلق الحادي عشر سخطاً عارماً في مقر قيادة الجيش التاسع في (فرفان) ، فتبادل القواد الكبار الكلمات القاسية ، وكانت أعنف المشادات الهاتفية تلك التي حصلت بين (كوراب)



جنود ألمان يحطمون حاجزاً من حواجز الحدود

و(بيّوت) اتهم فيها هذا الأخير (كوراب) محملا إياه مسؤولية خسارة خط (الموز) ، لكن (كوراب) لم يسكت على التهمة ، فكان جوابه قاسياً ، وقد حل في اليوم التالي محل (جيرو) .

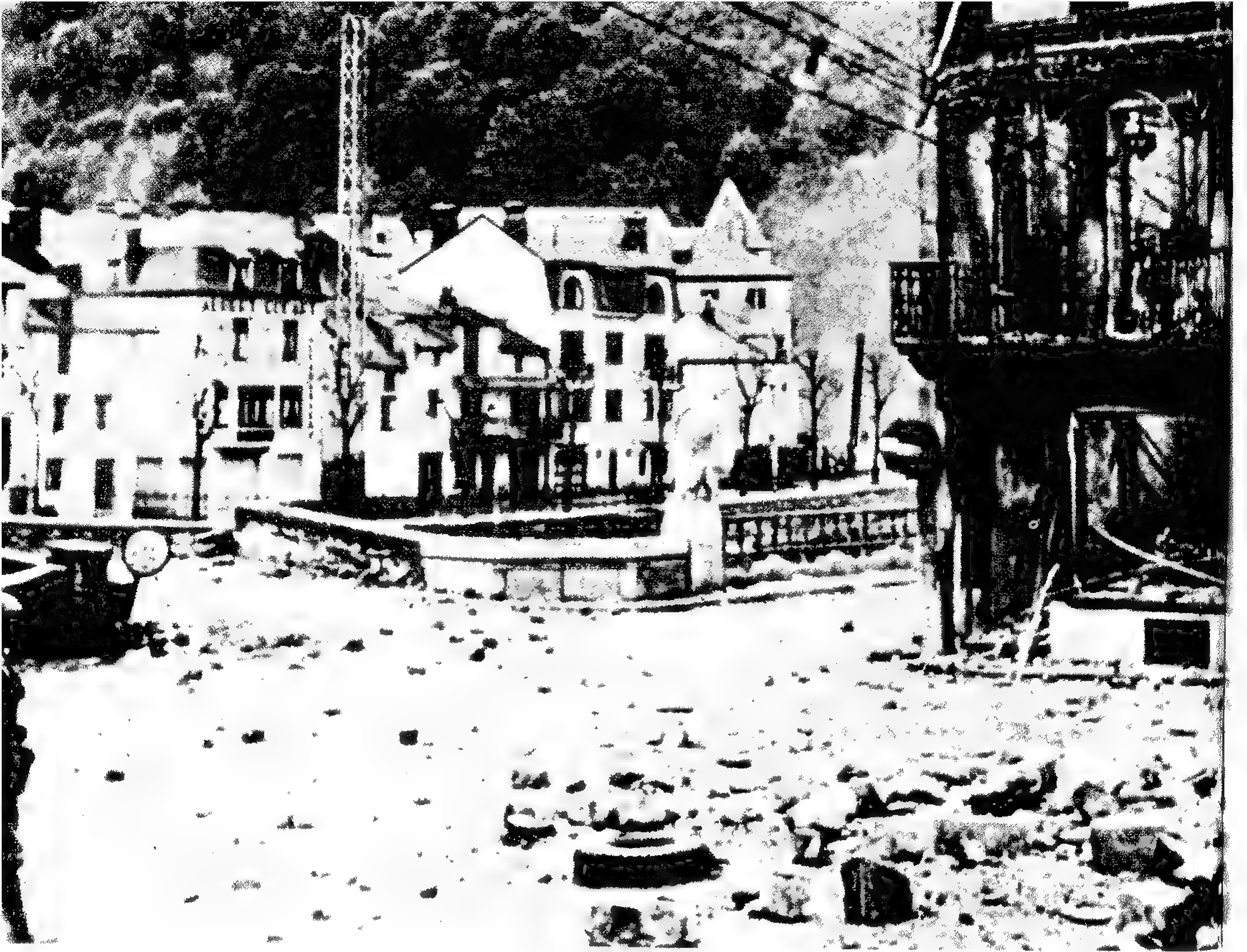
ولو أن (كوراب) و (بيّوت) عرفا بأنهما سيفعلان ما فعله (مارتان) لما كانا اكتفيا بالتنديد به دون النظر الى أسباب الهزيمة في العمق. ففي الساعة الثانية والنصف من يوم ١٥ أيار كانت الأوامر الصادرة الى الجيش التاسع تقضي بالتراجع حتى «مارسينل» ، وهي إحدى ضواحي « شارلروا » ، و« كليرفونتين » ، و « مارينبورغ » ، و« روكروا » ، و « سينيي لابيي » على أن يكون الجند في هذا الخط مستعدين للقتال حتى الرمق الأخير . ولكن الأوامر ليست دائماً قابلة للتنفيذ ، خصوصاً لمن كان في وضع الجيش التاسع ، المشتت ، المضعضع ، الذي كان يصعب عليه جداً التراجع بشكل منتظم ، ففرقة المشاة الآلية الخامسة عادت الى باريس بواسطة الشاحنات ، وفرقة المصفحات الخفيفة الأولى التي أقعدتها عن

العمل حاجتها الى الوقود انقرضت تماماً ، وفرقة المشاة الواحـدة والستون لم يبق لها أثر يذكر ، وفرقة المشاة الافريقية الشمالية الرابعة لم تر بدأ من العودة أدراجهـا مساء أمس ، وقد أصاب التعب منها الصميم . أما المقاومة في « فيليبفيل » ، و« كليرفونتين » فكانت مقاومة لا أهمية لهـا ، الأمر الذي دفع بـ « رومل » الى مهاجمتها شخصيـاً والسيطرة عليها ، وكلما كان ينبري أحد جيوب المقاومة للتصدي ، كان يواجه بشراسة كلية ويقضي عليه بشكل حاسم . وفي « فيليبفيل » جمع « رومل » الضبـاط المستسلمين الفرنسيين ، وعندما كانوا يستأذنونه الاحتفاظ بخدامهم ، أو استرجـاع عربات المؤن كان يشيح بنظره عنهم بهزء وسخرية. وهنا لا بد من تسجيل ظاهرة جديدة ، وهي وضع طـائرات « شتوكا » للمرة الأولى في تصرف فرقة الدبابات السابعـة ، وما من شك في أن هذه الطائرات كان لها دور بارز في تسريع الزحف الألماني بسرعة تبلغ ٦٠ كيلومتراً في الساعة .

والمفجع أكثر من كل ذلك أن تكون مراكز القيادة الفرنسية تتلقى في يوم الهزيمة ، ١٥ أيار ، « الأخبار المطمئنة » فمكتب « جورج » مثلا ينقل الى مكتب «غاملان» تقريراً زاخراً بالتفاؤل : « لا جديد يذكر . . تسلل بسيط في « ميزيير شارلفيـل » . . ترتيب أوضاع في « سيدان » . يبدو أن الزحف الألماني قد صدّ ، وأن الجنود الألمان مصابون بالاعياء حسبما يشير اليه الأسرى . . » . وحتى أخبـار جبهة « فرفين » التي يتولاها « كوراب » كانت « مطمئنة نوعـاً ما » : الفيلقان يتراجعان « بنظـام » ويتمركزان على خط التوقف . وفي جبهـة « لافرتي — سو — جوار » كانت الأخبـار التي تصل « توحي بالثقة » .

لقد كانت القيادة الفرنسية تعتقد أن القوات الألمانية ستتوقف عن الزحف ، بعد تلك الجهود الضخمة التي بذلتها منذ ١٠ أيار ، من أجل إعادة تنظيم وحداتهـا ومواصلاتها ريثما تصل المدفعية ، ولكن العقلية الفرنسية كانت في واد ، والعقلية الألمانية في واد آخر.

من المؤكد أن القواد الكبار كانوا يجهلون تماماً حقيقة الوضع ، وهذا ما أكده نائب رئيس أركان الجيش التاسع في تصريحاته . ولدى عودة أحد ضباط « غاملان » من « فنسين » أبلغ القيادة : « ان النهـار كان خالياً خاوياً . . » والحقيقة أن مسألة اختراق الجبهـــة النهائي لم يكشف عنه إلا الساعة الحادية عشرة من اليوم السادس عشر ، أي مرور ٢٤ ساعة على الهزيمة ، وقد تم ذلك على يد أحد الضباط الذي أبلغ القيادة هاتفياً بأن العدو يتهافت من كل فج وصوب . وفيما كان هـذا الضابط ينقل خبر الاختراق الى القيادة ، كانت معلومات أخرى تعزو التراجع



في « الأردين » : جنديّ ألمانيّ يقف بأطلال إحدى المدن .

الفرنسي الى أمر عسكري أصدره الكابتن « دو فولونج » ، ولكن هـذا الكابتن ، الذي أجري البحث عنه لإعدامه ، كان رجلا وهمياً .

في مساء ١٥ أيار وجه « جيرو » الذي حل محل « كوراب » أوامره بقسوة بالغة تقضي بأن تكون المقاومة في كل مكان ، وحتى في مراكز قيادة الجنرالات ، وحظر على هؤلاء التراجع تحت أي ظرف كان .

وقد وطد هو عزمه على توجيه المعركة بعد أن انتقل الى مستوى ضباط الكتائب . وبالفعل لم يتلكأ عن ذلك لكنه ما لبث أن استسلم كجندي عادي .

وقبل استسلامه جاء « فيرون » ، نائب رئيس الأركان الى مقر القيادة ليقول لقائد الجيش التاسع الجديد أن المصفحات الألمانية دخلت الى « مونكورنيه » الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتراً من « فرفين » ، في منتصف

الطريق بين « الموز » و« الواز » ، فما كان من « جيرو » إلا أن تفجر غضباً ، واعتبر ذلك دساً من فعل طابور خامس .. وحرم على أي كان التحدث بهذا الخبر ، لأنه لا يجوز التحدث عن الهزيمة والقتال لا يزال دائراً على « البار » ، على بعد ١٥ كيلومتراً من « سيدان » ، خصوصاً وأن الجيش الذي يقاتل جيش جديد ، هو الجيش السادس بقيادة الجنرال « توشون » .

لم ينفع تصدي «جيرو» لما اعتبره إشاعة ودساً . فلقد كانت الاشاعة حقيقة . كل ما تمكن الجيش السادس من فعله هو وقف الدبابات الألمانية لفترة وجيزة في ضواحي « مونترمي » ، لكن الألمان ما لبثوا أن تمكنوا من إحداث الثغرة التي انطلقوا منها لاحتلال المدينة الصغيرة الذي أدى الى انهيار جبهة « الموز » النهائي . وفي ساحة البلدة كان عرس النصر ومأتم الأسر ، فالعرس ألماني لا سيا بعد أن وصل « غوديريان » الى البلدة قادماً من «سيدان» للقاء زميله «كمبف». والمأتم فرنسي حيث خرج مئات الأسرى من بيوتهم وقد بدت على وجوههم علامات الذهول ومرارة الهزيمة والهوان .

لقد أصبح بالإمكان القول أن يوم ١٥ أيار هو محطة تاريخية مهمة . وأنه تحول ذو شأن في مجرى الحرب . وبعد هذا اليوم التاريخي تأكد للجميع الفارق بين الجيشين الفرنسي والألماني ، وهو فارق قل من كان يقتنع به . وبسبب هذا الفارق بالذات بين طبيعة الجيشين لم يكن هناك أي أمل بإنقاذ الجيش الفرنسي عام ١٩٤٠ . صحيح أن الحظ ، وشجاعة الجنود ، وحدس القيادة تلعب دورها في المعارك ، ولكنها تبقى ثانوية أمام طبيعة الجيش المميزة . فصحيح لو أن « غام-لان » لم يدخل الى بلجيكا ، ولو أن « جورج » استمات في الدفاع عن « الأردين » لتبدلت ظروف المعركة ومدتها، ولربما كان الألمان تكبدوا خسائر أكبر ،



أطلال مدينة "نامسوس"

ولكن النتيجة ، لكانت حتماً هي هي . وصحيح أيضاً لو أن « برونو » و« بروكار» كانا ملهمين لاستطاعا تسجيل صفحات مجيدة في التاريخ الفرنسي ، في ساحات « سيدان» و(دينان) ولكن مما لا شك فيه أن التفوق العملي للدبابات والطائرات الألمانيـــة هو الذي رجح كفة الجيش الألماني ، وكان لا بد لهذا الجيش أن ينتصر مهما جابهه من قوى، ومهما صادفه من صعوبات .

لقـــد تأكد في ١٥ أيار ، أن الجيش الفرنسي لا بد سائر نحو الكارثـــة ، وأن الأرض الفرنسية التي سيحميها ستصبح عرضة للغزو والاحتلال، فلا هو قادر على الصمود، فكيف بالحري الرد على الحركة الألمانيـــة الهائلة السرعة والدقة .

لقد كان الزاحفون الألمان في تلك الفترة قد بلغوا (لوزارك) بعد أن انهار الفيلق الخامس عشر في (مورانج) ، وسبقه انهيار الفيلق العـــاشر في (سيدان) ، ومباغتة المقاتلين ذوي السراويل الحمراء بالمدفعيـــة الثقيلة، فضلاً عن مباغتة طائرات (شتوكا) لجنود ١٩٤٠. وفي خضم كل هذه الانهيارات كان القواد ينهارون الواحد تلو الآخر . فقد جرد (جوفر) كلا من (كوراب) و(مارتان) و(بروكار) وغيرهم الكثيرين من مناصبهم .. ومع ذلك لم تمت فرنسا . كان البعض يقول أن الألمان ظلوا أربعة أعوام في (لاون) ، أو بلغوا (السوم) ولم تفقد فرنسا الأمل على (المارن)، فلماذا تفقده الآن وقواتها لا تزال على (الاسكو)؟!

كان البعض الآخر يفسر ذلك على أنه رومنطيقية عسكرية . فما كان سائداً عام ١٩١٤ ليس هو نفسه عام ١٩٤٠ . في عام ١٩١٤ كان الجيشان الفرنسي والألماني من (قماشة) واحدة كما يقولون. أما اليوم فقد تبدلت العقليات ، وتبدلت النظريات ، ولم يبق سوى الاستراتيجية الدفاعية القائمة على التضحية بالأرض كسباً للوقت . ولكن هذا المبدأ لا يمكن اعتماده في وطن صغير كفرنسا، تتلاءم أرضـــه أفضل ملاءمة مع حرب المصفحات .

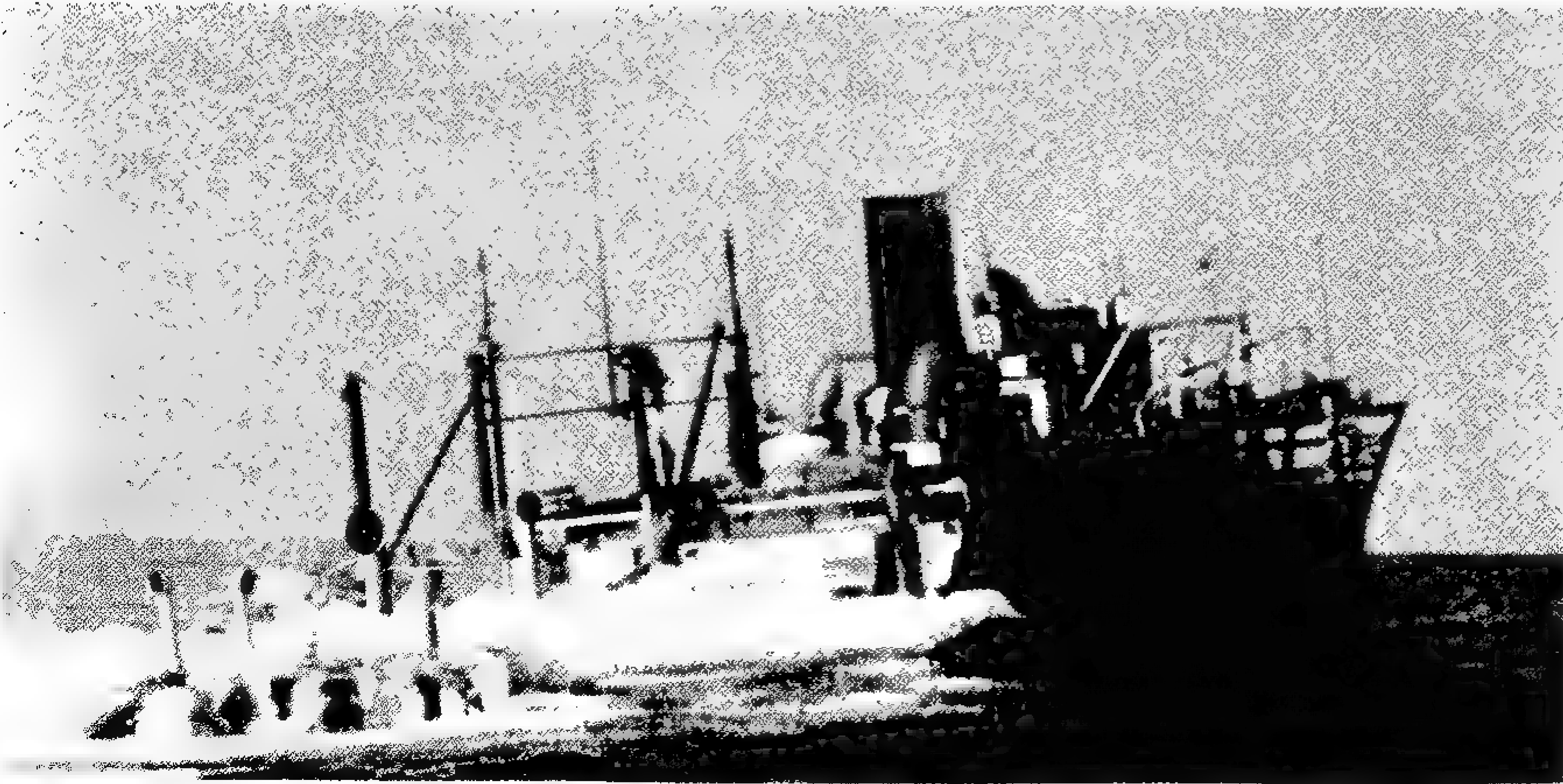
ولعل النتيجة الوحيـــدة التي خرج بها القياديون الفرنسيون هي أن المعركة ذات النفس الطويل لا يمكن استئنافها على أرض الوطن . يمكن اللجوء الى معركة قصيرة النفس . وحيال هذه القناعة كان لا بد من خيارين : اما إجراء مفاوضات دون إلقاء السلاح ، واما البت بجزم بعدم التفاوض ، وفي هذه الحال كان يقتضي الإسراع في اتخاذ الخطوات الكفيلة بنقل الحرب الى ما وراء الحدود ، أو بالحري الى ما وراء البحار . وحدها مثل هذه الحرب هي الممكنة .

غير أن البعض كان يعتقد باستحالة هذه الحرب ، وباستحالة التشبه بالاثينيين عندما

هاجمهم (كسركسيس) ، لأنــه من غير المقبول بنظرهم (إخلاء) فرنسا في الوقت الذي لا تزال جيوشها واقفة على أقدامها ، لا بل أنهم كانوا يعتبرون ذلك من قبيل الخيانة ، وانتهاك حرمة الوطن .

لقد كان الجيش الألماني قد احتل مواقعه في (مونكورنيه) وغدت باريس على مرمى حجر منه ، وقد أبلغت الحكومة الفرنسية أن الزاحفين سيبلغون باب (فييت)، أحد مداخل العاصمة الفرنسية ، خــلال ساعات قليلة، ولما لم تكن هناك سوى فرقة واحدة في مواجهـة الزحف كان لا بد في ١٦ أيار من اتخــاذ القرار المؤلم الذي لا مفر منه ، وهو رحيل الوزراء . في منتصف ليل اليوم نفسه بعد أن ألقوا بالوثائق طعمــاً للنار في باحة (الكي دورسيه) تحت وابل من المطر الغزير . وعلى الرغم من اتخاذ هــذا القرار الخطير ، لم يعلم القواد الكبار ، ولا حكام المستعمرات ، بمن فيهم الجنرال (نوغيس) ديكتاتور (أفريقيا الشمالية) العسكري بما جرى ، كما لم يعلموا باحتمال استئناف القتال في (أفريقيا الشمالية) إلا في النصف الثاني من شهر حزيران .

في مساء ذلك اليوم المشؤوم بالنسبـة للفرنسيين كان الفيلق المصفح الواحد والأربعون قد بلغ (أونبتون) الواقعة بين (ميزيير) و(غيز) ، كما بلغ الفيلق التاســع عشر (مارل) الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتراً من (لنس) . وفي هذه الأثناء كان (روميل) يعبر الحدود على ضوء القمر، ثم يسرع كالبرق يوقظ أفواجاً كانت تظن أنهــا بعيدة عن العدو ، فيلقي القبض على عناصرها ، ثم ما لبث أن اجتاح (أفين) و (لاندريسي) ، و(لوكاتو) ، وألقى الهلـع في مؤخرات الجيش الفرنسي الأول. وعندما أنجز خطوته الجبارة هذه في صباح السابع عشر كان قد خسر ٣٥ قتيلا و٥٩ جريحاً خلال مسافة بلغت ١٢٠ كيلومتراً ، في حين أن الأسرى



سفينة شحن انكليزيّة أغرقتها غوّاصة ألمانيّة .

الفرنسيين لديه كانوا بحدود ١٠ آلاف رجل، فضلاً عن استيلائه على ١٠٠ دبابة . وفي الوقت الذي كان (رومل) يرتاح على حرير النصر ، كان (غوديريان) يجتاز (الواز) ويصل الى (سان كونيتان) .

هذا على الجبهة الألمانية أما على الجبهة الأخرى فكان يوم ١٦ أيار هو موعد تنفيذ الخطة التي وضعها (جورج) بنفسه ، وهي تقضي بالإطباق بشكل كلابة آلية على مؤخرة الدبابات الألمانية . فـ (جيرو) يتولى في الشمال قيادة الفرقتين المدرعتين السريعتين الأولى والثانية تدعمها سريات من دبابات (سوموا) ، وكانت مهمته تقضي بالهجوم نحو الجنوب، بينما كانت مهمة الفرقة المدرعة السريعة الرابعة المتمركزة في الجنوب الهجوم باتجاه الشمال . هذا في حين أن القائد الأعلى للجبهة الشمالية – الشرقية لم يكن على علم قط بتدمير الفرقة المدرعة السريعة الأولى بكاملها ، وبتبديد الفرقة الثانية، وأن القائد (جيرو) أصبح اسماً لغير مسمى . لكن الفرقة المدرعة الخفيفة الرابعة لا تزال موجودة رغم ما أصابها . وفي ١٥ أيار وصل رئيسها الكولونيل (ديغول) الى مقر قيادته في (لاون) ، وكان ساعتها وحيداً ، وأول ما فعله هو ضم مجموعة من الجنود الكيماويين الذين التقاهم في مقر القيادة اليه وكانت أسلحتهم كناية عن بنادق قصيرة. وقد أقام هذه المجموعة بشكل خط وقائي وراء ترعة (سيسون) . وفي اليوم التالي انصرف الى تنظيم فرقته الخاصة قبل أن تبلغه خطة (جورج) وكانت المهمة الموكلة اليه مبهمة ، ولو أن ضابطاً غيره لكان وقف ينتظر .. لكن ديغول (كان يشتعل غضباً) منذ تناهى الى سمعه أن الألمان يسحقون أسلحة الجنود الفرنسيين ، ويستأنفون السير مرددين أنه لا وقت لديهم ينفقونه في أسرهم . ويقال أن الكولونيل المقدام قطع عهداً على نفسه في تلك الليلة قائلاً : « إذا أتيح لي أن أعيش فإني سأحارب حيث يجب ، دونما توقف ، حتى ينكفىء العدو وتزول لطخة العار » .

وعملاً بهذا العهد أخذ على نفسه مهمة شن أول هجوم له عند الفجر ، بما يكون قد توفر له من قوات ، أياً كان وضع هذه القوات، وعلى الرغم من أن حدسه العسكري كان يوحي له بأن العدو كان يعزز مواقعه وقواته بسرعة تفوق سرعته هو ، وان الانتظار في هذه الحال لا يجدي فتيلا، وعلى الرغم من أن فرقته لا تتألف إلا من كتيبة دبابات واحدة من فئة « ب »، ومن كتيبتين من فئة « و ٣٥ » ومن مجموعة مدفعية، دون أن يكون فيها جندي واحد من المشاة المنقولين، أو قطعة واحدة مضادة للدبابات، أو رشاش واحد مضاد للطائرات .

وعند الموعد المضروب شن ديغول على « مونكورنيه » غارة مباغتة فطهرها ، ودمر القوافل وعاد مساء يحمل ١٢٠ أسيراً

المانيا . وفي اليوم التالي كرر المحاولة على « مارل »، وبعدها على « فيم »، ولما بلغت أخبار هذه الغارات الناجحة أسماع «جورج» استدعى ديغول وكلفه بمهمة جديدة . ومن باب الإنصاف القول أن الغارات «الديغولية» على بساطتها وارتجالها، أكدت فعالية الفيلق المدرع إذا ما أغار على جوانب العدو ومؤخراته ، كما أكدت مقدار التأثير النفسي للفرق المدرعة الخفيفة إذا ما كانت تحت قيادة رجال ذوي حزم وقوة إرادة .

ولم تطمئن باريس إلا خلال يومي ١٧ و١٨ عندما بلغها أن زحف المصفحات الألمانية ليس موجهاً نحوها . ومع اطمئنان باريس اطمأنت الحكومة ، وعزفت عن الانتقال . في حين تسلم (بول رينو) وزارة الحربية، ثم استدعى المارشال (بيتان) من سفارته في مدريد ، كما استدعى الجنرال (فيغان) من قيادته في الشرق ، وكانت الغاية من استدعاء الأول دعم الوزارة بتعيينه نائباً للرئيس ، والغاية من استدعاء الثاني تسليمه القيادة العليا . وفي (لافرتي) أنشأ (جورج) جبهة على نهر (الاين) وترعة (كروزا)، ودعم جيش (توشون) السادس الجديد بجيش (فرير) السابع الذي كان مجرد تصورات، ثم – يا للغرابة ! – أصدر أمراً الى الجيش التاسع – وكأن هذا الجيش ما زال قيد الحياة ! – يقضي بالمحافظة على (السامبر) المحوّل الى ترعة ، وعلى الترعة نفسها من (السامبر) حتى (الواز)، ورسم خطأ كان يعتقد بأن المصفحات الألمانية سيسمرها الإرهاق عنده ، ولكن (جورج) لم يكن يعلم قط بأن (السامبر) أصبح قاعاً صفصفاً، وأن الألمان قد اجتازوا الواز.

وفي ١٩ أيار استمر مسلسل السقوط الفرنسي . سقطت « بيرون » على يد الفيلق الألماني المدرع التاسع عشر ، وسقطت « بوسينيي » بين أيدي الفيلق الرابع عشر، وسقطت « كامبري » بين أيدي الفيلق الخامس عشر . وعلى حين غرة ، ظهر « غاملان » في الفيللا الريفية الساحرة التي يتخذها « جورج » مقراً له ، وراح يكتب بخط يده منشوراً يتمنى فيه على « جورج » أن يهجم على مؤخرات الدبابات الألمانية ، ولكن مثل هذه المحاولات قد أخفقت أكثر من مرة ، ومع ذلك سيظل « غاملان » يردد حتى النفس الأخير، بأنه كان باستطاعة جورج أن «ينقذ» فرنسا لو أنه عمل بموجب تعليماته و«تمنياته» لأنه لم يكن مؤهلا لتوجيه الأوامر اليه ، لأن جورج ، وليس هو ، آمر الجبهة الشمالية – الشرقية .

وفي ٢٠ أيار وصل «فيغان» من «فنسين» والنشاط باد على محياه ، رغم سنواته الثلاث والسبعين . وكان قد غادر « بيروت » قبل يومين على متن إحدى قاذفات القنابل ، لكنه اضطر فوق « طرابلس الغرب » أن

يعود الى تونس ليمضي فيها ليلته، ثم استأنف رحلته فوق « المورفان » على علو منخفض، وبوصوله الى « ايشامب » تحطمت عجلات طائرته أثناء هبوطها . وفي مساء اليوم نفسه قام « فيغان » بزيارة « جورج » وقد خرج من مكتبه ليعلن أنه قبل منصب القيادة العليا . ثم جرى التسلم والتسليم بين « فيغان » و« غاملان » في جو عادي كان يخفي دهشة « غاملان » من النقمة التي حلت عليه .

لم يكن من غبار على خصال « فيغان » وحميته ، ووطنيته الملتهبة ، كما لم يكن هناك من ارتياب من نشاطه الفكري والجسدي ، ولكن « فيغان » هذا خدم ككولونيل للفرسان عام ١٩١٤ ، وتولى رئاسة أركان فوش طوال الحرب العالمية الأولى . فهل تكون عودته في هذا العصر ذات منفعة ؟ لا سيما وأنه لا يوافق على نظريات « ديغول » فيما خص الفيلق المدرع، وكان قد هاجم هذه النظريات في مقالات



منشورة ، بالاضافة الى أنه كان قد أكد في خطاب ألقاه قبل أسابيع من الاجتياح ، بأن الجيش الفرنسي على أفضل ما يكون تسليحاً وقيادة ، وأشار الى أن استدعاءه هذه المرة ، إنما كان لحل أزمة خطيرة ، وتصحيح موضع حرج للغاية ، وعلى هذا الأساس كان قبوله بالمنصب بعيداً عن أي قيد أو شرط .

غير أن الرجل لم يكن على بينة مما انتهت اليه أعمال القتال ، كما لم يكن بامكانه التصور بامكانية نقل الحرب الى ما وراء البحار ، خصوصاً وأن « رينو » لم يكن قد أطلعه بعد على هذه النية . ولمثل هذا الاحتمال المطروح لم يكن « فيغان » هو الرجل المناسب ، وإنما « ديغول » هو الرجل المطلوب .

ومن سوء حظ « فيغان » أنه ما كاد أن يتسلم مقاليد القيادة العليا حتى تناهى اليه الخبر المفجع . وصول « هتلر » الى « المانش » واستيلائه على « ابفيل » . وبذلك تكون قد أصبحت ٤٥ فرقة حليفة محاصرة في « الفلاندر » . وفي كتابه لـ « جودل » حول تلك اللحظات الحاسمة يقول : « الفوهرر يرتعش فرحاً » أما « الفوهرر » نفسه فقد أعلن بالفم الملآن ، وبمنجهية المنتصر بأن الهدنة ستوقع في حرج « روثوند » ، وأن فرنسا ستجبر على أن تعيد لألمانيا كل الأراضي التي سلبتها إياها منذ ٤٠٠ سنة .



... عبور نهر "الموز"



أنقاض دنكرك

في ١٤ أيار نشب القتال في قلب الجيش الأول فقط بعد أن نظم « بلانشار » فيالقه الثلاثة التي تحمل أرقام ٣ و٤ و٥ في فجوة « جمبلو » . أما الفوج المصفح ١٦ بقيادة الجنرال « هوبنر » فهو الفريق المهاجم ، على اعتبار أن هذا الفوج هو الذي كاد أن يغزو برلين لتحطيم أسطورة هتلر . ويعود الفضل للفوج الرابع الفرنسي في صد جميع الهجمات الألمانية ، ولا يقل فوج الخيالة عنه فضلاً في هذا السبيل . وما أن أطل صباح اليوم التالي حتى كانت المعركة قد انتهت ، وكانت النشوة قد بلغت بالقيادة الفرنسية حد الترفيه عن المقاتلين خلال استراحتهم عن طريق استدعاء عازفي « السكسوفون » و « الأكورديون » وتقديم وصلات من العزف

لهم ، إلا أن ميمنة الجيش الأول تلقت في الساعة الثانية صباحاً أمراً بالالتفاف حول «جمبلو» بعدما كشفتها هزيمة الجيش التاسع. وما عتم أن تحول الأمر بالتراجع الجزئي الى أمر بالتراجع العام عند الساعة السادسة مساء ، يتراجع بموجبه الجيش الأول نحو ترعة « شارلروا » بين « السامبر» و« تونيز» ، حيث يقتضي الصمود وعدم التراجع مهما كلف الأمر ، ولكن المتراجعين بلغوا جنود الحملة الانكليزية الذين ذهلوا للأمر، خصوصاً عندما علموا بأن الجنود الفرنسيين قد اجتازوا مسافة ٦٠ ميلاً الى مكان حدد لهم على أنه ميدان المعركة ، فإذا هم لا يجدون عدواً ، فيعودون القهقرى دون أن يدروا، ودون أن يدري الجنود الانكليز كذلك ، ما حدث في ميمنة الجيش الأول ، ولم يكن في مقدورهم التصور بأن أمر التراجع السريع قد جاء متأخراً بدليل أنه لم يوقع على هذا الأمر إلا بعد أن بلغت المصفحات الألمانية « مونكورنيه »، ولكن هذا التقدم الألماني، فضلاً عن تأخر الجيوش الفرنسية المتواجدة في الشمال مرحلتين عن المجموعات الآلية ، لم يجعلا القيادة الفرنسية تشعر بعبء التحرك الواجب من أجل كسر الطوق .

وإذا كان التراجع يشكل غالباً أثقل ذكريات الحروب حزناً ومرارة ، فإنه في بعض الأحيان يكون سبيلاً للخلاص ، والهروب من الهزيمة المنكرة ، وهذا ما حصل بالذات مع « جوفر » في ٢٢ آب عام



« علينا أن نقاتل بضراوة ، وأن نهاجم كالكلاب ، للقضاء على الدبّابات الألمانيّة المنهوكة القوى ... »
(من كلام للجنرال «فيغان» إلى الجنرال «بيّوت» أورده الجنرال «روتون» في كتابه « سنوات حاسمة »)



ما فتىء « هتلر » ، منذ تشرين الأوّل ١٩٣٩ ، يقرّر القيام « بالعمليّة الصفراء » ثمّ يلغيها غير مرّة . وفي تلك الأثناء كان الجنود على ضفّتَي نهر « الرين » يتمشّون !



« موسوليني » يصغي إلى « هتلر » وهو يسرد عليه تفاصيل الحملة على « بولونيا » .

١٩١٤ ، وعشية معركة « شارلروا » بالذات ، وهذا ما كان يمكن أن يحصل في أيار عام ١٩٤٠ بالنسبة لمجموعة الجيوش الفرنسية الأولى المحاصرة ، ولكن ذلك كان يتطلب قراراً بسرعة قرار « جوفر » ، لكن القواد الفرنسيين لم يكونوا في مستوى يؤهلهم لاتخاذ مثل هذا القرار ، بسبب مفاهيمهم القديمة ، وسوء تقديرهم للأمور .

في ٢٠ أيار كان الجيش الفرنسي الأول يهتم بالدفاع عن تحصينات موقع الحدود الكائنة حول « موبوج » ، عندما وصلت المصفحات الألمانية الى مصب « السوم » . ولم يكن الانكليز والبلجيكيون ساعتها يتعرضون لأي هجوم ، بل استمروا في انتظامهم خلف النهر . وفي الوقت الذي قطعت فيه كل الاتصالات مع « فرنسا »

كانت المصفحات الألمانية تغذ في السير شمالاً باتجاه « أراس » و« كاليه » ضاغطة على قمر الجيب الذي يحوي ٤٦ فرقة حليفة (مليون نسمة) يضاف اليهم عدد مماثل من اللاجئين، وكانت تحمي هـذه المصفحات من الجنوب الحاميات الجانبية التي أقامت رؤوس جسور فوق « الأين » و« السوم » . وقـد اعتبر المراقبون العسكريون عملية التطويق الألمانية هذه من أذكى عمليات التطويق التي لم يأت حتى نابوليون بمثلها .

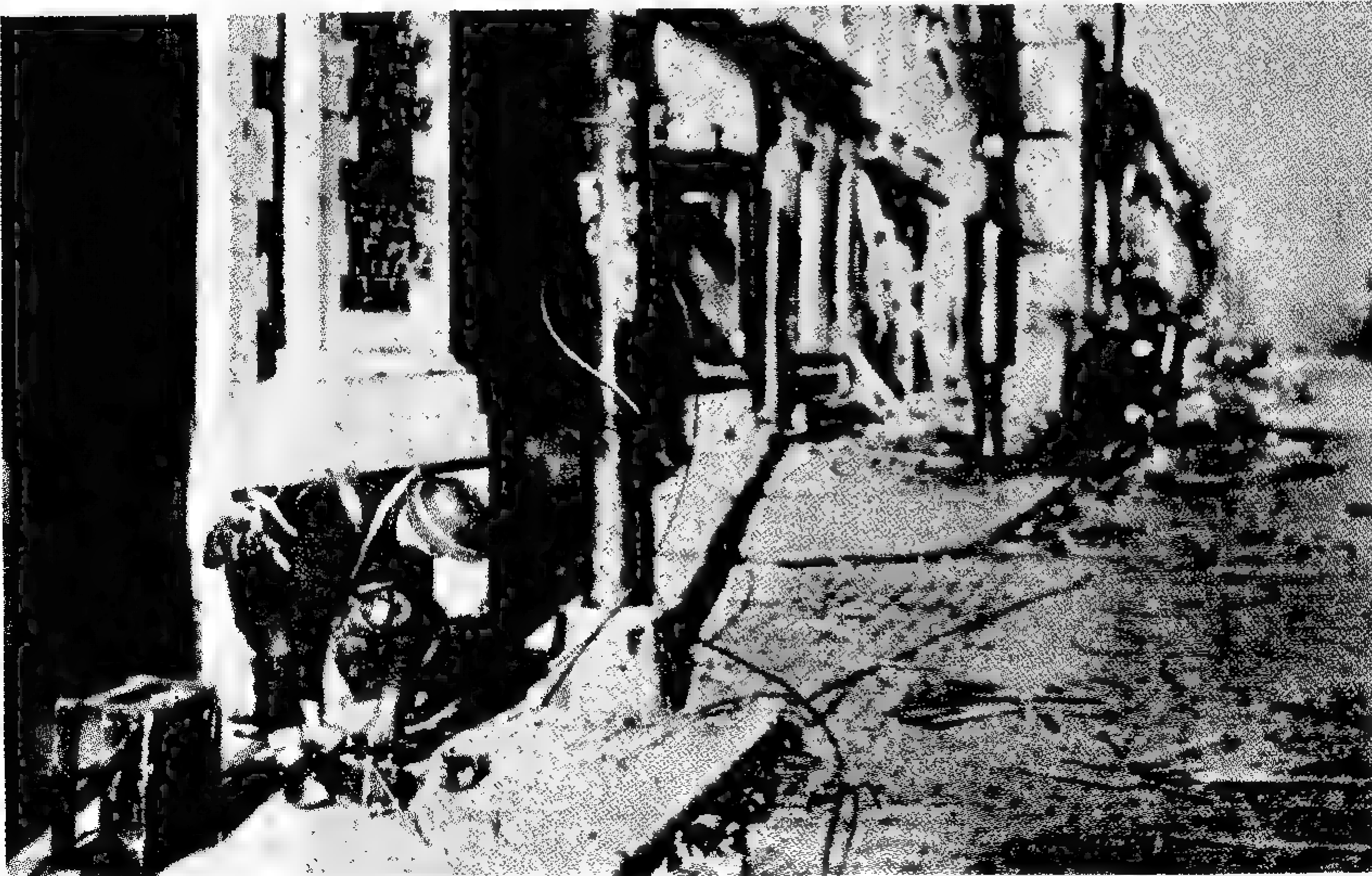
وفي عشية ذلك اليوم انبرى « فيغان » لتحطيم الطوق الألماني المحكم ، منطلقاً من مفاهيم عسكرية متطورة تقضي بمراقبة المعركة عن كثب، وبالفعل ، ما أن مضى ٢٤ ساعة على تسلمه مهماته الجديـدة حتى راح يتجول جواً فوق ساحة المعركة معتبراً أن الاتصال الشخصي بجيوش الشمال أمر لا مناص منه ، ولكن في هذا الوقت بالذات كانت القيادة، التي تغلب عليها عقلية العشرينات ، تعد له رحلة بواسطة السيارة أو القطار ، وعندما اصطدمت القيادة بانقطاع الطرقات والخطوط الحديدية ، لم يجـد « فيغان » أمامه سوى التنقل الجوي على الرغم من معارضة رئيس الوزراء « بول رينو » الذي كان يحرص على عدم التفريط بقائده الجديد . والرحلة الأولى كانت على متن قاذفة قنابل أقلعت من مطار « بورجيه » يواكبها سرب من الطـائرات المطاردة ، ولكن هذه الرحلة بالذات أوحت بالصورة الحقيقية لوضع الجيوش الحليفـة ، هذه الجيوش التي شطرها زحف المصفحات الألمانيـة شطرين ، فبات الأمر في غاية الخطورة ، خصوصاً وأن الشطر الشمالي كان يواجه خطر الإبادة الحقيقية ، في حين أن الشطر الجنوبي كان من الضعف بحيث يستحيل عليه التصدي ، لا بل الصمود أمام القوات الألمانية ، وقد فرض هذا الواقع الحرج على القيادة الفرنسية المبادرة سريعاً لردم هـذه الهوة ، وإلا فإن الهزيمة أمر محتم .

كانت « القضية قضية ساعات » كما قال « غامـلان » في اليوم السابق وهو يختم توجيهاته . لقد كان مصيباً في قوله هـذا ، على أساس أن القوات الألمانيـة كانت تحث الخطى في تلك الثغرة التي فتحتها لها القوات الآليـة ، خصوصاً وأن تقارير سلاح الجو كانت تشير الى « فراغ كامـل » في مثلث « لاون ـ مونكورنيه ـ نوشاتيل » ، وان الاضطراب في صفوف الألمان كان يتضاءل ، بدليل أن الهـاربين من منطقة « موبوج » كانوا يؤكدون أنهم لم يلمحوا أي ألمـاني خارج الطرقات ، بينما كانت الهوة في جبهة الحلفاء تزداد بسرعة مخيفـة ، الأمر الذي يؤكد أن القضية فعلاً هي قضية ساعات .

ان من ينظر نظرة عابرة الى الخـارطة لا بد من أن يوافق « غاملان » على خطته السابقة التي تعتبر أن لقاء الشقين الفرنسيين ممكن شريطة أن يتجه الواحد منها صوب

الآخر . ولم يستطع حتى « فيغان » نفسه إلا أن يتبنى هذه الخطة بالذات ، مع العلم بأن غاملان كان يشطح بخياله، لا سيما عندما يقتنع بأن اصلاح الفساد يبدأ من جذوره ، أي من استعادة ممرات « الموز » ، وكان يتصور ذلك ممكناً من خلال هجوم يشنه الجيش الثاني في اتجاه «سيدان» و«ميزيير»، ولكن هذا الجيش ، بنظر « فيغان » الواقعي ، كان قد انتهى أمر الاتكال اليه ، وكان ، بنظره أيضاً ، ان كسر الطوق المضروب على جيوش الشمال لا يمكن أن يتم إلا عن طريق هجوم ينطلق من « السوم » باتجاه جيوش الشمال ، الزاحفة هي بدورها باتجاه الجنوب . ولذلك حرص على التجوال فوق ميادين « الفلاندر » التي عمل فيها مع « فوش » منذ حوالي ٢٦ سنة ، من أجل تأمين تضييق الشق ، أو رفء الفتق بين الجيوش .

لقد كان تجوال « فيغان » الجوي كافياً لإعطائه فكرة جلية عما كانت تعانيه جيوش الشمال من فوضى واضطراب . وفي تجواله تعرضت طائرته لنيران المدفعية، وكان ذلك فوق مدينة « بولونيا » بالذات . الأمر الذي اضطر الطائرة الى الهبوط في « نورنت ـ فورنت » . ويقول القائد الأعلى أنه لم يجد في المطار سوى جندي واحد « غاية في القذارة » وامرأة بسيطة تعرفت اليه من خلال صورة له منشورة في الصحف وكولونيل اركان . الأول مكنه من ركوب شاحنة صغيرة ، والثانية أعدت له البيض المقلي ، والثالث نصحه بمتابعة السفر باتجاه « كاليه ». وعمل بالنصيحة ، فإذا هو يحط بعد وقت قصير في أرض محروقة ثم ينتقل منها الى دار البلدية حيث يلتقي الجنرال « شامبون » ضابط الاتصال بالجيش البلجيكي ، وقد أطلعه هذا الأخير على أن الاجتماع سيعقد

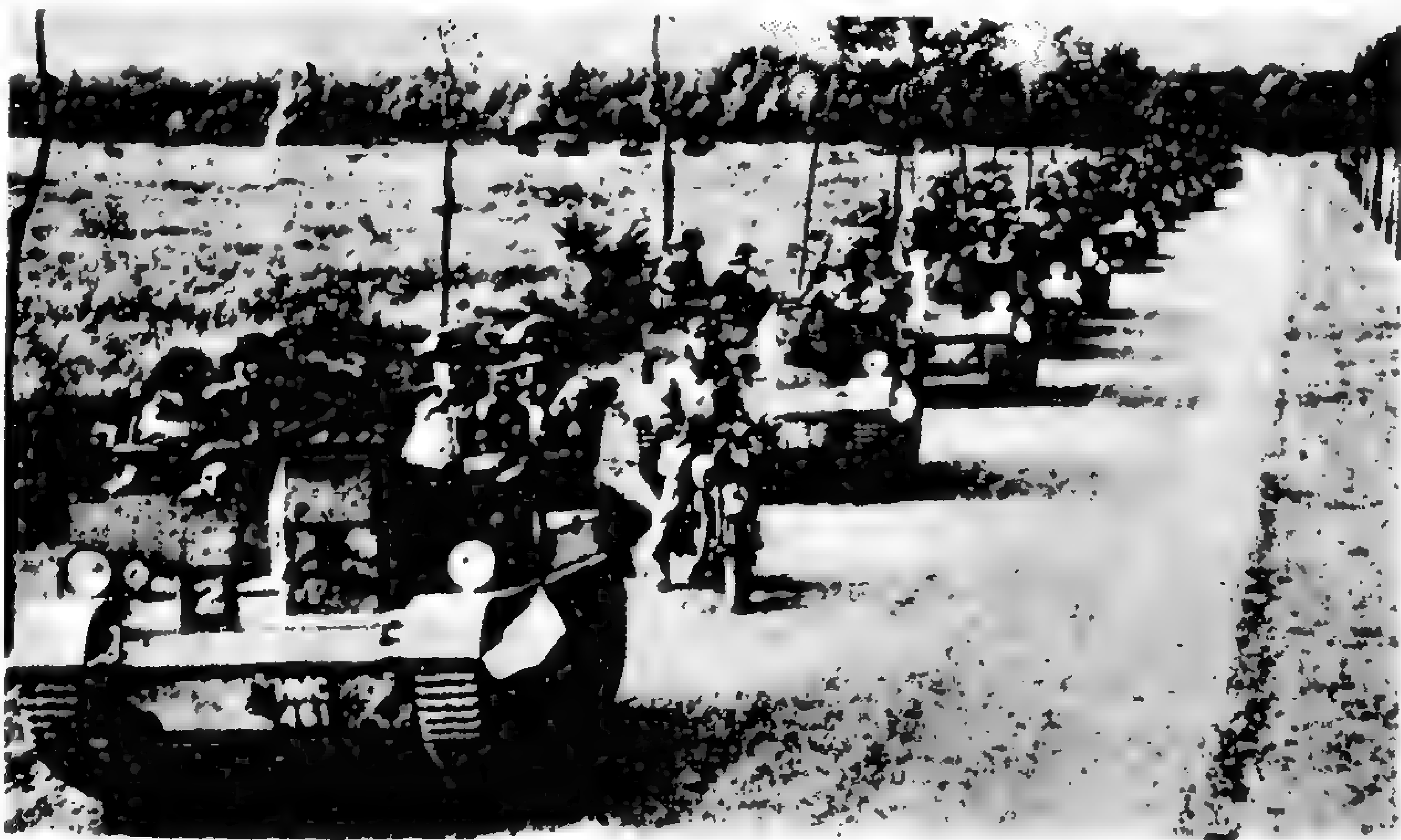


نقّاب ـ لغّام بريطانيّ يستعدّ لنسف أحد الجسور في « لوفان » .

في دار بـلدية « أيبر » ، وان « غورث » و« بيوت » و« ليوبولد » ينتظرونه» ولشد ما كان ذهوله شديداً عندمـا هب الى دار البلدية المذكور ولم يجد فيه أحداً بانتظاره. ولم يصل الملك إلا بعد مضي ساعـــة كاملة عرض عليه « فيغان » تصوره القاضي بقطع اليد التي دسها الألمان حتى بحر « المانش » ، وذلك بحيث يزحف كل من « غورث » و« بيّوت » نحو الجنوب» ويزحف « فريز » نحو الشمال على أن يقوم الجيش البلجيكي



تجمعت في مرفإ « دنكرك » طائفةٌ ضخمة من السفن الحربيّة وبواخر النقل ، فرنسيّة وانكليزيّة ، انضمّت إليها على السرعة سفنُ صيد ، وقوارب ، ويخوت ، وقاطرات .



رتل انكليزي مصفّح يتراجع صوب « دنكرك » .



في « بلجيكا » أيار ١٩٤٠ . دبّابة فرنسيّة متوجّهة إلى الميدان تلتقي جماعة من اللاجئين .



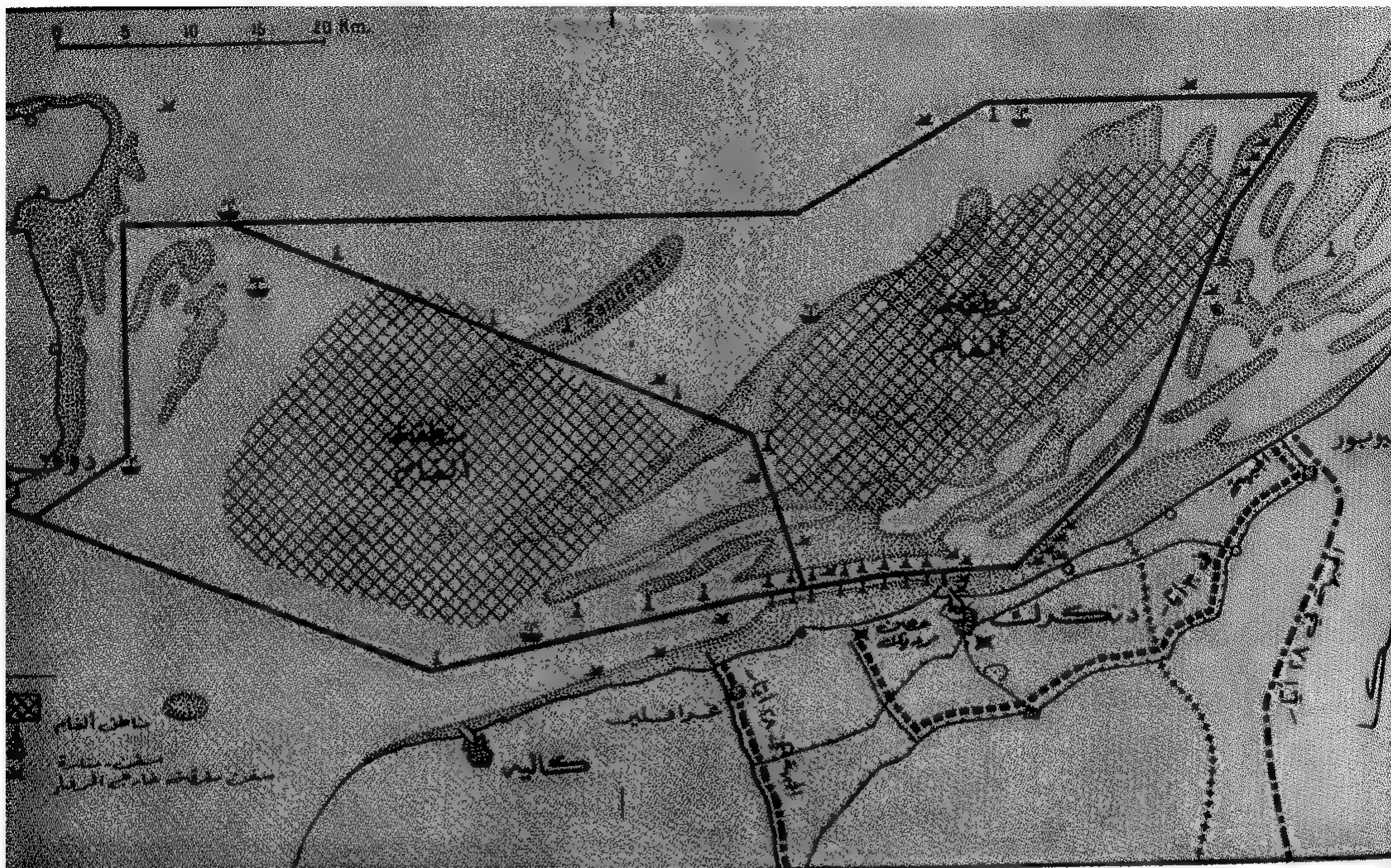
الجنرال بيتوار مع الجنرال ديتل في « جارميش » اثناء الالعاب الاولمبية الشتوية .

بتغطية هذه التحركات، الأمر الذي يؤدي، بالتأكيد، الى تحرير قسم كبير من القوات الفرنسية والبريطانية . ولكن « فان أوفر ستراتن » المستشار البلجيكي عارض فكرة تراجع الجيش البلجيكي حتى « الايزر» بهدف تقصير الجبهة ، كما عارض المهمة الملقاة على عاتق الجيش البلجيكي بموجب خطة «فيفان» بكاملها ، . وحجته في ذلك أن القوات البلجيكية منهكة القوى ومصابة بأعراض التفكك ، فضلاً عن أن التراجع حتى « الايزر » يتناقض مع هدف البلجيكيين

وهو الدفــاع عن الأرض لا التخلي عنها . ولكن الصمت الذي واجه به الملك البلجيكي مستشاره سرعان ما تحول الى خلاف حاد تجسد في الاشتباك الذي حصل بين العاهل من جهة وبين « بيارلو » رئيس الوزراء » و« سباك » وزير الخارجية من جهة أخرى، وأعقبه في اليوم التالي تبادل رسائل ذات لهجة مريرة . فوجهة نظر رئيس الوزراء ووزير الخارجية تعتبر أن تحالف بلجيكا مع فرنسا وبريطانيا يتجاوز المعركة الفاشلة التي نشبت دفاعاً عن الأرض البلجيكية ، أما وجهة نظر « فان أوفر ستراتن » فهي على العكس من ذلك، تعتبر أن الفشل العسكري وعجز الدولتين الحليفتين عن حماية البـلاد من الغزو الألماني ، يسهلان عودة بلجيكا الى سياسة الحياد . وفي رسالة الملك الى رئيس وزرائه في اليوم التالي تنديد بتلك « السرعة السخيفة » التي سافر بهـا عدد من الوزراء البلجيكيين الى فرنسا ، وكان التنديد بمبدأ السفر بالذات ، بدليل أن الملك لم يأخــذ انقطاع المواصلات ، بعد سفرهم بساعات ، بعين الاعتبار .

وفيما الصراع محتدم في دار بلدية « أيبر» وصل « بيّوت » بعـد أن أمضى فترة من الوقت في البحث عبثـاً عن « فيغان » في « كاليه » و« دنكرك » . وكان « بيّوت» هذا من أحذق القواد ، لكن هزيمة القيادة، المتمسكة بالمفاهيم العسكرية البالية، حجبت كل موهبة عسكرية . فقيادة مجموعة الجيوش الفرنسية الأولى كانت ضعيفة لإفراطها في الاتساع والتعقيد ، ولعدم اهتمام قائدهـــا بجيشي الجنــاح الأيمن ٩ و٢ ، باعتبار أنهما جيشان جامدان . وقد عبر الانكليز أكثر من مرة عن شكواهم من عــدم تلقي أية أوامر من « بيّوت » طيلة أربعــة أيام متوالية ، ولكن الشكوى لم تكن في محلها تمامـــاً باعتبار أن أجهزة الاتصال المادية بكاملها ، فضلاً عن جهـــاز توجيه المعركة الذهني كانت قد أعدت استعداداً لحرب بطيئة ، فإذا عبقرية هتلر تتفتق عن الحرب البالغة السرعــة ، الأمر الذي أفسد كل الاستعدادات .

وقف « بيّوت » يرسم لوحة كاملة عن مجموعة الجيوش الفرنسية الأولى ، ولكن هذا الرسم لم يكن خاليـــاً من التشاؤم والقلق . فالبلجيكيون تخلوا عن مجرى « الاسكو » الأسفل ملتفين نحو ترعــة « ترنوفن » بعد أن أخلوا « بروكسيل » العاصمة ، قبل ثلاثة أيام . والانكليز بقوا عند النهر ، لكنهم وسعوا خط دفاعهم حتى « أراس » . أمـــا الجيش الفرنسي الأول الذي يضم بعض شراذم الجيش التاســـع ، فكان أشبه شيء بجرح بالنسبة لمجموعــة الجيوش الباقية . لقد كانت مراكزه الممتدة من « كوندي » الى « دووي » بشكل نسبة دائرة مكشوفة ولا سيا الجبهة اليمنى ، وكان هــذا الجيش قد تمكن ، وبجهد جهيد من التخلص سابقاً من منطقة « موبوج » . وعلى



الانسحاب من « دنكرك ».

الرغم من الظروف الصعبة والقاسية التي كان يعمل فيها هذا الجيش كانت هناك فرقتان منه تزحفان في ٢١ أيار باتجاه « كامبري » في الوقت الذي كانت فيه الفرقتان البريطانيتان الخامسة والخمسون المنسحبتان من « الاسكو » بقيادة الجنرال « فرانكلين » تقومان ، بدورهما ، بهجوم، وكلا الهجومان يصبان في الضغط على الثغرة المفتوحة بين خط «السوم» ومجموعة الجيوش الأولى . ومع بدء الهجومين كانت خطة « فيغان » بدأت ، تنفذ على الأرض ، على الرغم من أن « بيّوت » لم يكن يتوقع لها نجاحاً كبيراً .

المجتمعون في دار بلدية « أيبر » كانوا ينتظرون «غورث» بفارغ الصبر على اعتبار أن الآمال كانت معقودة على الجيش الانكليزي. لكن غورث لم يحضر، وهكذا بدأ يتلاشى حلم فتح ثغرة على يد الجيش الانكليزي الذي لم يفقد أكثر من ٥٠٠ رجل . وبدأت التساؤلات تتوالى في ذهن « فيغان » ! ترى ، ألم يتغيب اللورد « غورث » عن الاجتماع عن تصميم مسبق ؟ ومثل هذا التساؤل طرحه منذ أيام قليلة (بيّوت) نفسه عندما أطلع القيادة قبل يومين على نية (غورث) في العبور باتجاه (كاليه) . وبهذا العبور يكون الانكليز

قد تخلوا عن رفاق السلاح ، ويكون الحذر المتبادل بين هؤلاء الرفاق قد أخذ يكبر الى حد التردي .

كان (فيغان) قد وعد (رينو) بأن يعود في مساء يوم الاجتماع نفسه . وعندما كانت الساعة تعلن السابعة رن جرس الهاتف لدى (فيغان) فإذا المكالمة صادرة عن (كاليه) يخبره فيها صاحبها بأن المطار غير صالح ، وأن السفر الجوي محفوف بالمخاطر ، وإزاء ذلك عرض عليه (ابريال) أميرال الشمال قائد موقع (دنكرك) وبحريتها ، نسافة تنقله الى (شيربورغ) ، فلم يمانع ، وفي طريق العودة طالعته مجدداً تلك الجموع الوفيرة والخليط العجيب من العسكريين والمدنيين ، وتلك الصورة القاتمة التي خلفتها البلبلة التي أصابت المؤخرات وعطلت فعالية القيادة . أما في (دنكرك) فكانت الحرب شديدة الأوار . الطيران الألماني يزرع السماء أزيزاً والأرض قنابل فتندلع النيران في كل شيء ، وتندفع الناس هائمة على وجهها لا تلوي على شيء ، ولا تسعى إلا وراء حماية رؤوسها . ووسط هذا اللهيب عبرت النسافة التي تقل (فيغان) بين سدين خشبيين في (فلور) تأكلها النيران دون أن يأتي القائد المتعب ذلك اليوم بأي عمل سوى مشاهدته بأم العين للحرب الدائرة ، والتشاؤم الذي تولده في النفوس .

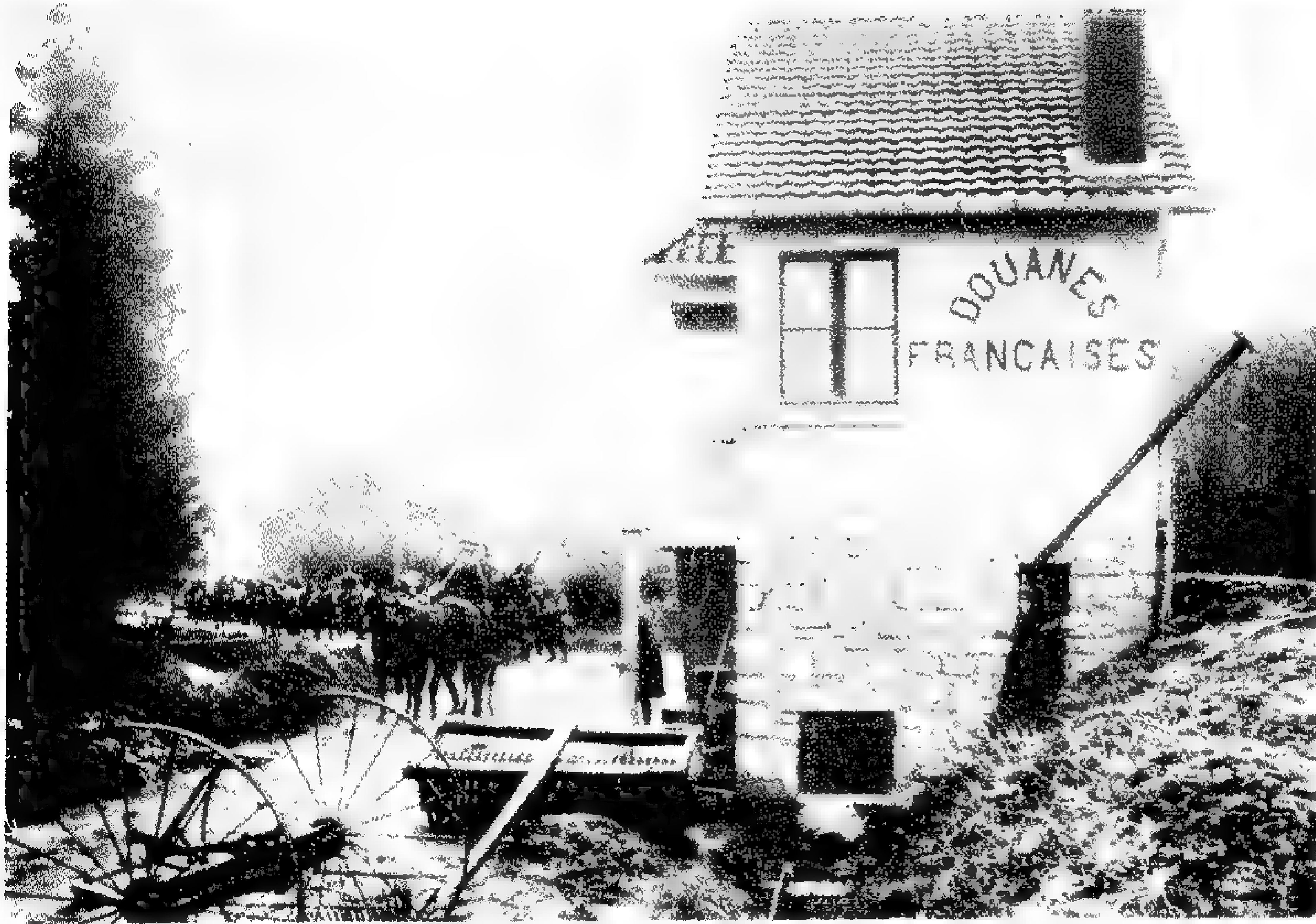
وبعد انقضاء ساعة كاملة على سفر (فيغان) وصل (غورث) الى (أيبر) بعد أن علم بموعد الاجتماع في (لندن) بعد فوات الأوان ، على اعتبار أن القيادة الفرنسية قد أهملت إشعاره . وما كان من (بيّوت) إلا أن عرض على (غورث) خطة (فيغان) ، لكن (غورث) لم يظهر أي حماسة لأنه فقد كل ثقة له بالجنرالات الفرنسيين . أما بشأن إبحار جيشه فالأمر لم يكن صحيحاً ، إلا أن الصحيح هو أن الفكرة قد خطرت في باله فعلاً ، وقد عبر عن رغبته تلك لحكومته ، إنطلاقاً من إقتناعه بصعوبة فتح ثغرة تقوده الى (السوم) .

وفيما كل واحد من المجتمعين في طريق العودة حصل اصطدام مروع بين سيارة (بيّوت) ، وشاحنة تابعة لقطاع (الفلاندر) بالقرب من (بابول) نقل (بيّوت) على أثره الى مستشفى (أيبر) فاقد الوعي ، ولكنه ما لبث ، بعد يومين ، أن فارق الحياة .

لقد شاء القدر أن تصبح (أراس) ، المتطاولة على البحر ، في صميم المعركة ، فلم تر بدأ من تنظيم مركز للمقاومة انضمت اليه مجموعة من العناصر الجديدة التي رفض (غورث) اصطحابها الى بلجيكا . لكن هذه التدابير العسكرية كانت سبباً في ازدياد القصف على البلدة بصورة وحشية ، الأمر الذي اضطر سكانها الى الإدبار ، لكن الحامية صمدت ، خصوصاً وان الجنرال



لقد أحدث التراجع صوب « دنكرك » ردود فعل قويّة . ويبدو في الصورة رشّاش يقذف حممه ، فيما تلوح في الأفق نيران أشعلتها المدفعيّة في ركام من القشّ .



منطقة الحدود قبل النكبة

(فرانكلين) كان قد انضم اليها مع فرقتي المشاة ٥ و٥٠ ، ولم يكن يفصلها عن (السوم) سوى ٤٠ كلم ، وهي المسافة التي كان ينبغي اجتيازها من أجل الإطباق على الفرق الألمانية المدرعة التسع التي استطاعت التوغل في المنطقة ، وفتح ثغرة مهمة فيها ، هذه الثغرة التي رأى (فيغان) أن تكون مقبرة للفرق الألمانية وهذا ما دونه في جدول عملياته الأولى بعد وصوله الى (فنسين) . وكانت القيادة الفرنسية قد أصبحت واضحة الأفكار ، وها هو الجنرال (بوسون) الذي تسلم للتو قيادة جيوش (توشون) و(فريز) يقول : « ان الدفاع لم يعد كافياً ، بل علينا أن نهاجم ، نهاجم ،

نهاجم » . وبالفعل ، فإن هجوماً آلياً كالذي يشنه الألمان لا يمكن مواجهته إلا بهجوم مواز له . وعلى الرغم من أن هذا الاعتقاد بات راسخاً في أذهان القياديين الفرنسيين فإن سماء النصر لم تكن خالية من الغيوم فوق رأس (هتلر) ، إلا أن رؤساء الجيش كانوا أهدأ من الفوهرر ، ولكنهم كانوا أحياناً يشاركونه قلقه ، خصوصاً بعد أن بلغت القوات السريعة بحر (المانش) في حين أن القوات البطيئة لم تبلغ (السامبر) بعد ، وبين (المانش) و (السامبر) مسافة طويلة بإمكان أي عدو حاذق استغلالها لتحويلها الى مقبرة للقوات الألمانية . ومما زاد قلق هتلر أن فرق المشاة كانت تتقدم ببطء شديد داخل الثغرة ، ولم يكن سوى مقدمة الجيش الرابع تشتبك مع القوات الحليفة حول (موبوج) بالاضافة الى المصفحات ، بينما كان الجيش السادس عشر مسترخياً في جنوب (سيدان) ، والجيش الثاني عشر في وضع مماثل عند (الرين) وجيشا النسف الثاني ، الثاني والرابع ، لم يكونا قد غادرا المانيا بعد. أما على (السوم) فكانت فرق الفيلق الرابع عشر الآلية صارفة اهتمامها الكلي الى حماية الجوانب والسيطرة على رؤوس الجسور بدلاً من أن تشترك في القتال الى جانب الدبابات المتعبة، المنهارة ، والى جانب قوات أخذ منها الإرهاق كل مأخذ وتكاد أن تكون فريسة سهلة أمام جيش لم يكن له وجود .

وللمرة الأولى ظهر للقيادة الألمانية أن انتصار العدو ممكن ، وذلك عندما بلغها في مساء اليوم الواحد والعشرين أن فرقة الدبابات الألمانية السابعة وقعت في ورطة بحيث اضطرت الى الارتداد على أعقابها بعدما منيت بخسائر جسيمة ، نتيجة تأخر فوج الرماة عن اللحاق بها أثناء توجهها نحو جنوبي شرقي (أراس) في (بوران) . وفي خضم هذا التقهقر ، وجلبة الدبابات الفرنسية كاد (رومل) نفسه أن يقع في قبضة الفرنسيين ، وكاد أن يقتنع القواد الألمان بأنهم أمام تحول جذري ، وهذا ما دوّنه (هالدر) في سجله اليومي إذ قال : « كم كان هذا اليوم مضطرباً. المصير يتقرر حول (أراس) . فإذا تمكنا من الصمود كان لنا النصر) . وفجأة عاودت الألمان صورة عام ١٩١٤ ، صورة (المارن) الشهيرة صورة الانتفاضة الحاسمة التي طالما تغنى بها (فون كلوك) .

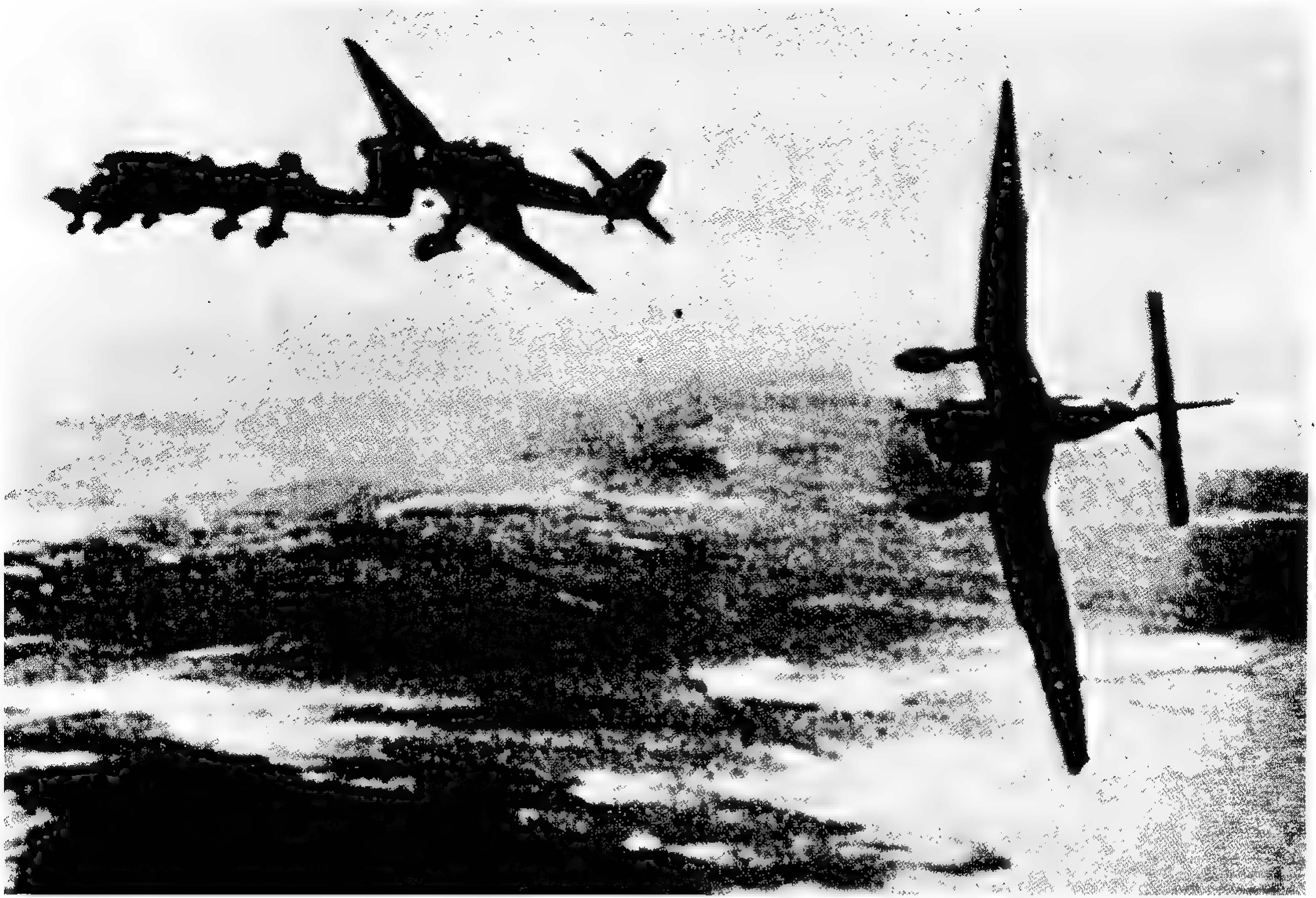
والحقيقة أن مخاوف الألمان، وقلق هتلر ومعاونيه كانت مضخمة جداً ، وربما في غير محلها، باعتبار أن إخفاق فرقة الدبابات الألمانية السابعة لا يعني بتاتاً إخفاق الجيش بأكمله ، وبالتالي خسارة الحرب ، خصوصاً وأن النشاط الفرنسي والانكليزي كان موهناً للغاية وسيء التنسيق بحيث لا يمكن أن يشكل أي خطر يذكر على المصفحات الألمانية، ولا على مصير المعركة وكل ما كان



جنود بريطانيّون يودّعون الساحل الفرنسيّ . ولما بزغ فجر ٢ حزيران كانت القوّات البريطانيّة كلّها قد أبحرت ، فيما بقي نحو ٤٠ ألف فرنسيّ ينتظرون دورهم في ركوب البحر .

جنود فرنسيّون ينزلون في أحد الموانيء البريطانيّة . « ليست هذه الحرب وقفاً على أرض بلدنا البائس . ليست الكلمة فيها لحرب «فرنسا» وحدها ... »
(شارل ديغول)





طائرات « شتوكا » تغير على مرفإ
« دنكرك » وشاطئها .



مصوّر إحدى شركات الدعاية الألمانيّة يلتقط الصور في شوارع «دنكرك»
التي دمرتها القنابل . وقد قال « كيتل » فيما بعد : «لم أرَ في حياتي قطّ
ما رأيته هناك من أكوام الأعتدة المخلّفة » .



هروب من جحيم الحرب .. الى أين ؟ .

يجتاح نفوس الألمان، ولا سيما القياديين منهم، من قلق وتخوف ، لم يكن إلا بسبب عدم تعودهم على الفشل .

فالفيلق الخامس الفرنسي الذي كان يشن هجومه باتجاه (كامبري) في ٢٢ الشهر أصيب بالانهيار قبل بلوغ هدفه ، في حين أن (فرانكلين) أخلى أطراف (أراس) واحتبس نفسه فيهـا وسط الخوف الذي يثيره تحرك الدبابات الألمانية بين (أراس) و(المانش) ، وكان إخلاؤه للبلدة مرده الى نقص في القوات ، والى عدم حصوله على التعليمات اللازمـة والكفيلة بجعل ضربته المباغتة مقدمة لإنقاذ جيوش الشمال . وبعد يومين من القتال الشرس تلقى (فرانكلين) أمراً من (غورث) يحثه فيه على التشبث بـ (أراس) مهما كلف الأمر ، وحتى آخر رصاصة . ولكن لم تمض فترة قصيرة حتى تلقى (فرانكلين) أمراً جديـداً يقضي بإخلاء (أراس) تحت جنح الظـلام ، وإعـادة الفرقتين الخامسة ، والخمسين الى ترعة (دولي) العلوي لدعم خط المقاومة الذي ينشئه (غورث) على مجاري المياه في الشمال بعدما تراجع عن فكرة ترحيل قواته خشية الوقوع في ورطة لدى الانسحاب . ولكن إخلاء (أراس) ، والتراجع الى مسافة ٣٥ كلم ، والتخلي عن مركز الفرصة الذهبية ، كلها أمور كانت وراء الكثير من الأخذ والرد ، والمشاحنات . فمن قائل أنها كانت وراء تفشيل خطـة (فيغان) الى قائل أنهـا قررت مصير جيوش الشمال ، لكن الحقيقة لم تكن كذلك ، وثمة ما كان يؤكد ذلك كعدم ابلاغ القائد الأعلى بتدمير قاعدة عمليته الأساسيـة إلا بعد وقت غير قصير ، وهـذا ما دفعه الى القول : « مع انني اليوم بت أعرف أعذار « غورث » ، فأنا لا أستطيع أن أفهم عدم تبليغي قراره».

وفي هذا الجو من الضياع أصيبت قيادة الحلفاء بالانهيار من جديـد ، واستحال على « بلانشار » ، القائد الجديد للفيلق الأول ، إحياء الثقة بالقواد الفرنسيين، لدى الانكليز.



فالهوة كانت قد اتسعت بشكل كبير بين الطرفين ، سواء على صعيد التفكير أو على صعيد التخطيط . غير أن « فيغان »، الذي أهمل فكرة الثغرة ، عاد يتشبث بفكرة رأس جسر في « الفلاندر » يؤمن تموينه من « دنكرك » و « أوستوند » و « كاليه » ، والغاية منها السيطرة على البحر من أجل ترسيخ مقاومة طويلة المدى. ولكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر لدى «فيغان» إذ بينما كان يعد العدة لمشروعه الجديد كان الانكليز قد اتخذوا القرار النهائي بالارتحال، وكان صاحب القرار هو « غورث » بالذات، هذا الرجل الذي طالما تعرض للنقد اللاذع، بسبب تفاؤله الساذج الذي دفعه دوماً الى إرسال التقارير المطمئنة الى « لندن » في أحلك الظروف ، وبسبب طاعته العمياء التي دفعته دوماً لتقبل الأوامر الفرنسية على علاتها ، فضلاً عن غياب الروح الادارية عنده الذي تجلى في الفوضى التي ضربت أطنابها في مقر قيادته ، أضف الى ذلك قلة الدراية في قيادة الوحدات الكبرى ، غير أن الميزة الوحيدة فيه هي شجاعته الشخصية التي استحق عليها مدالية «صليب فكتوريا» عام ١٩١٧ .

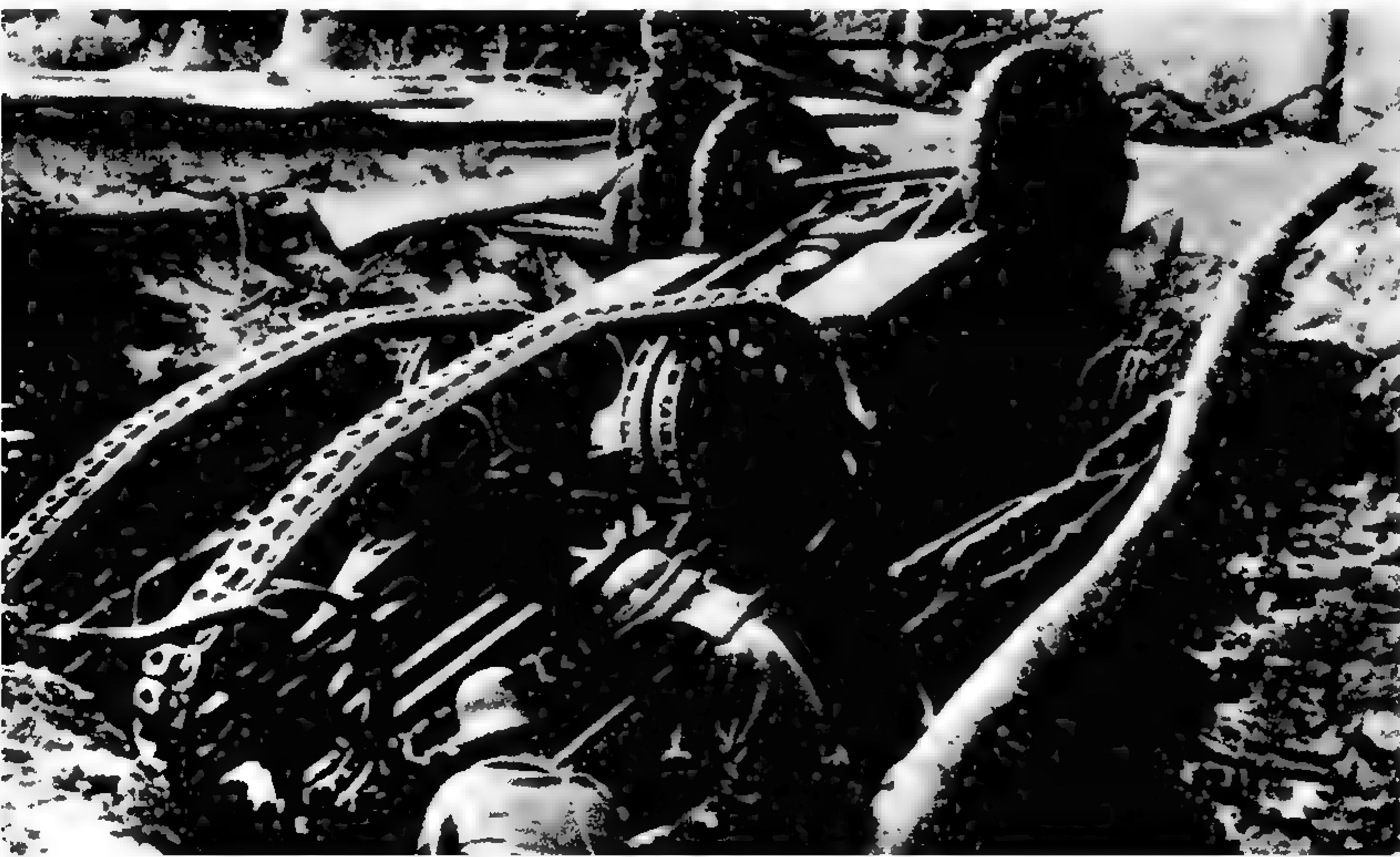
كان في اعتقاد هذا الانكليزي الطيب القلب أنه سيقود معركة مركزة في قطاع



أسرى فرنسيّون يساقون إلى حصن « شارلمون » في « جيفي ».



شواطىء «دنكرك»
بعد الجلاء.



ما أشدّ
عبث الحرب !
عربة فرنسيّة
ذات سلاسل تستقرّ
في حفرة حفرها
الفرنسيّون
للدبّابات الألمانيّة !

محدود ، ولكن إذا به يعيش في معمعة من الفوضى داخل مقر قيادته . السماء في ذلك الليل كانت تشتعل بنيران الحرائق . الانفجـــارات تترى بعنف وضراوة . المواصلات بالكاد تكون صالحة . المحطات والمفارق لا تهـــدأ من القصف المتلاحق . جنود الحملة البريطانية بالكاد يحصلون على نصف وجباتهم من الطعام ، والمدفعية لم يتبق لها من مؤونة سوى لعشرة أيام . حتى القائد الأعلى نفسه كان يتحسس الضغط الشديد الذي يشكله العدو ، فسارع الى تنظيم مركز قيادته في نقطة إرتكاز مغلقة ، جعلته في ظروف قلما وجد قائـــد سواه نفسه في ظروف مشابهة .

ان التفاؤل الذي كان يظهره « غورث » لم يكن في محـــله ، ولو انصرف الى درس الوضع من الناحية التكتيكية لما تمكن من إخفاء الواقع المر . فالحملة البريطانية فقدت لحمتها ، وفرقها الرابعة ، والثالثة ، والواحدة ، والثانية والأربعون تقاوم في تحصينات الحدود الشمالية ، والفرق الثامنة والأربعون ، والرابعة والأربعون ، والثانية ، والسادسة



مُخَلَّفات بلا فائدة تغطّي رمال ال ىء .

الأربعون تسترخي في الجبهة الجنوبية الغربية على طول « خط الترعة ». والفرقتان الخامسة، والخمسون غذت السير صعداً باتجاه « إلبر » بعد انسحابها من « أراس» في حين كان عليها أن تقوم بدور المساندة. والجيش البلجيكي بدوره كان يتعرض لما أصاب الحملة البريطانية ، الأمر الذي جعل التراجع الى « الايزير » ، وهو ما كان أقره الملك « ليوبولد » بصورة نهائية ، أمراً مستحيلاً ، فضلاً عن أنه بات غير مفيد بعد التخلي عن فكرة شق طريق نحو « السوم » . أضف إلى ذلك أن الجيشين الألمانيين الثامن عشر والسادس قد انتقلا الى تركيز هجومها على « رولر » و« ديكسمود » و« دنكرك » ، الأمر الذي جعل البلجيكيين أمام خيارين اثنين لا ثالث لهما : فاما المقاومة حتى الرمق الأخير ، واما رفع الأعلام البيضاء ،.وكلا الخيارين مر .

في الجنوب كان الفرنسيون يسيطرون على طرفي الجبهة وكانت أغلبية الجيش الأول محصورة في فسحة ضيقة جنوبي شرقي«ليل»، أما فيلق الخيالة فكان مشرذماً بحيث توزع بين الشمال لمساندة الانكليز وبين الإسهام في الدفاع عن ترعة « الاير » في « الباسي » . وفي الغرب كان الساحل بحماية بقايا الفيلق السادس عشر وفرقتين من الفئة (ب) الثامنة والستين، والستين ، علماً بأن الفرق المصفحة الألمانية قد صبت اهتمامها على هذا القطاع الذي يعني سقوطه قطع الطريق البحرية وإحكام الخناق . وفي ليلة ٢٤ الشهر الماضي كانت مدينة « بولونيا » قد وقعت في قبضة الألمان، أما « كاليه » فكانت تتعرض لهجوم شرس في حين أن الأوامر المعطاة للقوات المسؤولة عنها كانت صريحة وواضحة من حيث ضرورة الصمود حتى النهاية . إذاً ، لم يعد هناك من منفذ واحد هو : «دنكرك» وهو منفذ كان بالإمكان السيطرة عليه في أيام معدودة .



لقد كان (غورث) مقتنعاً كلياً بضرورة الجلاء فسارع الى الوقوف على الأميراليـة البريطانية ، لكن الجواب كان يناقض قناعته ، فمال باتجاه ثغرة (السوم) ، إلا أن الأمر كان صعباً ، بل مستحيلاً ففكر ، كما فعل (فيغان) ، في التحصن وراء خط الترع ، لكن غريزة القنفذ هـذه لم تنفع أيضاً ، باعتبار أن رأس الجسر كان متعطلاً ، فلم يبق أمـام (غورث) إلا أمرين اثنين لا ثالث لهما : اما القبول بالأمر ، واما الفرار نحو البحر. وفي الحالة الثانية سيخلف (غورث) وراءه العتاد والسلاح في أرض (الفلاندر) وستقوم البحرية البريطانية بلملمة ما تستطيع من رجال كما لو أنها تلم الناجين من ركاب إحدى البواخر الغارقة .

لقـد استقر رأي (غورث) على الأمر الثاني ، أي الفرار باتجاه البحر . كان ذلك عشية الخامس والعشرين . وفي صباح اليوم التالي ، وكان يوم أحد ، قصد (غورث) الى مقر قيادة الجنرال (بلانشار) الذي كان أعد أمراً بالتراجع على ثلاث مراحـل مع المحافظة على رأس جسر دائم حول (دنكرك) . والملفت أن (غورث) كتم قراره عن رئيسه الاسمي ، وبعد عودته الى مقر قيادته في (بريميسك) تسلم رسالة من (ايدن) يشدد فيهـا على ضرورة وضع سلامة الحملة البريطانية في مقدمـة الأولويات ، ومشيراً عليه باعتماد مرافىء شرقي (غرافلين) كنقطة انطلاق لجلاء القوات البريطانيـة على أن







يساعد الطيران الملكي في هذا الجلاء مساعدة فعالة ، وعلى أن تؤمن البحرية أسطولاً من السفن والمراكب للغاية نفسها. وهكذا يتبين أن التوافق في الرأي بين الحكومة البريطانية وقائد الحملة البريطانية في فرنسا كان عفوياً ومتطابقاً .

وفيما كانت الاستعدادات جارية على قدم وساق في (دوفر) حيث راح الأميرال (برترام رامسي) يجمع سفن المانش التجارية، والزوارق واليخوت ، وسفن النقل والقطر، وقوارب الصيد ، كان تشرشل يقول بنبرة ممزوجة بالروح العاطفية : « نحن على تمام الاستعداد للابحار باتجاه (دنكرك) كي ننقذ جيشنا الحبيب » . ومع هذا الكلام بدأت عملية (دينامو) .

على الجبهة الأخرى كانت الدبابات الألمانية تتابع زحفها دون أن تعيقها أزمة (أراس) وقد أصبحت الفرق العشر على السفح الجنوبي من الجيب . وكانت مجموعة (فون كلايست) المؤلفة من الفيلقين المدرعين التاسع عشر والواحد والأربعين ومن ست فرق تعمل بين البحر و(سان بول) وقد استقدمت الفرقة التاسعة من الجيش الثامن عشر لمساندتها، بينما كانت مجموعة (هوث) المؤلفة من الفيلقين المدرعين التاسع والثلاثين والسادس عشر وأربع فرق تخوض المعارك بين (لنس) و(سان بول) . وأمام هذا الحشد الألماني الهائل من الدبابات والمقاتلين لم يتسن للحلفاء سوى بقايا فرقتين اثنتين من الفرق الآلية الخفيفة . ومع ذلك فإن (غورنغ) لم يشف غليله تماماً ، ففي ٢٣ أيار قدم بواسطة قطار حديدي كان بمثابة مقر عام للقيادة ، الى مركز قيادة الفوهرر ليفخر ويشكو في آن واحد ، يفخر لأن سلاح الطيران ، أثبت أنه السلاح الأكثر



حسماً ، ويشكو من عدم إتاحة الفرصة الكافية لطيرانه كي يجهز على الجيش البريطاني الذي سقط في كمين (الفلاندر) وينال نصيبه من أكاليل النصر . غير أن هتلر أصغى الى كلام الافتخار دون أن يصغي الى كلام التذمر بالشكوى، باعتبار أن معركة الشمال، بالنسبة له ، قد انتهت مع تنفيذ ما أطلق عليه اسم (الخطة الصفراء) ، وهو يريد الانتقال الى تنفيذ (الخطة الحمراء) التي تهدف الى إلحاق الهزيمة بفرنسا ، واجتياحها بشكل حاسم .

وكانت هذه الخطة — أي الخطة الحمراء — تقضي بشن هجوم على (الرين) و(السوم) ابتداء من ٣١ أيار ، في محاولة لخرق الجبهة التي أعيد إنشاؤها ، كما تقضي بالإطباق من الوراء على الجيوش الفرنسية القابعة في أمان خلف خط (ماجينو) . وكعادة القادة العسكريين التقليديين فقد عارضوا الخطة الجديدة وطلبوا من هتلر التركيز على إعادة تنظيم القوات قبل استئناف أي عمليات عسكرية ، وكعادة هتلر فقد تصدى لهذه المعارضة وأبى الانتظار رغم اقتناعه بأن استنزاف عمل الدبابات، هو استنزاف للزخم والقوة ، ورغم ما كان يقلق باله من جراء طبيعة الأرض الرطبة التي كانت تحارب عليها الدبابات ، وقد عبر عن هذا القلق في مذكرة كتبها في ٩ تشرين الأول حول طريقة استعمال الدبابات مؤكداً فيها على ضرورة تجنب سلوك الدبابات (متاهات القرى والمدن البلجيكية المترامية). ولكن اذا كان هناك ما يبرر اقتناعه بأن الدبابات باتت مجهدة ، فليس هناك ما يبرر قلقه من طبيعة الأرض ، على أساس أن ذكريات (الكابورال أدولف هتلر) عن تلك الأرض تنحصر في فصل الخريف وفي أيام المطر الشديد ، في حين أن طبيعة الأرض في شهر أيار تختلف ، ولا بد أن تختلف ، وهذا ما عبّر عنه (كيتل) أيضاً عندما طلب منه سيده أن يبدي رأيه في الموضوع .

القطار الذي توقف أمام مركز قيادة الفوهرر عاد حاملاً (غورنغ) بعد أن وعده هتلر بأن يكون لسلاح الطيران حظ أوفر في إحراز النصر . وفي اليوم التالي ، أي ٢٤ أيار ، فوجيء هتلر بالتخبط الذي يسيطر على مركز قيادة (فون روندشتاد) في (شارلفيل) ، وأبدى امتعاضه الشديد من الأمر الذي وصل من القيادة العليا يطلب سحب جيش (فون كلوغي) الرابع من المجموعة (أ) ابتداء من منتصف الغد ، وإلحاقه بإمرة الخصم (فون بوك) مع الفرق المدرعة بحجة توحيد سير المعركة، ومرد هذا الامتعاض الى كون الأمر قد وجه دون معرفة هتلر شخصياً ، وهذا ما دفعه الى إبطال الأمر والى تهنئة (روندشتاد) الذي تفهم دوافع الإبطال ، ومع هذا التفهم استعاد الفوهرر صفاء الذهن في حين راح

يصغي الى بيان العمليات التي قامت بهـا بمجوعة الجيوش يتلوه رئيس الأركان (فون سوندرسن) . ومما جاء في البيان : الوضع عاد ممتازاً كما كان في السابق ، إذ سيطر (هوث) على القمم المطـلة على حوض (لنس) ، واستولى (كلايست) على مدينة (بولونيا) في حين راح يركز ، بصعوبة ، على احتلال (كاليه) . فرقـة الدبابات الألمانية الأولى بلغت نهر (آ) الصغير الذي يصب بالقرب من (غرافلين) . وهكذا فإن (غوديريان) بات على مسافـة ١٦ كيلومتراً من (دنكرك) ، وهي وسيلة الاتصال الأخيرة للجيوش الفرنسية والبريطانية بالعالم الخارجي .

ولكن ماذا تعني ١٦ كيلومتراً باللغة العسكرية ؟ هذه المسافة تستطيع الدبابات الألمانية أن تجتازها بساعة واحدة ، وهذا يعني أن التطويق بات أمراً مفروغاً منه . وعلى هـذا الأساس طلب (كلوغي) منح الوحدات المدرعـة استراحة ليوم كامل ، فسارع (روندشتاد) الى الموافقة ، سانده هتلر في ذلك ، وصـدر الأمر عشية الليلة الفائتة ، وبالتحديـد في الساعة ١٨,١٠ . ومما تضمنه هذا الأمر أن تترك (دنكرك) لسلاح الطيران بينما يستمر الهجوم البري بمجموعة (فون بوك) وفرق الجيش الرابع العادية شريطة ألا تتجاوز المدرعـات خط (لينس — بيتون — اير — سانت أومير — غرافلين ..) .. لقد قال هتلر يومها كلمات تزخر بالثقة بالنفس . « ان طيراني سيجهز على الانـكليز .. »

ولم تغب فترة قصيرة على انصراف هتلر حتى تلقى (روندشتاد) من القيادة العليـا أمراً بمتابعة الهجوم شمالي خط الترع ، فلم يهتم لهذا الأمر ، وفي اليوم التـالي ، أي ٢٥ أيار ، تلقى رسـالة أثارت دهشته إذ تطلب فيها القيـادة أن يلعب دور الوسيط أو الحكم بين (هتـلر) و (براوشيتش) اللذين اصطدما مرة أخرى بسبب موافقـة الثـاني على طلب (غوديريان) بالانقضاض على العدو بعد أن أصبح على مرأى منـه ، وبسبب قناعة (براوشيتش) بضرورة توجيه أقصى الضغط على جـانب الجيب الجنوبي ، والتقدم لاحتلال (دنكرك) . لكن هتلر لم يكن من هذا الرأي، بل كان يبدي حرصاً شديداً على الدبابات، وحتى لا يترك الأمور تتفاقم طلب الى (روندشتاد) بأن يلعب دور الحكم ، فجاء رأي هذا الأخير تصويباً لرأي (هتلر) ، وقد تحول هـذا الخطأ الجسيم ، فيما بعد ، الى موضوع أثار الكثير من الجدل والمناقشات ، واعتبر أول أخطاء (هتلر) التكتيكية الكبرى ، ويشاركه ، حتماً ، في تحمل مسؤولية هـذا الخطأ (روندشتاد) نفسه الذي ثبت النظرية الهتلرية، وكان من نتيجتها أن أوقف زحف المصفحات على (دنكرك) على الرغم من آراء القواد المخالفة لهـذه النظرية ، وثمة من علل نظرية هتلر بأنها كانت تقوم على أساس

سيامي ، إذ ربما كان هتلر يفكر في التفاوض مع الانكليز ، ولكن هذا القول ليس ثمة من يدعمه .

يوم ٢٧ أيار يوم مصيري . يوم العقاب الشديد بالنسبة للحلفاء على ما اقترفوه بدخولهم الى الأراضي البلجيكية ، فإذا بالجيش البلجيكي يستسلم ، وبجانب جيوش الشمال ينهار .

قبل قرار العاهل البلجيكي ، أي في ٢٥ و٢٦ أيار حصلت مشادة عنيفة في قصر (ويننديل) بين رئيس الحكومة البلجيكية وثلاثة من وزرائه من جهة وبين الملك (ليوبولد) نفسه . أحرج فيها (بيارلو) ووزراؤه الملك وحملوه مسؤولية ما يمكن أن يقع، باعتبار أن الحكومة ترى بالإجماع بأن ما أصاب الجيوش من انحلال وانهيار لا يمكن أن يعفي (بلجيكا) من التزاماتها ، بعد أن طلبت هي نفسها النجدة الفرنسية والبريطانية ، وعلى هذا الأساس ترى الحكومة أيضاً أنه لا بد من متابعة الكفاح من خارج الحدود ، وقد تمنى (بيارلو) على (ليوبولد) أن يغادر البلاد حرصاً على رمز السيادة كما فعلت ملكة (هولندا) ودوقة (اللوكسمبورغ) ، لكن جواب العاهل البلجيكي كان خشناً وعنيفاً بحيث قال أن الحلفاء قد قضي عليهم وان استسلام فرنسا هو مسألة أيام معدودة وان بريطانيا لن تقوى على متابعة القتال ، إلا في مستعمراتها



النائية ، ولذلك فإن دور بلجيكا قد شارف نهايته، ومن الأفضل، والحالة هذه، المحافظة على بعض الحياة الوطنية في إطار استقلال اسمي ، أو شبه استقلال . وأشار الملك الى أن الواجب الوحيد الذي بقي له أن يؤديه هو مشاطرة شعبه حزنه وألمه . وأمام هذا الجواب الخشن والمذل توسل الوزراء في أن يسمح لهم بالجلوس بينما أغمي على (سباك) من شدة الحزن . ولما لم توصل المشادة الى التفاهم أو الاتفاق على تصور واحد غادر (بيارلو) بلجيكا ، واستسلم (ليوبولد) في غضون ٢٤ ساعة .

والواقع أن وضع الجيش الفرنسي الأول ووضع الحملة البريطانية لم يكونا بأحسن حالاً من وضع الجيش البلجيكي سواء من حيث الفوضى في التنظيم ، والفوضى في التموين ، والفوضى في شق الحقول، أو من حيث إرهاق العناصر إرهاقاً شديداً . ولم يكن الجيب الذي أحدث بين (رولر) و (تيالت) أخطر أو أوسع من الجيب الذي أحدث في اليوم ذاته بين (كاسل) و(هازبروك) ، وكان بإمكان الجيش البلجيكي أن يساعد في حماية رأس الجسر الذي يعتبر الفرصة الأخيرة لإنقاذ القوات التي لبت نداء ١٠ أيار، غير أن العاهل لم يكن في هذا الوارد على الاطلاق ، وكان يرى أنه ليس هناك ما يبرر إزهاق المزيد من أرواح البلجيكيين ، في ضوء ما كتبه رئيس أركانه قائلا : «على مساحة ١٧٠٠ كلم مربع تمتد بين جبهتنا والبحر كان يتكدس ٨٠٠ الف شخص من أهل المنطقة وعدد مماثل من اللاجئين، فضلا عن ٤٥٠ الف جندي ، وكان على الألمان متابعة زحفهم وسط هذه الكتل البشرية ، مهلكين من هؤلاء بقدر ما هم مهلكون من أولئك .

كانت الساعة تشير الى الخامسة مساء عندما تقدم الجنرال (دبروسو) نائب رئيس الأركان العامة الفرنسية ، عبر الخطوط الألمانية في سيارة ترفع العلم الأبيض، وبوصوله الى مقربة من (تيالت) انهمر عليه الرصاص،



ثم اقتيد الى مقر (رايخناو) قائد الجيش السادس حيث أعلن أمامه عن رغبته في التفاوض من أجل وقف القتال لكن (رايخناو) أجابه ، بكل وضوح وحسم ، بأنه لا يقبل بغير الاستسلام. وهذا ما شدد

عليه هتلر عندما أطلع على الأمر . وكان على الجيش البلجيكي ، بالتالي ، أن يخلي الطرقات ليتيح للألمان متابعة العمليات ضد الانكليز والفرنسيين، وقد أذن لـ (ليوبولد) بأن يشاطر جنوده الأسر ، بناء لرغبتـه ، ثم وضع بتصرفـه قصر (ليكن – لي – بروكسيل) ليقيم فيه مع حاشيته المؤلفة من عشرين من الضباط والأشراف ، وما يناهز المئة من الحشم .

لم يكن استسلام (بلجيكا) مفاجأة للانكليز على الاطلاق ، فهؤلاء قد تبلغوا في ٢٥ أيار رسالة من الملك ليوبولد موجهة الى ملك (بريطانيـا) يطلعه فيها على احتمال إلقاء السلاح . وفي صباح ٢٧ أيار قام ممثل (تشرشل) لدى ملك بلجيكا الأميـرال (كيس) بإعلام لورد (غورث) بأن طلب الهدنة قد يقدم بين الفينة والأخرى .

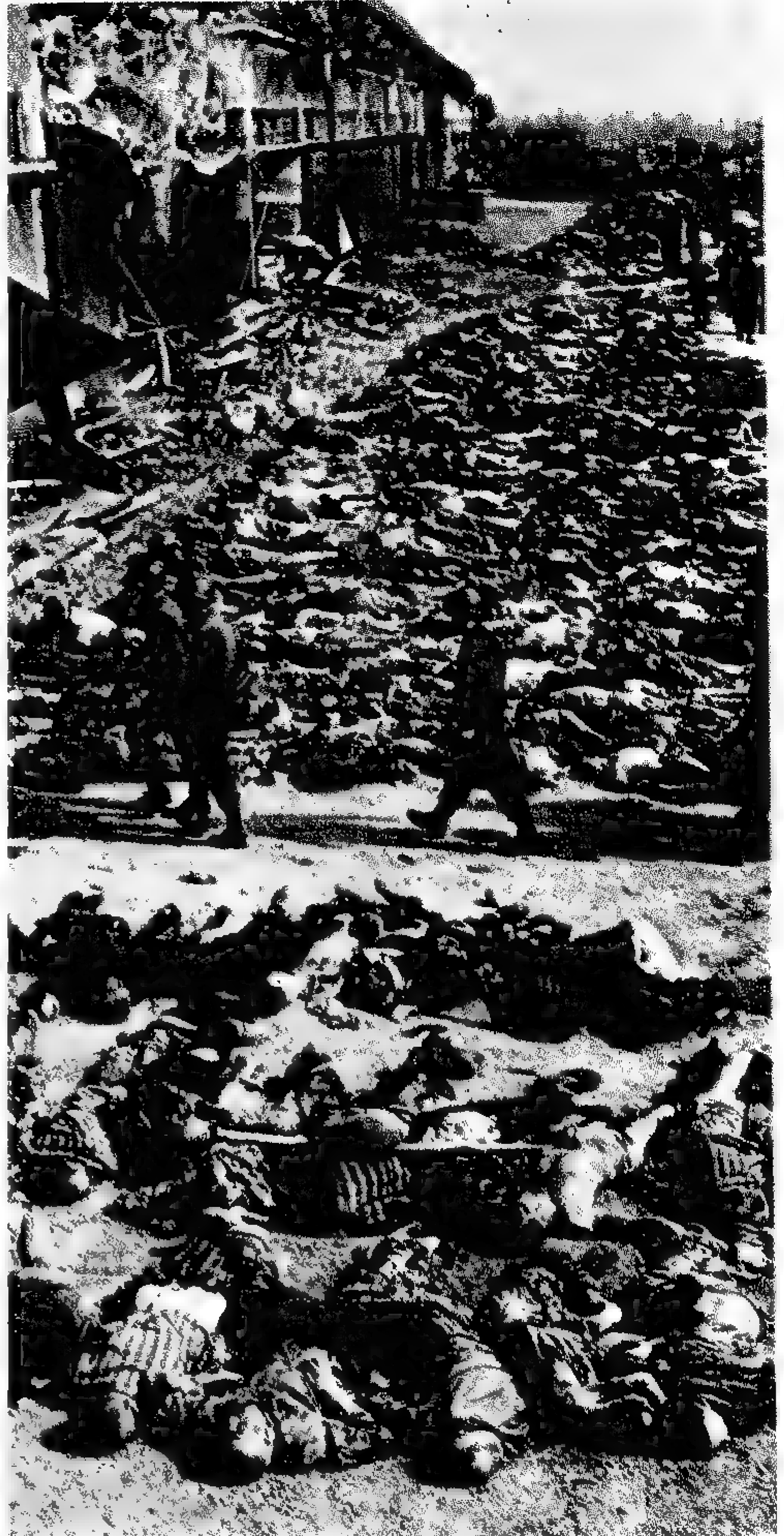
أمـا بالنسبة للفرنسيين ، فإن قرار الاستسلام لم يتم تبليغهم إياه، وهذا ما جعل الخبر يسقط على (فيغان) سقوط العاصفة، ويعبر عن دهشته لصدور مثل هذا القرار . ولكن (غوديريان) كان قد استأنف زحفه على نهر (آ) متجهاً نحو (دنكرك) على رأس فرقة الدبابات الأولى وفوج (المانيا الكبرى) ، والفرقة النموذجية (أدولف هتلر) ، إلا أن هـذا الزحف تعرض للصد من قبل فرقـة المشاة الفرنسية الثامنة والستين ، وكان هذا العدو قوياً ومتماسكاً الى حد أن الفرنسيين تمكنوا مع غروب الشمس في ذلك اليوم من إعـادة تنظيم صفوفهم على ترعة (مرديك) ، كما تمكنوا بالنتيجة من وقف زحف (غوديريان) ، ومما ساعد في وقف هذا الزحف الفيضانات، لكن كل ذلك لم يحل دون إقدام غوديريان على توجيه مدفعيته نحو (دنكرك) التي لم تكن تبعد عنه سوى ٨ كيلومترات فقط، لمساندة الطيران الألماني الذي يشرف عليه غورنغ ، وكان من نتائج القصف الأولية تدمير دار البلدية والبريـد وأحواض المرفأ واندلاع النار في خزانات النفط ، فضلاً عن إصابة المرفـأ إصابات مباشرة عطلته عن العمل وجعلت رحيل الحملة البريطانية متعذراً ، بل جعلت أعداد هذه الحملة المؤلفة من ٤٥ الف رجل مطوقة ، وما أن كادت أول سفينة تصل بأعجوبـة الى الرصيف وتعود حتى تعرضت لهـا بطاريات (غرافلين) فأمطرتها وابلاً من القذائف أدت الى مقتل حوالى مائة من ركابها البالغ عددهم ١٤٠٠ رجل . وكانت هـذه المأساة كافية وحدها لتجبر خمس سفن أخرى على العودة من حيث أتت . وفي التقارير الرسمية أن العدد الذي تم ترحيله في ذلك اليوم المأساوي بلغ ٧٦٦٩ .

لقد آثر غورث أن يتخلف عن الاجتماع الذي عقد في (كاسل) في الصباح البـاكر رغبة منه في متابعـة تنفيذ خطته دون أن يعير أي اهتمام للاهتزاز الذي أصاب التحالف

الفرنسي – البريطاني . كان من بين الحضور (بلانشار) ، والأميرال (ابريال) الذي أخذ عليه الانكليز انعزاله ، والجنرالان الفرنسي (فاغالد) والانكليزي (آدمس) آمرا قطاعي رأس الجسر الغربي والشرقي ، فضلاً عن الجنرال (كولتز) الذي كان مكلفاً من قبل (فيغان) بإعادة تنظيم القيادة الموحدة، ثم استعادة (كاليه) تأميناً لطرق التموين بين الجيوش ، وقد عرض (كولتز) أفكار رئيسه على المجتمعين لكن هذه الأفكار ضاعت في خضم سوء التفاهم الذي ساد الاجتماع . فبينما كان (فيغان) يصر على إقامة رأس جسر دائم كان (بلانشار) يركز على فكرة الدفاع عن (الليس) حتى النهاية ، وكان ممثل (غورث) يخفي عن الفرنسيين تخلي رئيسه وحكومته عن فكرة تنظيم مقاومة طويلة النفس ، وقد ذهب به الأمر حد عدم المكاشفة بموضوع ترحيل القوات ، ولو أدى ذلك الى خسارة الأعتدة بكاملها .

كانت براعم الصباح قد تفتقت على (كاسل) الكائنة فوق تل صغير، والمشرفة على سهل (الفلامان) الخصب عندما قام أول سرب من قاذفات القنابل بقصف (دنكرك) مخلفة في الجو أمواجاً من السحب الكثيفة ، ومحولة أطراف السهل الجنوبية الهادئة الى بحيرة من نار تصفع أنظار الجنرالات المتواجدين في دار البلدية . ولم تكن قاذفات القنابل وحدها تلقي حمم الموت والدمار، بل كانت ترافقها على الأرض فرقة الدبابات السادسة ، والفرقة الآلية العشرون ، فضلاً عن فرقة الدبابات الثامنة المسرعة باتجاه غاب (هازبروك) ، وما أن أشرف المساء حتى كانت (كاسل) بين فكي كماشة ، ولم يعد بإمكان الجنود الفرنسيين والبريطانيين إلا عبور ممر ضاق ١٥ كلم عما كان عليه في السابق ، مع استمرار وجود فرق انكليزية على الحدود بين (بورغيل) و(كومين) ، ووجود فرق فرنسية جنوبي (ليل) تفصلها عن (دنكرك) مسافة ١٠٠ كلم في حين أن القوات الألمانية باتت على مسافة ٨ كيلومترات فقط من المدينة ، ولعل هذا ما دفع (غوديريان) الى تركيز مدافعه على تلك الفرق المعزولة أو شبه المعزولة .

اندفعت أرتال السيارات والعربات على الطرقات ولكن الطيران الألماني استطاع أن يؤخر ذلك التقهقر بإمعانه في قصف القرى ودك المنازل دون هوادة ، ومما خفف عن المتقهقرين المطر الذي انهمر بغزارة بعد احتجابه عن فرنسا منذ العاشر من أيار ، وكان من شأن ذلك الحد من فعالية الطيران الألماني ، والحد من الخسائر الناتجة عن القصف ، مع زيادة في الإرهاق الناتج عن السير تحت الأمطار . ولم يقترب مساء ٢٧ أيار حتى ظهرت عملية إجلاء رأس الجسر في (دنكرك)، وكأنها مهمة مستحيلة، خاصة





بعد أن تمكن الألمان، بعد حوالى ٢٤ ساعة، من سد كل المنافذ .

ان الآمال المعلقة على عملية (دنكرك) لم تتحقق بالشكل المتوخى ، رغم بدايتها الناجحة والدقيقة ، وذلك عائد الى البلبلة التي تفشت في صفوف القيادة الألمانيـــة . و(روندشتاد) كان له خطأه . وكذلك (فون بوك) . خطأ الأول أنه أوقف مصفحات عند أبواب (دنكرك) . وخطأ الثـاني متعدد الوجوه ، فهو أولاً لم يعرف كيف يستغل الاستسلام البلجيكي الذي فتح أمامـه طرقات (الفلاندر) بكاملها ، وثانياً أضاع الوقت بانسياقه حول (ايبر) والاشتباك مع الفيلق الانكليزي ، وثالثـاً أفسح في المجال أمام فرقـة المشاة الفرنسية الستون ، التي كانت تدعم البلجيكيين ،

كي تنجو بنفسها ، وتبلغ رأس الجسر لتعيد تنظيم الدفاع عن قطاعه الشرقي . وبهذه الأخطاء جميعها ضاعت على الجيش الألماني فرصة ذهبية وهي السيطرة على (دنكرك) بغتة .

ولم تقف أخطاء الألمان عند هذا الحد . فقادة الجنوب والشرق كانت لهم أخطاؤهم كذلك . فلدى اختلاط الجيشين السادس والرابع في ضواحي (ليل) حصل بينهما سؤ تفاهم شديد . وقد ظن (روندشتاد) أن دوره قد انتهى بوصوله الى البحر وتطويقه لجناح الحلفاء الأيسر ، وعلى هذا الأساس أمضى يوم ٢٨ أيار الحاسم بكامله دون أن يتلقى أمراً ، أو يأتي حركة . ول (هتلر) نفسه كانت أخطاؤه أيضاً ، فهو ، بدوره ، أهمل معركة (الفلاندر) ، كما أهمل مسألة فرار القوات الحليفة وإلقائها سلاحها ، وكان كل همه مركزاً على تنفيذ (الخطة الحمراء) : كيف القضاء على الجبهة الفرنسية الجديدة بضربة صاعقة ؟ أيكون ذلك بحشد القوات السريعة كلها في الجناح الأيمن أمام (السوم)، كما يرى (براوشيتش) ؟ أم بحشدها في الوسط ، في (شمبانيا) كما يرى هو شخصياً ؟ وكيف ستعامل باريس ؟ أتكون الهدف الأول ، أم تترك الى ما بعد إبادة جيوش العدو ؟ ان هذه الأسئلة هي التي كانت تستحوذ على اهتمام الفوهرر لدى اجتماعاته بمستشاريه ، على اعتبار أن (دنكرك) أصبحت ، في نظره ، من مخلفات الماضي .

وكان من شأن هذه النظرة الهتلرية الى دنكرك أن تهالك الحصار على المدينة على نفسه منذ يوم ٢٧ دون أن يتم استغلال الفتحة التي أحدثت في قطاع (كاسل هزبروك) في حين توجهت فرق الدبابات الألمانية الثانية والتاسعة والعاشرة نحو (السوم) ، وكذلك فعلت الفرق المصفحة الأخرى ، وبذلك يكون (هتلر) قد أتاح للانكليز مرة أخرى فرصة الهرب، وخسر ، بتسرعه ، فرصة ذهبية للانتصار الساحق الحاسم على فرنسا .

المعركة الحقيقية الوحيدة حصلت حول مدينة (ليل) وهي تقع في منطقة غير ذات أهمية بالنسبة للمنتصر . وكانت مسؤولية هذه المعركة ملقاة على عاتق (رومل) الذي اقتحم ترعة (باسي) في (جيفنشي) ثم اتجه فوراً، بمساندة لواء المصفحات الإضافي، نحو منافذ المدينة الكبرى . ومع هبوط الظلام أبلغه الكولونيل (روثنبورغ) بأنه اجتاز طريق (أرمنتيير) عند (لوم) في محاذاة مدينة (ليل) ، لكن ذلك لم يكن له كبير فائدة على أساس أن الأمر جاء متأخراً، وأن مجموعة الجيش الفرنسي الثالث، فضلا عن فرقتي المشاة الثانية عشرة، والثانية والثلاثين ، وقسم من فرقة المشاة الآلية الأولى ، استطاعت التملص من الحصار المضروب عليها بقيادة الجنرال (دي لالورنسي) وبلوغ (دنكرك) ، واذا كان قد فاتت الألمان فرصة أسر الجنرالين (ايم) و(رينه

التايز) قائدي مجموعتي الجيوش الرابعة والخامسة اللذين سبقا جيوشهما الى (الليس)، فإنهم ، أي الألمان وقعوا في نصب الشرك للفرق الست التي خلفها القائدان المذكوران وراءهما شرقي (الدول) ، ومما ساعد في نجاح الشرك انقسام القيادة الحليفة، ورحيل الانكليز دون سابق إنذار .

ان تسارع الأحداث المذهلة في (ليل) جعلها تغرق في فوضى عامة الى حد أن المدفعية المضادة للطائرات فيها أسقطت قبل يومين طائرتين كانتا تقتربان من المطار ، تبين فيما بعد أنهما طائرتان أميركيتان قدمتها الولايات المتحدة لفرنسا حديثاً ، وكانتا تنقلان مبالغ من المال من خزينة الدولة الى خزينة مقاطعة الشمال من أجل إنقاذها من الإفلاس .

وفيما كانت القوات الألمانية تغذ السير في الجبهة الوسطى كانت قوافل العربات والحشود في القرى المحاذية لـ (ليل) تزيد الوحدات القادمة من (أورشي) و(بون أمارك) و (دووي) و (اينش) والمتجهة الى (ليل) ، بلبلة فوق بلبلة ، وقد أدت هذه البلبلة الى تكدس الجموع الغفيرة في ليل ٢٧ — ٢٨ المدلهم ، والى سقوط العديد من الرجال ، فضلا عن الجياد في أماكنهم بعد أن فقدوا كل هدي وكل هدف .

وعند الفجر وصل الجنرال (جوان) ، قائد فرقة المشاة الآلية الخامسة عشرة أمام (هوبردان) حيث كان في نيته عبور (الدول) لكن الجماهير المحتشدة حالت بينه وبين الجسر ، فمال بجنوده عبر البساتين إلا أنه ما لبث أن عاد ليستقر في خط دفاعي يقع عبر الضواحي الجنوبية ، وبعد ساعات قليلة هاجمته القوات الألمانية فاضطر للارتداد الى ضاحيتي (البوسط) و(أراس). وكما في الجنوب كذلك في الغرب حيث أقيمت خطوط دفاعية أخرى في (لمبرسار) و(كنتلو) بقيادة الجنرال (ميلييه) ، وفي (لوس) بقيادة الجنرال (جانوده) الذي وزع ما تبقى من رجال فرقة المشاة الآلية الأولى على خط دفاعي مربع الشكل، وفي (هوبوردان) حيث احتشدت وراء ترعة (الدول) قوات من فرقة المشاة الآلية الخامسة والعشرين، وفرقتي المشاة الافريقيتين الشماليتين الثانية والخامسة بقيادة الجنرال (مولينييه) .

عند الساعة ١٩,٣٠ حاولت فرقة المشاة الافريقية الشمالية الثانية بقيادة الجنرال (دام) — أفتى قواد الجيش — إحداث ثغرة عبر أحد جسور (هوبردان) الذي سلم من القصف والتدمير ، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فارتد بعض العناصر باتجاه أحد المعابر التي اهتدوا اليها على نهر (الدول)، وقد تمكنت هذه العناصر بقيادة المركيز (ديموستيه) قائد مجموعة الاستطلاع التابعة لفرقة المشاة الآلية الخامسة عشرة من

الوصول الى (دنكرك) بعد جهد كبير استنزفته في الاشتباكات الحادة التي حصلت مع القوات البريطانية التي كانت تضرم النار في الشاحنات الملأى ، مفضلة إحراق هذه الشاحنات على أن يستعملها حلفاؤهم الفرنسيون . ولم تتوقف المعارك في (ليل) على مدى ثلاثة أيام استطاع فوج المشاة الثامن والثلاثون خلالها من إلقاء القبض على الجنرال الألماني (هانكي) الذي عثر معه على لائحة تتضمن أسماء الفرق الألمانية السبع التي كانت تشترك في الهجوم على المدينة . وبعد الأيام الثلاثة المأساوية توقف المهاجمون عن القصف الثقيل ، مرسلين المفاوض تلو المفاوض وملقين فوق المدينة منشورات تنبه المدافعين الى أن دفاعهم لم يعد مجدياً، وبأن حلفاءهم البريطانيين قد ولوا ظهورهم .. وما أن أزف ٣١ أيار حتى وافق الجنرال (موليني) على طلب الجنرال الألماني (فوغنز) بالاستسلام وفق شروط تصون الكرامة . وبالفعل كان يوم أول حزيران هو يوم الاستسلام المشؤوم ، وقد سار في مقدمة المستسلمين في ساحة ليل الجنرالات : (دام) ، (مسمي) و(جانوده)، وكان (موليني) على رأسهم ، وقد احتفظ بسيفه وقفازيه الأبيضين ، وقد بلغ من احترام (فوغنر) لشروط الاستسلام أن قدم هذا الأخير ، مع جنوده ، التحية لـ (موليني) وسائر المستسلمين ، ولكن هذه المفارقة أثارت استياء (هتلر) الذي سارع الى إقالة (فوغنر) من القيادة .

وفيما كان اليأس يلقي بظلاله الثقيلة على مدينة (ليل) ويقضي على آخر رجاء لدى القوات الحليفة ، كان الانكليز يتنفسون الصعداء على جبهة (دنكرك) بحيث أنهم ينجحون في تسريع عملية الترحيل ، وقد تمكنوا بالفعل من ترحيل ٥٠٢١٠ رجل خلال أيام ٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ أيار ، بينما لم يتمكنوا حتى يوم ٢٨ أيار من ترحيل سوى ١٧٨٠٤ جندي. وقد أثبتت عملية الترحيل الناجحة الأخيرة بطلان إدعاء غورنغ القائل بأن الطيران الألماني قادر على أسر الجيش الانكليزي .

واذا كان الانكليز قد تمكنوا من الترحيل ، فإنهم منوا بخسائر فادحة في الآليات ، كان حطامها يتكدس في المرفأ والأحواض ، وقد بلغت السفن البريطانية المدمرة ٢٢٦ سفينة من أصل ٦٩٣ سفينة مختلفة الحمولة ، ومن بين تلك السفن المدمرة ٦ مدمرات ، والسفينة التجارية (كوين أوف ذي شانل). لم يتوقف الترحيل حتى في أثناء الليل . كان يتوقف فقط عندما يشتد القصف الجوي ، أو عندما تهتاج الأمواج نوعاً ما ، علماً بأن البحر هو صديق الانكليز القديم .

وعلى تلك الشواطىء الهادئة كان الأسطول الصغير الذي استجاب لنداء الأميرالية يعمل

بلا كلل أو ملل، وكان هذا الأسطول مؤلفاً من صيادين وبحارة يخوت، وبحارة متقاعدين، ينقلون الجند الى الساحل الفرنسي الذي كان غارقاً في أمواج عالية من الدخان الناجم عن غارات طائرات (شتوكا) الألمانية المتلاحقة التي تدمر السفن ، وتنثر القتلى ، وتعكر صفو البحر بالكتل الفولاذية الضخمة، وقد أعاقت هذه الغارات قيادة الزوارق ، وقد اكتفى هؤلاء المتطوعون بالذهاب على جناح السرعة الى (دنكرك) والعودة الى انكلترا بما أمكنهم من الجنود ، مهملين كل الإهمال إحصاء عدد الذين يسقطون ضحايا القصف من جند وسفن .

ويؤكد الذين أشرفوا على عمليات الترحيل البريطانية أنه لولا مغامرة الطيران البريطاني بالتصدي للطائرات الألمانية في معركة دائمة في سماء (دنكرك) لما سجلت تلك العمليات النجاح الذي سجلته .. وقد دفعت بريطانيا في تلك الأثناء بـ ١٦ سرباً من المقاتلات التي كانت ضنينة بها للغاية ، وقد تمكنت هذه الأسراب من إسقاط ٢٦٢ طائرة ألمانية في حين لم يسقط منها سوى ١٣٣ طائرة .

ان الجمود الألماني المحير الذي ساد في تلك الفترة أتاح للفيلق الثالث الفرنسي ، والفرق الانكليزية البعيدة النجاة من مأزق كان يبدو حرجاً للغاية . وحتى آخر يوم ٢٨ أيار كانت الفرقتان الرابعة والثانية والأربعون لا تزالان متمركزتان في خطوطهما في (الليس) ، لكن إحداهما عادت الى المعسكر الحصين عشية اليوم التالي في حين ظلت الأخرى خلف (الايزير) في مأمن من الخطر ، كما بعد الخطر أيضاً عن الفرقتين الخمسين والخامسة ، بعدما كانت قاب قوسين من الهلاك . وكانت ثمة وحدات أخرى تمكنت هي الأخرى من النجاة بعدما كانت تعاني وضعاً حرجاً للغاية كاللواء ١٣٥ الذي كان محاصراً في (كاسل) ، والفرقة الرابعة والأربعين المشتتة بين (هايزبروك) و(ميرفيل) .

كان الألمان يتفرجون على عمليات الإبحار أمام (دنكرك) كما لو أنهم يتفرجون على فيلم سينمائي ، وقد وصف الجنرال (برينيكي)، رئيس أركان الجيش الرابع ، المشهد لرئيسه (فون كلوغي) بقوله : « السفن ترسو قرب الأرصفة وتتدلى منها العبّارات حالاً، ويسرع الرجال بالصعود اليها مخلفين وراءهم كامل أعتدتهم . غير أن القشعريرة كانت تنتابني كلما فكرت بأننا سنعود لمجابهة هؤلاء الرجال بعد إعادة تسليحهم ... »

في ٣٠ أيار كانت (دنكرك) لا تزال تشتعل ، ثم استأنفت الطائرات الألمانية غاراتها ، وبدلاً من أن يؤخر هذا القصف عمليات الإبحار فقد أدى الى زيادة وتيرتها بحيث أن الفيلق البريطاني الثالث قد اكتمل إبحاره ، والفيلق الثاني على وشك الاكتمال ، بينما الفيلق الأول لا يزال موزعاً في القطاع

الشرقي . ولكن رأس الجسر الذي تحده ترعة (مرديك) القديمة ، وترعة (كولم) العليا والسفلى ، والترعة الممتدة من (برغ) الى (فورن) ، وترعة (نيوبور)، اختصر في اليوم التالي بالانسحاب من (فورن) والتراجع الى ترعة (شا) . أما اللورد (غورث) فقصد الى لندن تاركاً لـ (الكسندر) قيادة ما تبقى من القوات البريطانية بعدما بلغ عدد المبحرين ١٢٦ الف رجل ، ثم قفز هذا العدد في اليوم التالي الى ٢٠٠ الف رجل، علماً بأن عدد الفرنسيين لم يكن قد بلغ بعد سوى ١٥ الف رجل من أصل هذا المجموع.

في ٢٤ أيار أدرك (فيغان) أنه ليس في إمكانه إنقاذ جيوش الشمال ، وأنه غير قادر على الصمود في وجه هجوم ألماني ثان بما تبقى لديه من قوات، وهذا ما عبر عنه، بتأسف ظاهر ، أمام سكرتير وزارة الحربية ، بقوله : « أنا القائل بأنه لا يحق لأي قائد منهزم أن يبقى على قيد الحياة ليتني قضيت نهار الأحد عندما هبطت طائرتي بعنف في (ايشامب) .

ولم يكن قد تبقى لفرنسا ، بعد تدمير جيوش الشمال ، سوى ٥٠ فرقة عليها أن تواجه ١٥٠ فرقة من المشاة الألمان ، إضافة الى ١٠ فرق مدرعة . وأمام هذه النسبة غير المتعادلة راح (فيغان) يمحص الأمر بدقة مقتنعاً بأن ٥٠ فرقة على جبهة طولها ٥٤٠ كلم لا يمكن أن تشكل غير (حاجز رملي) . لقد خفض جيش (الألب) الى أدنى درجة ممكنة علماً بأن هذا الجيش هو في مواجهة (ايطاليا) التي بات دخولها الحرب وشيكاً ، أما (افريقيا الشمالية) فكانت لا تزال تحتفظ ببعض الفرق ، وقد تردد (فيغان) في استخدامها إلا أن (نوغيس) قد عارض ذلك ، وكذلك (بول رينو) الذي شدد على ضرورة « تجنيد الإمكانات المتوفرة كافة في المعركة ضد الألمان» ، وقد نزل « فيغان » عند إلحاح « رينو » فسارع الى استدعاء فرقتي المشاة الرابعة والثانين والخامسة والثانين من مدينة الجزائر ، ثم طلب إعادة قوات « نرفيك » الى الوطن بعدما استولى « بيتوار » على المدينة ، وراح يجهز فرقاً خفيفة مؤلفة من قوات «نرفيك» ، والقوات الناجية من « سيدان » ، والقوات الهاربة من « دنكرك » ، ولكن كل هذا الشتات لم يكن كافياً لخلق جبهة قوية ، ولم يكن كافياً كذلك للقيام بهجوم معاكس .

ولما لم تتيسر أمام « فيغان » سبل تدعيم جبهة ارتأى تقصيرها. وقد كان لديه حلان ، أولهما يقضي بالتخلي عن خط « ماجينو » لحماية العاصمة الفرنسية والساحل الفرنسي ، ولكن من مساوىء هذا الحل أنه يضحي بأقوى الإمكانات العسكرية المتبقية لفرنسا ، ويفتح وادي « الرون » أمام الاتصال الألماني - الايطالي ، وثانيهما يقضي بتجميع القوات الفرنسية حول جيوش

الشرق التي لم تصب بأذى بعد، وهجر «باريس» والساحل ، وسيئات هـذا الحل أنه يؤدي الى قطع الاتصال مع الدول البحرية، وبالتالي الى التطويق . وأمام هـذا الوضع الحرج لم يبق أمام «فيغان» إلا اختيار الشر الأهون، وهو صمود القـوات حيث هي ، أي على « الرين » وفي « خط ماجينو » و« الاين » و« السوم » وكان من البديهي أن يطلع الحكومـــة على خطته ونظرته الى المعركة القادمة ، فأوضح في مجلس الحرب المنعقد في ٢٥ أيار أن خـسارة المعركة المقبـــلة تعني خسارة كل شيء ، وأنـه اذا حلت بفرنسا هزيمة نكراء على القوات أن تحارب حتى آخر نقطة دم . وفي ٢٩ أيار كرر إنذاره هذا عبر مذكرة وجهها الى مجلس الحرب .

لقـد أضفى إنذار « فيغان » جواً من القلق الشديد على أعمال الحكومة ، وجواً من التناقض بين الأجهزة وكبار المسؤولين ، ففي حين كانت فرنسا وانكلترا قد توصلتا الى اتفاقية – لم يكن قد وافق عليها مجلس الحرب بعد – تقضي بعدم التفاوض مع ألمانيا بصورة منفردة، كان رئيس الجمهورية الفرنسية « البير لوبران » يثير موضوع هذه الاتفاقية في جلسة المجلس الحربي المنعقدة في ٢٥ أيار مؤكداً على الناحية القانونية فيها ، ومشيراً من جهة أخرى الى أن الشروط التي تعرضها ألمانيا هي « مؤاتية نسبياً » و« خليقة بأن ينظر فيها وتدرس بعناية وهدوء أعصاب»، ومنبهاً الى أن البحث في هذه الشروط هو أجدى الآن، قبل أن يتم القضاء على الجيوش الفرنسية بصورة تامة وبشكل نهائي .

ان ما كان يعانيه الجيش الفرنسي أدى الى تفتت التعاون بين الحلفاء ، وأجهز على الوحدة الوطنية الفرنسية . وفي غمرة هذه المرارة الناتجة عن الهزائم المتكررة بدأت الحرب – حرب التهم – سجالاً بين العسكر ورجال السياسة . ففي حين أن « بيتان » أكد أن الغزو غير ممكن لفرنسا ، وحرص على عدم تحميل الجيش مسؤولية أخطـــاء السياسيين قال « فيغان » أن الجيش الفرنسي كان أفضل من أي وقت سابق، لكنه ألمح الى أن بـــلاده قد ارتكبت خطأ جسيماً بانخراطها في الحرب دون أن تملك العتـــاد اللازم ، ودون أن يكون لديها مذهب عسكري معين وواضح الخطوط .

لم يكن « بيتان » من أنصار « القتال حتى آخر رجل » « لأن ذلك ليس بالأمر السهل والاعتباطي » ، على حـــد قوله ، ويضيف : « ان هـــذا لن يكون ، واذا حصل فهو جريمـــة ، كفانا ما تحملنا من خسائر الحرب الأولى ، وكفانا النقص في الولادات .. » . وبالفعل لم يكن الانتحار أقل تقبلا لدى الناس مما كان عليه في تلك الفترة رغم الدعوات الكثيرة التي زرعت في الأمة الفرنسية بذور الريبة والمادة واللامبالاة. وفي رد « بول رينو» على مذكرة « فيغان » استبعد الأول فكرة الاستسلام وطلب دراسة

فكرة إقامة معقل للمقاومة في محاذاة مرفأ من المرافىء العسكريـة على أن يضم ، فيما يضم ، شبه جزيرة « بروتانيا » ، كما أوضح « رينو » في رده أنه عازم على إنشاء صفين ليرسلها الى « افريقيـا الشمالية » كي يساهما في الدفاع عنها بأسلحـة يتم شراؤها من الخارج .

هذه الفكرة كانت ممتازة من حيث المبدأ ، ولو أنها طبقت منذ البدء لوفرت على الفرنسيين مأساة « سيـدان » ومآسي الحملة البولونية، ولكن الفكرة جاءت متأخرة لا سيما وأن الوهن قد أصـاب من فرنسا الصميم ، ولم يبق لديهـا سوى فلول بالكاد تقوى على المقاومة في مراكزها .

وفي آخر يوم من أيار التقى « تشرشل» الذي قدم الى « باريس » برفقة « اتلي » ، و « دل » ، و « ازمي » بـ « رينـو » و« فيغان » ، وقـد لفته الأول الى ضآلة عدد الفرنسيين الذين رحلوا مع الانكليز ، وأكد له الثاني أنه لن يتخلى عن رأس الجسر إلا بعد هـلاك جميع الفرق الفرنسية في « ليل » فأجاب الأول محملا القيـادة الفرنسية مسؤولية إبحـار ١٥ الف فرنسي فقط من أصل ١٦٥٠٠٠ رجل تم ترحيلهم، وأجاب الثاني بأن الآمال قد خابت جميعها، وبأنه طلب تأخير إبحار الجرحى من أجل إنقاذ أكبر عدد ممكن من الجنود الأصحاء، وكان يتوقع أن يصل هذا العدد الى ٢٠٠ الف رجل . كان « تشرشل » يتكلم وهو يبكي نظراً لما آلت اليه الأحوال ، ولفقدان كامل العتـاد الى جانب فقدان الضحايا والمعنويات، وكان في اعتقاده أنه لو هبطت فرقة ألمانية صغيرة في بريطانيا لما واجهتها غير مقاومة المدنيين، في حين لو أنها هبطت في فرنسا لما واجهتها أي مقاومة البتة .

وبعد الأخذ والرد في ذلك الجو الكئيب اتفق الطرفان البريطاني والفرنسي على إبقاء رأس الجسر طالما أن الفرق الحليفة لم تفقد الأمل نهائياً في بلوغ البحر . وقـد تنافس « تشرشل » و « رينو » في إبداء النيـة الحسنة ، في الظاهر على الأقل ، لا سيما فيما خص موضوع الترحيـل : أي جيش يتم ترحيله قبل الآخر ، ولكن هـذا التسابق لإظهار حسن النيـة ما لبث أن تحول الى عقدة صعبة الحل عندما طلب الجانب الفرنسي من « تشرشل » الإلقـاء بسلاح الطيران الملكي في المعركة الحاسمة التي كانت توشك أن تقع على الأرض الفرنسية . غير أن الجانب الانكليزي اعتذر عن تلبية هـذا الطلب على اعتبار أن القضية قد انتهت بالنسبة اليه ، خصوصاً وأن قائد سلاح الطيران البريطاني « السير هيو دودنغ » قد طلب ، وهو المعروف بمعارضته منذ البداية لفكرة إرسال طائرات الى أوروبا ، عدم زج سلاح الطيران مرة أخرى في المعركة ، بعد أن فقد هذا السلاح في حلقي « نروج »

و«فرنسا» ٤٠٠ طائرة من طراز «هاريكان»» وشدد «دودنغ» على موقفه الأساسي القاضي بعدم التضحية بسلاح الطيران على مذبح التحالف الفرنسي البريطاني الذي يعتبر «تشرشل» عرابه الأساسي» ولكنه لم يكن يوماً ضد استخدام الطيران في تحقيق الجلاء عن «دنكرك».

واذا كان التحالف الفرنسي – البريطاني على أحسن ما يكون لولا مسألة الطيران الملكي» فإن هذا التحالف لم يكن كذلك في «دنكرك» حيث تلاحقت الحوادث بين رفاق الدرب» وحيث أصابت عدوى التشاجر القواد والجنود على السواء. وعندما أعلنت الأميرالية البريطانية بأنها تنوي إنهاء عمليات الإجلاء في حزيران هب «رينو» و«فيغان» معترضين» ومطالبين بأن تبقى الإمكانات البريطانية في القوات الفرنسية لفترة أخرى. ولعل من باب الإنصاف القول أن القوات الفرنسية الباقية هي التي ظلت تقاتل في هذه الأثناء في «دنكرك»، لا القوات البريطانية.

على الجبهة الغربية حافظ الاحتياطيون القدامى في فرقة المشاة الثامنة والستين (فئة ب) على مواقعهم حتى أول حزيران» ولكنهم في اليوم التالي خسروا قرية «سبيكر» فقط وظلوا» حتى عشية الثالث من حزيران» يسيطرون على جبهة تمتد من «مرديك» حتى ضواحي «دنكرك»، في حين بدأ



تشرشل محاطاً بالجنرال ديغول والجنرال البولوني المنفي سيكورسكي.

فوج المشاة السابع والثلاثون بمساندة قطاع «الفلاندر» الحصين الكائن الى اليسار» وبالدفاع عن تحصينات «بيرغ» القديمة الى جانب كتيبة من البريطانيين» لكن رحيل البريطانيين اضطره للتراجع خطوة باتجاه برزخ «نوتردام دي نيج». ومن الخلف تمركزت فرقة المشاة الواحدة والعشرون على ترعة «الشا» بعد التعب الذي أصابها نتيجة السير الحثيث الذي بدأته من «ليل»، ثم راحت تغطي بمفردها شرقي رأس الجسر بعدما قتل قائدها داخل مقر قيادته» واستمرت تقاتل بضراوة طيلة الأيام الثلاثة الأولى من حزيران. وفي هذا الوقت كانت ألسنة اللهب تنتصب في سماء «دنكرك» وتلتهم مصنع الفولاذ في «فيرميني»، وبلدة



« بيرغ » ومستودعات الذخيرة . وفي هذا الخضم من الدخان واللهب راح الألمان يستعجلون النهاية ، ويبحثون عن ثغرة تستطيع فرقهم الست النفاذ منها الى « دنكرك » إلا أنهم وان استطاعوا التقدم فإنهم لم يتمكنوا من إحداث الثغرة التي يتمنونها ، وذلك بسبب قلة الدبابات لديهم .

وفي اليوم الثاني من حزيران كانت آخر دفعة من الجنود البريطانيين تغادر الأراضي الفرنسية ، وكان الاستعداد يجري لترحيل فيلق الخيالة الفرنسي الذي كان عليه أن يخوض معركة « السوم » الوشيكة . وعلى الرغم من سحب الدخان التي كانت تغطي سماء «دنكرك» وتعرقل تحركات الطائرات، فقد كانت الخسائر بين البحرين عالية جداً خصوصاً بعد أن بذلت جهود انكليزية مكثفة في ٢ و٣ حزيران لترحيل أكبر عدد ممكن ، وقد شاركت في هذه العملية الضخمة ١٣ سفينة تجارية و ١١ نسافة ، وسفينتا شحن ، و ٥ سفن ذات عجلات ، فضلاً عن عدد كبير آخر من المراكب والشاحنات ، وتقوم بحماية كل ذلك بعض السفن الحربية و١٠٠ سفينة صيد فرنسية . ولكن الفوضى التي كانت سائدة فرضت إبقاء الكثيرين من الجنود في خط النار ، واضطرت العديد من السفن الى الانتظار وقتاً طويلاً دون جدوى، الأمر الذي خفض عدد المرحلين من ٣٥ الف رجل ، وهو ما كان يجري الإعداد له ، الى ٢٦ الف رجل فقط .

ولم تتوقف عمليات الجلاء ، فاستؤنفت ليلة أخرى عندما أعاد الأسطول المختلط الكرة منطلقاً من « دوفر » على الرغم من أن مشاة الألمان قد باتوا على بعد ٣ كيلومترات عن المرفأ والشاطىء . اصطفت سفن الإنقاذ على طول الرصيف الشرقي ورصيف المنتزه في « مالو » بينما ظلت بعض المدافع والرشاشات تطلق النار تمويهاً في حين كان الجنود يرمون بأسلحتهم في البحر أو يطمرونها في الرمال ، ويطلقون الخيول ، وهم في طريقهم الى المرفأ بهدوء شديد وبمجموعات صغيرة .

وعلى الرغم من السرعة النسبية التي راحت تتم فيها عمليات الصعود الى السفن ، فقد كان المدافعون عن « دنكرك » والمشاة ورماة المدفعية وغيرهم يتعثرون بجدار هائل من البشر ، ولا يتمكن من الصعود إلا المجموعات المنعزلة ، كل ذلك في غفلة من الألمان الذين استسلموا للنوم بعد الإنهاك الذي أصابهم .

كانت الأميرالية البريطانية قد حددت الساعة ٣,٣٠ كموعد لتوقف العمليات تجنباً لمزيد من الخسارة التي يمكن أن تنتج فيما لو استمرت هذه العمليات في وضح النهار ، ولكن الفوضى الناتجة عن الذعر كانت ضاربة أطنابها الى حد أن الألوف من

الرجال قد بقوا في أرض المعركة لقمة سائغة في فم الألمان .

وقبل أن تأزف الساعة الرابعة كانت السفن قد بدأت بالإبحار ، وسرعان ما ظهرت ، بعد وقت قصير ، آلاف الخوذ على الشاطىء وقد انعكست عليها أشعة الشمس الصباحية وبقيت تعالج مصيرها المشؤوم .

لقد فاق نجاح عملية « دينامو » كل الآمال المعقودة على أساس أنه لم يكن من المنتظر في البدء سوى إنقاذ ٤٥ الف رجل ، لكن النتيجة جاءت أبهر من ذلك بكثير ، إذ تم إنقاذ ٣٤٠ الفاً بينهم ١١٥ الف فرنسي ، ولولا الفوضى وسوء تقدير عدد القوات لما كان ترك ٣٤ الف جندي في أرض المعركة مع العلم بأن السفن العائدة كانت لا تزال تتسع لأكثر من ١٠ آلاف رجل .

وكاد هذا النجاح السلبي أن ينسي الحلفاء مرارة الهزيمة والذل والهوان بفقدهم ثلاثة جيوش فرنسية فضلاً عن جيوش كل من بريطانيا وبلجيكا وهولندا . وفي ذلك اليوم الذي كان الحلفاء يحاولون تجاهل الجرح العميق كان هتلر يعلن على الملأ ، بكل فخار واعتزاز ، أنه دمر ٧٥ فرقة كاملة واستولى على عتادها ، وأنه قتل أو جرح أو أسر ١٢٠٠٠٠٠ جندي من الحلفاء مقابل ثمن بخس يتمثل في ١٠٢٥٥ قتيلاً و٨٦٤٣ مفقوداً ، و٤٢٥٢٣ جريحاً من الألمان .









هذه الموسوعة

هل يسير العالم اليوم نحو حرب عالمية ثالثة؟

هذا السؤال لم يعد نوعاً من الفرغرة الصحفية، بل بات مطروحاً على كل شفة ولسان، وفي كل منتدى ومحفل، حتى القواد العسكريون لم يستبعدوا نشوب حرب ثالثة، اذا ما تجاوز أحد المعسكرين الجبارين الخطوط الحمراء.

وفي هذه الفترة من مرحلة ما بعد الحرب الثانية، ومرحلة ما قبل الحرب الثالثة، يسر "دار الآفاق الجديدة" أن تقدم إلى قرائها العرب تاريخ الحرب العالمية الثانية بالوقائع والصور، وذلك على شكل مجلدات، عسى أن يجدوا فيها المتعة والعبرة والفائدة.

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت